

محمد حياه

رواية

# جريمة هاردلي هاوس



**www.darak-egy.com** 

**01027251915 - 01098952125** 

**51 ب شارع النهضة من شارع رمسيس - القاهرة** 

**جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر**



**جريمة هاردلي هاوس**

**اسم المؤلف: محمد حياه**

**تصميم الغلاف: بلال محمد**

**تدقيق لغوي: سارة صلاح**

**رقم الإيداع: 2024/34038**

**الترقيم الدولي: 978-977-9672-29-8**

**الطبعة الأولى: 2025**

## إهداء

أهدي هذا العمل لجسدٍ أنهكتَه طعناتٌ من حوله ورغم ذلك مازالوا  
يستندون عليه، لقلبٍ تحمّل الأذى النفسي بصدرٍ رحب، لعَيْنٍ رأت  
الحقد والكره في أعين من ظننتهم الأقربين وابتسمت، ليدٍ قدمت  
كل الخير إلى أيادي جرحتها بالسكين، لعقلٍ حسن الظن في من  
خذلوه ومنحهم تبرير لذلك، لغبي فعل كل هذا ولن ولم يتعلم أن  
يتوقف....

لأن للأسف هذه طبيعته وهذا الغبي هو أنا.

إمضاء

بطل العمل

## المقدمة

اليوم الخامس والعشرون من فبراير عام 1970م، ولقد أتممت اليوم عامي التسعين، وقررت أن أكتب هذا الكتاب حتى يكون مرجعًا لتاريخ تأسيس الأخوية، وكى يكون النص واضح المعنى والتعبير، قررت ألا أكتبه بلكنة قريتي ومصطلحاتها الغريبة على الكثير منكم، بل سوف أكتبها باللغة العربية الفصحى الدارجة؛ حتى تسهل ترجمة الكتاب لعدة لغات في أسرع وقت، لم يكن العمر هو العائق أو سببًا في أن أتردد كثيرًا في قرار كتابة هذا الكتاب، ولكن كان كل هذا العمر لدراسة الحقيقة التي أيقنتها وأثبتت في كل تجارب الحياة والقصص التي مرت بي، حقيقة لن يقنعني بعكسها أو زيفها شيء حتى إذا مُث وأخرجوني من قبري مائة مرة كي يزعزعون قناعتى عن تلك الحقيقة فلم ولن ينجحوا، والحقيقة التي أقصدها هي أن النساء هن وقود كل الشرور في هذا العالم منذ بدء الخليقة، وقود الغدر أنى، وقود الخيانة أنى، وقود الكذب أنى، وقود كل الحروب أنى، فكيف لي أن ألوم نازًا كانت وقودها أنى، أنا لا أكره الأنى؛ فالكراهية مشاعر سامية لا تستحقها، لأنك عندما تكره شيئًا فهذا القرار يعني أنه شيء من الممكن أن يُحب أو أحبته من قبل وقررت الآن أن تكرهه، وبالتأكيد هذا المبال لا ينطبق على الأنى، ولكن في نفس الوقت لا أنكر وجودها، فهناك أشياء كثيرة مثلها موجودة حولنا نتعايش معها ونتعامل معها ونستغلها أحيانًا كثيرة مثل روث البهائم، كم هو مفيد لنا، لكن لن يصل لمستوى أعلى من أنه روث، الجنس مع الأنى بغرض التكاثر شيء ضروري، لكن دون ذلك فليس لحياتها قيمة، وحينها يكون الموت المؤلم هو أفضل

هدية تُهديها لها؛ لأن النساء جميعهن يستحقن القتل، وسوف تكون  
أخويتنا هي لعنة النساء على الأرض.

إمضاء

صديق عوني باشا

## تمهيد

اليـد الـيـمـنـى تـنـتـفـض مـنـها العـرـوق مـعـلـنـةً عـن قـوـة أو غـضـب أو الـاثنـين مـعًا، تـقـبـض عـلـى خـنـجـر ذـهـبـي مـمـيز يـلـمـع نـصـلـه مـن عـنـد الحـواف، وـفـي كـعـب مـقـبـض الخـنـجـر تـظـهـر رآس أـسـد بـارـزـة يـكـشـر عـن أنـيـابـه وكـأنـه فـي لـحـظـة الـافـتـراس، وـصـوت نـبـاح كـلـب قـرـيـب وـزـمـجـرته لا تـعـنـي سـوـى غـضـبٍ قـد يـنـتـهـي بـكـارـثـة، يـعـود الخـنـجـر للـوراء ثـم يـنـطـلـق فـي سـرـعـة كـبـيـرة للـأـمـام لـيـنـتـهـي طـرـيـقـه فـي جـسـد رـجـلٍ مُـسـنٍّ، تـتـصـلـب عـضـلات جـسـده احـتـرامًا ورهـبـة مـن هـذه الطـعـنـة الحـادـة، وـلـكـنـها تـرتـخـي سـرـيـعًا لـيـسـقـط أـرـضًا بـعـد أن يـخـرج الخـنـجـر مـودَّعًا جـسـده، ثـم يـتـحـرك حـامـل الخـنـجـر بـخـطـواـتٍ ثـابـتـة خـارـجًا مـن المـكـان، وـهو لا يـعـلـم أن الفـسـن قـد قـرَّر أن يـكـتـب اسـم قـاتـله بـدمـه، وـلـكـن هـل سـوف تـكـفـي دـمـاؤه لـكـتـابـة اسـمـه أم سـوف تـسـبـقـه رـوحـه وتـصـعد لـبـارئـها مـبـكـرًا؟

# الفصل الأول

## حنين

6 مايو 2024 - هولندا

نسمة صيفية خفيفة هاربة من حرارة الشمس تسلت من بين فتحات نافذة ذات إطار أبيض وتطايرت بين ممرات مكتبة جامعة (أوترخت) العتيقة بهولندا والمميزة باللون الأبيض الهادئ ولكنها لم تنجح في قطع تركيز (حنين) التي تبحث في ثلاثة كتب أمامها عن تطبيق مختلف لإحدى نظريات علم النفس الإجرامي؛ وهذا هو مجال تخصصها ودراستها في تلك الجامعة، وقد اختارت هذه الجامعة لأنها من أفضل الجامعات في مجال الطب النفسي في العالم وكرست ما حصلت عليه من وراث أبيها في مصاريف رحلتها العلمية ودراستها لهذا المجال.

ظلت جالسة في المكتبة ما يقرب من أربع ساعات تبحث في تلك الكتب، لكنها لم تعثر عمّا تبحث عنه مما دفعها للإحباط في النهاية، جمعت أغراضها وإعادة الكتب مكانها، وقبل أن تصل للدرج لاحظت السيدة المسؤولة عن القسم بالمكتبة اقتربت منها وسألته بلطف:

- أعمل على بحث مهم في نظريات علم النفس الإجرامي، ولكن لم أجد كتبًا ورقية بالمكتبة قد تفيدني في ذلك بشكل الذي أرغب فيه.

- من الممكن أن تكون الكتب التي ترغبين فيها متوفرة على موقع المكتبة بصيغة إلكترونية، هناك كتب كثيرة قديمة حماية وصيانة لها ذهبت إلى مرحلة الترميم، ولكن تم رفعها على موقع المكتبة

الرسمي.

ظهر على حنين السعادة وشكرت السيدة وتحركت سريعًا نحو منطقة الحاسب الآلي بالمكتبة واختارت واحدًا غير مشغول وألقت بما تحمله بجانبها وفتحت موقع المكتبة، ولكنها تفاجأت بأنه طلب في البداية تسجيل حساب وكلما حاولت تفشل على آخر خطوة حتى تذكرت أن لها حسابًا قديمًا مفعلاً ببريد إلكتروني، أنشأته في بداية عامها الأول بالجامعة، وحاولت أن تتذكر كلمة المرور ولكنها فشلت وضغطت على اختيار نسييت كلمة المرور والذي من خلاله انتقلت لبريدها الإلكتروني القديم والذي نجحت في تذكر كلمة مروره وفي النهاية فتحتة، وتصفحت صندوق الرسائل ولكن كانت المفاجأة بالنسبة لها هو وجود رسالة مرسلة من أختها (هالة) منذ خمسة أشهر، نال الغضب منها ولم ترغب في فتحها وحدثت نفسها في حنق:

- بعد مرور أكثر من ست سنوات تتذكريني الآن، ألم يكفك ما فعلته معي، ألم أقل لك إن هذا فراق بيني وبينك، صدمة الغدر من شخص عزيز عليك لا تؤلم فقط بل تقتل إحساس الثقة في من حولك، زلزال يدمرك وتوابعه لا تنتهي، توابع تظهر مع كل شخص يحاول أن يقترب منك، فلقد تعلمت أن جميع البشر خائنون حتى يحبثوا العكس، والعكس عندما يأتي تكون قد أصبحت مُتبدل المشاعر، فيتركوك وحيدًا وكأنك جزيرة يهجرها نادمًا كل من فكر أن يسكنها يومًا.

همت بالنقر على الرسالة من الخارج كي تحذفها، وبعد لحظات من

التردد لعنت فضولها الذي دفعها عن قرارها هذا وجعلها تفتح الرسالة والتي كانت باللغة الإنجليزية ونُصّها كالتالي:

dear Neno

How r u swEety?

When cAn we chaNge realiTy and accept my apology  
do u Know how much I reaLLy Miss u ):  
pleasE forgive me darling

Hola.

### نص رسالة هالة عبر البريد الإلكتروني

لمعت عيناها أثناء قراءته، ولكن ما إن انتهت من قراءتها وتجمّدت مكانها ثم اعتلت ملامح الريبة وجهها، وأمالت رأسها وهي تنظر للرسالة وبالأخص التوقيع وحدثت نفسها في كثير من الشك:

- هل ما أراه هذا حقيقي؟ هل هذه مزحة من هالة أم ماذا؟ هالة استخدمت هذا التوقيع السري الذي كانت تستخدمه معي أثناء لعبنا معًا قديمًا بالرسائل المشفرة ما بيننا من خلال نظام الرسائل (BBM) والتي لن يلاحظها غيرنا، وكنا نستخدمه بسبب فضول زوجة والدي المفرط في التدخل في حياتنا ومراقبتها بشكل يثير الغضب والمشاكل مع والدنا، وهذا ما جعلنا نلجأ لهذه الحيلة؛ لأنها كانت تستبيح كل شيء، وليس لنا خصوصية في منزلنا وهذا تحت موافقة والدنا التي خدعته بأنها تحميننا وتحافظ علينا بتلك

الطريقة، ولكن لماذا الآن هذه الرسالة؟ وما هي تلك الرسالة الخفية فيها؟

قامت بطباعة الرسالة وأخذت النسخة المطبوعة منها إلى مقر سكنها مع مجموعة من الفتيات اللاتي يتشاركن السكن معًا، ودخلت غرفتها وفتحت مصباح مكتبها وألقت كل ما تحمله أرضًا وبدأت في التركيز في الرسالة والبدء في حل شفرتها، وذلك عن طريق أن تستخرج الحروف التي كُتبت بشكل كبير في الكلمات مع تجاهل الحرف الكبير في الأسماء الشخصية، ومحاولة معرفة هل تكون كلمة أو عدة كلمات ومع استخراج الحروف كانت كالتالي:

(H-E-W-A-N-T-K-I-L-L-M-E)

لحظات من التفكير حتى وصلت لحل شفرة الرسالة والتي كانت عبارة عن أربع كلمات إنجليزية:

"He want kill me"

أسقطت حنين القلم من يديها واتسعت عيناها من الصدمة وهي تردّد كلمات العبارة.

\*\*\*

## صديق

### (أم دُرمان - السودان)

في فجر السادس من فبراير 1880م تفت ولادتي، رفضت وتعقفت أُمي (التي لا أرغب في ذكر اسمها انتقامًا) عن إرضاعي بسبب ضعفها وهوان جسدها؛ وهذا ما كانت تخبر به الجميع، لكنها أخبرتني في زلة لسان منها ذات مرة بأن ولادتي كانت صعبة ومؤلمة بشدة لها بسبب وضعي المقلوب في رحمها، ولعنتني ألف مرة وسبتني وهي تلدني، وعندما رأته في النهاية لم تشعر بالراحة أو الترابط معي، وبذلت ثديها بعنزة ضعيفة النظر هزيلة الجسد بسبب رؤيتها المشوشة في البحث عن الطعام، ونضج جسدي على أشعة شمس الحارقة التي تتراشق فوق جلدي، ولذلك علمت أن لا أحد يتحمل هذا إلا ويصبح لعنة على من حوله انتقامًا من كل شيء، أنا مجرد ردة فعل شنيع لفعل دميم.

وفي نهاية عام 1888م بدأت عملي كعامل نظافة وراعي في إسطنبول خيول، كنت أعمل خمس عشرة ساعة في اليوم، وكانت أجرتي اليومية هي وجبتي فقط وبذلك أكون قد قلت عبئًا كبيرًا على أسرتي، فلقد كنت أكبر إخوتي، يصغرنني ستة من الصبيان ثلاثة منهم توأم، وفتاتان الكبرى تصغرنني بعام والصغرى وهي أحدثهم، عمرها شهور، فلقد كان كثرة الإنجاب شيئًا عاديًا منها رمز للفحولة وتحميت العرق والأصل، ومنها رمز لخصوبة عائلة الأم وشبابها، وفي حالة أسرتنا كان الأهم منها المساعدة على المعيشة، وقد كنا نعيش في (خور أبو عنجة) وهي قرية فقيرة من كل شيء حتى

من المشاعر، تحت حكم القيادة المهدية بقيادة (عبد الله التعايشي) خلقًا لقائد الثورة المهدية (محمد أحمد المهدي) قرية سكانها يملكون وجوهًا أنهكتها الغارات والحروب والاحتلال، كان والدي (الذي لا أرغب في ذكر اسمه احتقارًا) يغادر قبل بزوغ الفجر بساعة ويعود بعد المغرب لم أعرف يومًا مهنته أو ماذا يفعله خارج المنزل طيلة هذا الوقت، المهم أنه كان يعود في نهاية اليوم ومعه ما يمكن أن يُمضَغ فيقوم بتقسيمه علينا بيده.

وأمي تنظر له باستحياء وكأنها أفعى تقف على غش بيض نعام، وترفض أن تأخذ نصيبها وتنظر له باستخفاف وتعيدها له وتربت على كتفه في حنان مزيّف، فيتناثر غبار كتفه فوق رأسه ثم يهبط ويعود إلى سكينته عليه مرة أخرى، ووالدي يومئ برأسه لها في رضا وغباء، كانت الحمل والهموم على أبي تزداد ثقلًا كل يوم على ظهره حتى أصبح منحنيًا وحدود رؤيته خطوتين من أسفل قدميه، كان في غفلة مما يدار من خلف ظهره أو للأسف لما يدار أمامه، ترضيه أُمي في الفراش فيظن أنه امتلك مفتاح السعادة، لكنه كان سَك الخديعة على جبهته، كانت لزيارة عمي (بِشر) السر وراء كل شيء وكأنه نفحة الإنعاش لهذه الأسرة المتردية، تنعم زيارته بالبيض والدقيق، وكان هذا لأنه يعمل سمسار من نوع غريب يطوف القرى والبلدان الصغيرة بحثًا عن مراده، فهو يعمل سمسارًا لأغوات الحرم والمدينة، ووظيفته أن يبحث عن رجال ذوي صفات معينة، ثم يرسلهم للوكيل الذي يكشف عليهم ويتأكد أنهم مطابقون للشروط ومنها يتكفل بمصاريف سفرهم حتى يصل للسعودية وينضم لأغوات الحرم ويتسلم مهامه حتى يصبح أغا مثلهم، كان لعمي بِشر قوة

التأثير على الجميع بسبب هداياه أو ملابسه أو حديته عمًا يواجهه في رحلاته، وكان التأثير الأكبر منه على الأقل حديثًا معه بلسانها ولكنها الأكثر حديثًا بعينيها وهي للأسف والدتي، كل هذا ووالدي لم يلاحظ شيئًا، فلو كان كافيًا كان من الممكن أن أعذره، لكنه كان مبصرًا بعينين معصوبتين.

وفي عام 1897م وصل الخبر بقدم حملة كبيرة بريطانية مصرية للقضاء على سيطرة جيش المهدي على البلاد، ولذلك زارنا عمي بشر لغرض في ظاهره الخير والنصيحة، لكن في طياته الخُبث والدناءة، أنه علم من أحد المقربين له في الجيش المهدي أنهم يحتاجون لزيادة أفراد الجيش للتصدي للحملة القادمة، وسوف يكون التجنيد إجباريًا، واتفق زعيم القرية كي ينفذ هذا الأمر يجب أن يبقى مع كل أسرة رجل واحد بحد أقصى لمن سنّه تجاوز الستة عشرة من عمره، وفي تلك الحالة سوف يقع الاختيار بين والدي وأنا، ووالدي رفض أن أذهب للتجنيد وأن يضحي هو ويذهب بدلًا عني، ولكن كان لعمي اختيار آخر عرضه عليّ أبي وهو أن يُهزّبه ويزج به لوكيل الأغوات كي يتفادى الموت على يد البريطانيين في الحرب ويحافظ على حياته وحياة أسرته، وبعد تفكير من عقله وفحيح أُمي في أذنه وافق والدي على أن يهرب ويتركنا ووعدا أنه سوف يرسل لنا المال مع عمي، ومن الممكن أن يعود بعد أن يؤدي سنوات خدمته هناك، ويوم رحيله قبلنا جميعًا وذهب لغرفته مع أُمي كي يودع ذكورته الوداع الأخير قبل أن يفقدها برغبته تحت إشراف عمي، وذلك يجب أن يحدث قبل أن يصل لوكيل الأغوات عند حلاق الصحة بشكل سري حتى يطابق المواصفات المطلوبة.

رحل والدي ورحل السائر الأخير في بُرَقع الحياء لمنزلي، زادت بعده زيارات عمي وفضحت عين والدتي كل شيء يجري منذ زمن، وأدركت لماذا كانت تتمنع عن الأكل معنا فلقد كانت تتسلل في الليل وتأكل على مائدة عمي وتأخذ ما تستطيع أن تخزنه وتخفيه عنا كي تتناوله وحدها، كان شغلي الشاغل هو مراقبتها حتى تأكدت من ظنوني ورأيت بعيني اليقين، وقررت أن الحياة لها نعمة تلوئها كل يوم ولا تستحقها، قسيت على نفسي كي أدخر مقابل سكين أشتريه من الحداد وتابعت عن كذب جزار القرية وهو يذبح ذبيحته وكيف يختار المكان والعروق البارزة من عنق الذبيحة، وكيف يذبح بيد خاطفة ثابتة على خط مستقيم وبعده تنفجر الدماء وكأنها عين من عيون موسى، وعندما شعرت أنني مستعد لتنفيذ خطتي، انتظرت عودة عمي من السفر وعلمت بقدومه المنزل لجلب الهدايا كعادته، وعلمت أنه اليوم الموعود، انتظرت القمر ينتصف السماء حتى تسلت والدتي كعادتها، وتبعتها حتى وصلت للمكان الذي تمر منه وهي في طريقها السري للرزيلة وهو طريق اختارته هي لأنه بعيد عن عين وحركة أفراد القرية، وكان اختياري أنا لمكان بجوار نخلة تصعد للسماء بميل حاد في بدايتها، اقتربت منها بخطوات خفيفة وضربت على رأسها من الخلف، دقائق واستيقظت ونصف جسدها متدلاً في الحفرة وكأنها جالسة على حافتها، حفرة ضيقة لكنها عميقة تكفي لأكثر من طولها بباع أو أكثر قليلاً، كنت قد حفرتها وجهزتها منذ عدة أيام لها خصيصاً، يداها وقدمها مقيدة من الخلف، وحول رقبتها حبل معقود كمشنقة ومربوط بالنخلة، نظرت لي بفرع تبعتها الصدمة ثم التوسل الذي لم أنصت لحرف منه وكأنه صراخ

لشخص أصم، دفعتها في الحفرة فأصبح جسدها متدليًا بداخل الحفرة ومعلقًا بالحبل الذي حول عنقها، ورأسها خارج الحفرة وأعلى من الأرض بقبضتين يد، جلست خلفها ثم أمسكت شعرها بيدي اليسرى وجذبتها نحو صدري فصرخت صرخة مكتومة همست في أذنها:

- لم تتلي الشرف في حياتك القذرة يا أمي سوى شرف الشنق قبل الذبح.

أخرجت السكين من جيبى وبيدي اليمنى مررت السكين على عنقها أسفل الحبل مرة واحدة سريعة، انفجرت دماؤها الدنسة منه وتساقطت في الحفرة، جلست حتى توقف النزيف، ثم قطعت الحبل لتسقط في الحفرة وردمت عليها، وعدت إلى قرشتي بين إخوتي في هدوء وراحة قلب.

\*\*\*

## هالة

16 أبريل 2019

حي الزمالك

الساعة العاشرة مساءً

حديقة شاسعة مليئة بأشجار قصيرة جافة تحيط بشجرة كبيرة كئيبة لا تعمر إلا الشوك منذ وفاة مالك تلك الأرض، وفي النصف الآخر قصر عظيم الطراز كبير قد أضاف الزمن عليه الكثير من القباحة والسواد والغموض، ومن خارج سور تلك الأرض وبوابتها الحديدية، تقف أمامها شابة جميلة بزيها المتناسق تعتبر رمزًا للأناقة، وتتميز بشعرها الأسود القصير قليلًا وعيناها البنيتان الواسعتان وبشرتها البيضاء كثيرًا وطولها المتوسط والذي يتضح أنها في متوسط عقدها العشرين، تقف منتصبة في مزيج من الشموخ والدلال تعيد خصلات شعرها خلف أذنها بيد، وباليدين الأخرى تمسك الميكروفون بحرص، وعيناها تراقبان شابًا طويل القامة يقف أمامها على بُعد خطوتين حاملًا على كتفه كاميرا كبيرة، أشار بأصابع يده اليسرى العدد ثلاثة ثم اثنان ثم واحد ثم أشار نحوها والتي بدورها أخذت نفسًا بهدوء وأعادته مبتسمة قائلة بحماس:

- أهلاً وسهلاً بكم مشاهدين ومتابعين برنامج "عدسة بالفعل" معكم "هالة فاضل" من أمام بوابة قصر "عوني باشا" أو بالأحرى "صديق عوني باشا" الذي يقع في جنوب حي الزمالك، هذا القصر الذي لم يسكنه أحد منذ وفاة مالكه في بداية سبعينيات القرن

الماضي، فقد توفي صديق باشا في 6 يونيو عام 1974م، واكتشفوا جثته بعد يوم واحد فكانت وفاته حادثة أثارت جدلاً كبيراً حينها وحتى وقتنا هذا، حيث كان مشهد جثته صورة مفزعة تلاحق كل من رآها، فلقد وجدوه ملقى على فراشه غارقاً في دماؤه، وُنُهشت جثته واستُئصل قلبه، مَنْ يفعل ذلك في رجل تجاوزَ التسعين من عمره؟ وبعد تلك الواقعة المفجعة انتشر حول هذا القصر الكثير من الأساطير والحكايات المخيفة، عن سماع صراخات نسائية عالية ومتفرقة ليلاً، وهناك من لاحظ من نوافذ القصر وجود ظل لأشخاص يسرون ليلاً في طرقات القصر، قصص كثيرة يرويها الأهالي هنا عن تجارب مرعبة شخصية مروا بها مع هذا القصر أو رواها لهم أحد أقاربهم، هذا القصر الذي يتميز بمساحة أرض كبيرة، استطاع عوني باشا ذو الأصول السودانية بسبب علاقته القريبة بحاشية الملك فاروق، أن يحصل على أمهر المهندسين والمعماريين في ذلك العصر لبناء هذا القصر، وبرغم الطراز المعماري المتميز له والذي يعتبر تحفة معمارية فنية إلا أنه يعتبر مصدرَ للخوف والرعب لأهالي المنطقة ولكل من يمر بجواره، واليوم لماذا نحن هنا؟ فهذا ما سوف تعرفونه بعد الفاصل، انتظروني لن أغيب كثيراً.

زفرت بنشوة من إتقانها في إلقاء مقدمتها الشيقة بنجاح، نظرت للشاب الذي أمامها حامل الكاميرا وسألته في قليل من التوجس:

- ما رأيك يا كريم؟

- متألقة كالعادة يا أستاذة.

قالها كريم ثم أشار لرجل أن يقترب كان يقف على بُعد خطوات

منه، رجل أصلع الرأس، يرتدي جلبابًا أبيض فضفاضًا تفوح منه رائحة العنبر اليميني، ويمسك في يده اليمنى سبحة ذات فصوص خضراء تتقاذف بين أصابع يديه كل الثانية والأخرى، يقترب في تعفف وخجل من هالة التي تتابع الإشعارات القادمة على هاتفها الخلوي في تركيز شديد حتى إنها لم تلاحظ وقوفه بجانبها، لحظات وتفاجأت بوجوده وأومات برأسها تأسفًا:

- اعذرني مولانا كنت غارقة في شاشة هاتفي ولم ألاحظ وجودك، أنا آسفة.

أشرق وجهه بابتسامة خفيفة مجيئًا:

- أنا من يجب أن أعتذر سيدتي فكان علي أن أتنحى قبل أن أقرب منك بهذا الشكل الفج.

قاطعهما كريم:

- مستعدة يا أستاذة هالة؟ هل نبدأ؟ أنت جيد هكذا يا شيخ فتحي، أرجو أن تثبت مكانك وتنظر نحوي

- مستعدة جدًا

رسمت ابتسامة خفيفة ثم أخذت الجديّة من ملامحها الكثير وهي تراقب أصابع يد كريم التي تعدّ عدًا تنازليًا حتى أشار لها بالبدء فقالت في حماس:

- وعدنا مرة أخرى مشاهدي برنامجنا "عدسة بالفعل" والآن وبصحبتني الشيخ فتحي الحناوي وهو من سيخبركم بسبب وجودنا بهذا المكان المخيف؟ أهلاً وسهلاً مولانا الشيخ الحناوي.

- أهلاً وسهلاً بحضرتك ومشاهدين برنامجك القيم.

أومات برأسها ترحيباً ثم أكملت سؤالها:

- أرجو منك إخبار جمهور البرنامج ما سبب دعوتك لنا لهذا المكان بالتحديد؟

- أولاً أحب أشكرك أنتِ وطاقم إعدادك لقبولكم وترحيبكم بدعوتي، ثانياً سبب الدعوى هو نشر الوعي لأكبر قطاع نستطيع الوصول له، ولن أجد أكثر من جمهور برنامجك العظيم لنقل هدفي من خلاله، هناك الكثير من الناس الذين يكذبون ما يقال عن أفعال الجن في عالمنا البشري، والكثير منهم ينكرون وجودهم من الأساس.

زادت حدته في الحديث فأردف بغضب:

- وأنا هنا بصدد تجربة فعلية واقعية لطفلة انقلب حالها بشكل مخيف؛ فقد أصيبت بمس شيطاني، وجاء لي والدها طالباً مساعدتي حتى أخلصها مما أصابها، ولذلك أردت أن تكون تلك الجلسة العلاجية أمامك وأمام عدسة برنامجك التي سوف تسجل كل ما يحدث ليشهد مشاهدو برنامجك على الحقيقة التي سوف يرونها بعد دقائق، كلمة أخيرة "للجن قوة وغضب شديدان لسنا مؤهلين لتحملهما، ويبقى الإيمان بالله سلاحاً أمامهما لمن اتخذه درعاً".

تبلغ هالة ريقها وتجحظ عيناها قليلاً بعد كلماته الأخيرة، ثم تنظر للأمام وترد في شيء من الثقة المزيفة:

- ابقوا معنا لنعرف أكثر عن تلك الطفلة وما حدث لها بالتفصيل.

\*\*\*

# طارق

21 ديسمبر 2023

حي الزمالك

الساعة التاسعة صباحاً

بداخل سيارة كورية الصنع وعلى أنغام أغنية (لعبتك) للمطرب السوري (مجد القاسم)، ووسط دخان سيجارته المتطاير والحبس داخل السيارة يميل الضابط طارق أباطة برأسه قليلاً مع الموسيقى، وهو ضابط في أوائل سن الأربعين من عمره يتميز بنحافته الشديدة، ورغم ذلك تظهر عليه الصلابة، تنير جبهته العريضة بسبب لمعة انعكست من ضوء النهار المطل عليه من النافذة الأمامية للسيارة، وصلابة وجهه تجعلك لا تتخيل أن هذا الوجه قد يبتسم في يوم من الأيام، حاد الملامح بشكل مريب، وضيق عينيه يجعلك لا تشعر أمامهما بالراحة وكأنه يتفقد كل خلية فيك في كل نظرة تقع فيها عيناه عليك، لحظات ووصل للمنزل الذي وقعت به الحادثة التي تم الإبلاغ عنها صباحاً، أوقف سيارته بجانب سيارات الشرطة التي سبقته، ونزل من سيارته وهو يتفقد هذا المجمع المنزلي الغريب، لاحظ أن المنزل كُتبت عليه لافتة باسم (السيد جعفر فهمي) ويعتلي اللافتة رقم (1)، تحرك للداخل وسط تحركات أفراد الشرطة، وما إن وصل لباب المنزل الداخلي حتى لاحظ آثار خدوش واضحة على إطار الباب بجوار رتاج المقبض ومثله الطرف المقابل للمقبض، تفقد غرفة الاستقبال والطعام في حالة فوضى من تفتيش محتوياتهم، ثم أخذه أحد أفراد الشرطة لغرفة المكتب أو مسرح الجريمة بالمعنى

الأدق، أول ما دخل من الباب لاحظ أمامه جمّة رجل ستيّني راقداً أرضاً على ظهره في وسط الغرفة ويده اليمنى ممتدة بجانب رأسه، قدمه في اتجاه الباب ورأسه بالقرب من المكتبة الركنية التي تحتل جدارين ملتصقين من الغرفة، الجدار المقابل للباب ويسار الجمّة، وعلى يمين الجمّة المكتب وخلفه نافذة تنير الغرفة، وبالجدار الذي به الباب يوجد مقعدان عريضان مكسوان بالجلد وبينهما غُلّقت على الحائط صورة للرجل يشبه الضحية في عمرٍ أقل في دولة أسيوية ما، والمكتب في حالة فوضى تم تفتيش أدراجهِ وإخراج ما فيها.

وقف طارق أمام أحد رجال البحث الجنائي والمسؤول عن الفريق ويدعى أيمن وقد عمل مع طارق في عدة قضايا من قبل، أشار طارق له مرحّباً فدنا منه أيمن وهو يمد يده بقفاز طبي:

- القفاز يا طارق باشا.

- أشكرك.

ارتدى طارق القفاز واقترب من الجمّة النائمة وابتدأ على ركبتيه وكانت الملاحظة الأولى أن هناك آثار طعنة نافذة في صدر الضحية بالقرب من القلب، وأن نزيف الدم يتحرك نحو الإبط الأيسر مروراً بالجذع الأيسر وهذا الطبيعي عندما تكون الجمّة نائمة على ظهرها، لكنّ الغريب أن هناك خط نزيف دم جاف إضافياً كان تحركه عكس هذا الاتجاه وهذا معناه أن الضحية بعد طعنه وسقوطه أرضاً اتكأ على جانبه الأيمن ليفعل شيئاً، أمسك طارق جسم الجمّة وحاول أن يثبتها على جانبها الأيمن، فاكتشف مصدر نزيف في ظهر الجمّة بفتحة جرح أكبر من فتحة الصدر وهذا أثبت أن الطعنة كانت من

الظهر ونفذت من صدر الضحية، لتكون ضربة نافذة قاتلة من الخلف وليس من الأمام.

اتبع طارق يد الضحية الممتدة أسفل رأسه الآن في اتجاه المكتبة، وكأنه كان يريد أن يمسك شيئًا أو يزحف لشيء ما، احتار طارق في هذا الأمر قليلًا ثم نهض وطلب من رجال التصوير الجنائي الاهتمام بالتصوير لمسرح الجريمة بكل شيء ولا يتركوا أي شيء إلا ويكون محفوظًا بصورة أو دليل، لحظات من التفكير حتى سمع طارق أيمن ينادي عليه والذي كان بجوار يد الجثة الممتدة وكانت تظهر عليه علامات الاستغراب فذهب له طارق وأتكأ على ركبتيه بجانبه متسائلًا:

- ماذا وجدت؟

- انظر إلى إصبع السبابة ملوث بالدماء، لكن الغريب ما أسفله.

أشار نحو الأرض بالمكان الذي كانت تغطيه اليد ليظهر شكل يشبه حرف (H) في اللغة الإنجليزية كُتِبَ بعلاثة خطوط من الدم، أثار هذا الأمر دهشة طارق فأشار بسبابته:

- التقط صورًا عدة لهذا الشكل يا أيمن، وحاول أن تأخذ عينة من الدم الذي على إصبعه لعله يكون للقاتل، ونهي تلك القضية.

نهض طارق وهو يتنهد ثم ترجل وصعد لأعلى كي يتفحص الغرف ليجدها غير مرتبة وبالأخص غرفة النوم الرئيسية، تم فتح خزانة الملابس وبعثرة محتوياتها، وأثناء ذلك لاحظ في المرآة انعكاسًا لحركة بسيطة من شخص يقف في النافذة المطلة على الغرفة

بالمنزل المجاور، تعقد ألا يلتفت حتى يتابع هذا الشخص ليجد أنه يستغل الستائر في الاختباء خلفها، التفت مرة واحدة سريعًا نحو النافذة ليختفي هذا الشخص سريعًا دون أن يلاحظ ملامحه، اقترب من النافذة وفحص إطارها جيدًا، وتحرك للخارج ولكنه لاحظ شيئًا غريبًا أسفل الفراش بجوار إحدى قدميه اقترب منه وتفحصه بيده ليجد أنه قطعة لاصق عريض أسود مكوّم وملتو على بعضه، هذا دفعه لكي ينحني وينظر أسفل الفراش ووجد ثلاث قطع مشابهة منتورة بشكل عشوائي، نهض وتحرك سريعًا للخارج، لكنه لاحظ أن هناك التواء بسيطًا في رتاج الباب وكأنها محاولة لفتح الباب عنوة من الخارج، تفحصها جيدًا وتحسسها بأنامل يديه، ثم تحرك ونزل الدّرج وبحث عن أيمن وجده يعاين البصمات على مقابض أدراج المكتب، أشار أيمن برأسه نحو المكتب وهو يقول بيأس:

- لا أظن أن السارق وصل لمبتغاه في هذا المكتب بسبب ما أحدثه من فوضى.

- تابع عملك واحصر كل البصمات التي تجدها هنا، وعندما تنتهي أخبرني حتى أصعد معك لأعلى، وبالأخص غرفة النوم الرئيسية فلقد وجدت بها أشياء يجب فحصها.

أوماً أيمن بالموافقة وكاد أن يتركه ويعود لعمله لكنه تذكر شيئًا ما، ربت على كتف طارق:

- وجدت شيئًا يجب أن تراه، تعال معي.

أشار بسبابته نحو أسفل الإطار السفلي للنافذة حتى رأى أمامه بقعة دم جافة، هذا غير بقعة أخرى على الأرض أسفلها مباشرة،

اقترب طارق مدققًا فيها وسأل في فضول:

- هل يمكن أن تحدد متى حدث ذلك؟

- ليس أكثر من شهر، لكنني سوف أتأكد أكثر من هذا الاحتمال.

شعر طارق أنه يحتاج إلى تدخين سيجارة لكي يفرغ فيها الأفكار التي اجتاحت عقله، ترجّل للخارج بخطوات حريصة على ألا يفسد شيئًا في مسرح الجريمة، ووقف في حديقة المنزل وأشعل سيجارته وأفرغ دخانها في السماء رافعًا رأسه لأعلى ليتفاجأ بأن هناك سيدة تقف خلف نافذة منزلها في الطابق الأول وهي نفس النافذة التي كانت تراقبه وهو بغرفة النوم الرئيسية، لاحظ أنها تنظر له وتبتسم ابتسامة استفزت طارق جدًا، ولكن كسر هذا نداء أيمن الحماسي له:

- طارق باشا.

- خيّر يا أيمن؟ ألا يمكنني أن أكمل دقيقة واحدة أنهي فيها سيجارتي!

أشار أيمن معتمدًا واقترب منه ومد يده وأعطاه صورة صغيرة وُضعت في حافظة بلاستيكية وأخبره بجدية:

- وجدناها في جيب المجني عليه.

أمسك طارق الصورة منه والتي رأى فيها رأس سيدة مفصولة في مبرد، الغريب والذي أثار صدمته أنها تشبه السيدة التي طلّت عليه من النافذة، فرفع عينيه لأعلى مرة أخرى فوجدها ما زالت واقفة تنظر له وتبتسم ابتسامتها المستفزة، تفاجأ أن أيمن بجانبه قد ضمّ هو الآخر عندما رآها وشهق متعجبًا.

## الفصل الثاني

### حنين

وصلت حنين مطار القاهرة بعد أربعة أيام من فتح رسالة هالة وهي ما زالت في حالة من الحيرة والشك يمتلكها الفضول لمعرفة حقيقتها، برغم أنها حاولت الاتصال بها عدة مرات على الرقم الذي كان معها، لكنها وجدته مغلقًا، أوقفت سيارة أجرة وطلبت منه الوصول لمنزل أسرتها والذي تركته لهالة بعد أن تحايلت عليها في الميراث بسبب أنها كانت قاصرًا عند وفاة والدهما ولم تعطها حقها كما يجب وكان أولهم رفض هالة لبيع المنزل مهما جلب لها من مال؛ لأن ما فيه من ذكريات لا يُقدَّر بعمن، وكانت هي على عكسها تمامًا ترغب في أن تحصل على حقها بأي شكل وتبيع كل ما لها في مصر وتسافر لكي تكمل حياتها العلمية والمهنية بالخارج، حتى وصل الخلاف إلى مفترق الطرق بينهما والقطيعة لسنوات.

وصلت حنين للمنزل ونزلت من سيارة الأجرة ونظرت لهيكله الخارجي بإحساسين متناقضين وهما الشوق لذكريات الطفولة والكره لخسارتها المادية، حاولت أن تركز في هدفها من هذه الزيارة وأكملت خطواتها نحو باب المنزل، وطرقت الباب عدة مرات ولكن لم يفتح لها أحد، حاولت أن تصب تركيزها حتى تنصت لأي صوتٍ قادم من الداخل ولكن لم تسمع شيئًا، فعادت خطوتين للوراء وتفحصت النوافذ بحثًا عن أي حياة تسكن هذا المنزل لكن النوافذ مغلقة، شعرت ببعض اليأس والإحباط وخرجت من بوابة منزلها، لتسمع صوتًا نسائيًا ينادي:

- حنين، يا حنين.

فالتفت يمينًا ويسارًا لكن لم تجد شيئًا، تكرر النداء مرة أخرى وانتبهت هذه المرة عن مصدر الصوت القادم من خلف حديقة المنزل المقابل لمنزلها، رأت وجه سيدة عجوزة مختفيًا وغير واضح بين غصون أشجار سور منزلها تلوح بيديها نحو حنين التي انتبهت لوجودها وتذكرتها فهي السيدة (سهام فخري) مثلت أدوارًا بسيطة في أفلام قليلة في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولكن بسبب حادث سيارة أصبحت قعيدة على كرسي متحرك وبسببه ابتعدت عن الأضواء ونساها المجال الفني متعمدًا، لكنها تعيش على ذكرياته وغير متقبلة لتلك الحقيقة ورافضة أن تعيش الواقع، تذكرتها حنين وعبرت الطريق لسور منزلها وأشارت السيدة سهام لها أن تلف وتدخل لها من الباب، نفّذت حنين طلبها ودخلت عليها وجدتها وسط زهورها وبستانها الخاص بأناقته المعتادة ورغم تجاعيد الشيخوخة التي سيطرت على ملامحها إلا أنها زينتهم بشكل كامل بمستحضرات التجميل، تجلس على الكرسي المتحرك وهي تحتضن مجلة الكواكب لعددٍ قديم اصفرت أوراقه وبُهِتت ألوان غلافه ضاقت عيناها المكحلتان بعناية وهي تبسم لحنين وفردت ذراعيها لها، دنت منها حنين بحماس وارتمت في حضنها فعادت بذكرياتها للماضي لنفس هذا الحزن بنفس الحنية والدفع والجسد الذي تفوح منه رائحة الياسمين النابع من عطرها المعتق، لحظات من السكينة وعادت حنين من الماضي واستعادت وعيها للواقع الجاف الذي فقدت بسببه الحنان الذي يوفره هذا الحزن، رفعت رأسها لكن أمسكت السيدة سهام وجهها بكفيها ونظرت في عينيها مباشرة

بلمعة واضحة:

- اشتقت لك كثيرًا يا حنين، أصبحت بعيدة وتعلمت القسوة سريعًا، هل من الممكن تتحول زهرة الأوركيد إلى صبار بهذه السهولة؟

عدلت حنين في وقفاتها ثم تحركت جانبًا كي تداعب أوراق زهرة ودنت منها واستنشقتها ثم التفت ونظرت لها وقالت بنبرة ملؤها السخرية:

- الطابع البشري استطاع بمهارة أن يفسد الكون كله بأرضه وسمائه ومحيطاته، فهل سوف أعصى عليه أن يفسدني؟

- غريبة يا حنين، لقد أصيبت روحك بالشيخوخة المبكرة وأنت مازلت شابة، ماذا حدث لكما يا بنات فاضل هل أصابتكما لعنة ما؟ الكبيرة تبدلت من أميرة متوجة إلى هيكل أنثى ممسوسة، والصغيرة المرححة وكأنها بهجة تسير على قدمين أصبحت تتحدث كأنها أرملة في مقهى العانسات الأزلي.

استطاعت كلمات السيدة سهام أن تجذب انتباه حنين التي انقلبت ملامحها مستغربة ودنت منها متسائلة في فضول:

- ماذا حدث لهالة؟ متى رأيتهما؟

دفعت السيدة سهام عجلة المقعد المتحرك إلى إحدى الزهور بجانبها وأمسكت زهرة ذابلة ولمستها بحنان بأناملها وهي تجيب في حزن:

- منذ فترة قريبة كنت كعادتي في الحديقة أعني بها، ولاحظت خروج سيدة من باب منزلكم هيئتها غريبة تضع على رأسها وشاحًا

أسود، عبرت الباب الخارجي ووقفت تنظر حولها حتى لاحظت وجودي ورأيت عينيها تترصدني، عبرت الطريق فجأة بخطوات سريعة، فزعت وحاولت العودة للداخل ودفعت عجلة المقعد، لم أرغب أن ألتفت للخلف وأرى هل تلحق بي أم لا، لكن صوت حذائها كان قد أجابني بسرعة لم أتخيلها، وقبل أن أصل لعتبة باب منزلي، ثبت المقعد مكانه بسبب قبضتها عليه وعلمت أنها لحقت بي وٹمسك بالمقعد فالتفت مرغمة لاكتشف أن هذه السيدة هي هالة؛ فلقد أصبحت شاحبة البشرة ونحيلة الجسم وهزيلة الجسد وعيناها جاحظتان ويحيط بهما هالات سوداء، مدت يديها ولاحظت خدوشًا في ساعدها فعدت برأسي للخلف متوجسة منها، لكنها فاجأتني وارتمت في حضني لحظات سمعت فيها بكاءها، الصدمة أثلجت لساني ولم أفعل شيئًا سوى أنني تصلبت مكاني، ثم تركتني وغادرت، وبعد أن تابعت خطواتها للخارج نظرت لي وهي تمسح دموعها وركبت سيارتها وغادرت، ولم أرها بعد ذلك، لكنني لاحظت أنها تركت لي على هذا العدد من مجلة الكواكب كعادتها، كانت لا تأتي لزيارتي إلا وهي جالبة لي عدد من مجلة الكواكب يخص فترة تألقي في الستينيات والسبعينيات كما تعلمين.

أومات حنين برأسها مؤكدة وهي مستغربة وكأن هذا الوصف لهالة يفسر لها أسلوبها المتغير والمختلف في رسالتها لها، ولكنها لم تعلم ما سر لغز هذه الرسالة ومن يرغب في قتلها، فالتفت للسيدة سهام وسألته بكمير من الفضول:

- هل تعلمين أين يمكن أن أجدها الآن؟

- لا أعلم فزيارتها الأخيرة جاءت بعد فترة غياب وانقطاع عن المنزل.

نظرت السيدة سهام للأسفل، وأكملت بنبرة حزينة:

- وعني أيضًا، لا أعلم أين انتقلت؟ حتى إنها لم تظهر على التلفاز منذ فترة طويلة، هجرتني مثلك تمامًا، وكأنكما اتفقتما على ذلك.

اقتربت منها حنين وقبلت رأسها وهي تربت على ظهرها، ثم أمالت رأسها وابتسمت:

- لا تغضبي مني أنا أسفة، التي كانت السبب في هجرتي هي السبب في عودتي وأنا لا أعرف لماذا أفعل ذلك، حقًا لا أعرف.

- تفعلين ذلك لأنك تحتاجين له حبيبتي.

قبلت حنين يدها وتحركت مغادرة المنزل وهي تقول بحماس:

- سوف آتي لك قريبًا لن أغيب عليك مرة أخرى.

- أتعدينني بذلك؟ فلأسف قد لوّث الدنيا براءتك ويجب أن أجدد ثقتي فيك؟ هيّا عديني كما كنت تفعلين أنت وهالة معي في الماضي.

ضحكت حنين ونظرت لها وأشارت نحو رأسها وكأن سبابتها فوهة مسدس:

- أعدك أنني سوف أعود لك في أقرب وقت.

ابتسمت السيدة سهام وألقت لها بقبلة على الهواء، وما إن التفتت حنين حتى سمعت نداء السيدة سهام لها، نظرت لها ووجدتها مادة

يدها نحوها وهي تمسك مفتاحًا، اقتربت حنين منها وأمسكت  
المفتاح لتجد ورقة صغيرة لاصقة عليه كُتب فيها (يُسلم إلى حنين)،  
نظرت للسيدة سهام بفضول واستغراب.

\*\*\*

## صديق

لم يكن غياب أمي بالحدث الجلل الذي يؤثر على أسرتي، فلقد استطاعت بتربيتها الجافة معنا أن نستغنى عن أمومتها شيئاً فشيئاً كما هي استغنت عن بنوتنا، فلقد كانت ما إن تقطم رضيعها حتى ترميه في حضن أكبر إخوتي البنات (سنابل) كي تكون مسؤولة عنه حتى يستطيع أن يقف على قدميه وتنشف أظافره وحينها تأمرها أن ترميه بين يدي صاحب مزرعة أو متجر أو إسطل كي يعمل ويبحث عن لقمة عيشه خارج منزلها الهش، وفي نهاية كل ليلة كنت أراقب عيون إخوتي باحثاً عن عين تفتقد والدتي، وكأنه شيء متوقع أن ترحل وتتركنا في أي وقت حتى لو كان والدي ما زال في البلاد وخبر رحيلها عنا خبر يمكن أن يحدث في أي وقت، وكأنهم شاركوني في قتلها وهم يعرفون جريمتها البشعة وعلى يقين أنها تستحق هذه النهاية مملي، الكل الآن أصبح منشغلاً بقوت يومه فقط، وهذا بفضلها فلقد علمتنا الأنانية لكي تكون هذه النتيجة في النهاية.

حتى بين الجيران وأهل والدتي لم يكن خبر رحيلها المفاجئ بالشيء الغريب، الكل يعلمون السبب، ولم يجروا أحد أن يتحدث معنا بخصوص ذلك، ولم يعرض أحد مساعدتنا، من الغبي الذي يعرض المساعدة أو تحمل مسؤولية تسعة أولاد؟ الكل ابتعد وظل يراقب من بعيد لعل الوالد يعود أو أي نفحة من بلاد الحرم قد تأتي تنتشلنا، ولم تطل الغيبة وجاء الخبر في جوف عمي الذي على غير عادته في زيارته السابقة، جاء بوجه عبوس وفارغ اليدين من الهدايا وارتمى على الأريكة وتنهد تنهدات طويلة وبطيئة وهو يتأمل المنزل

ويتفحصه بعينين ملؤهما الحزن والحسرة، فنهضت وتقدمت نحوه  
بعد أن طلب كوبًا من الماء:

- خير يا عمي، أراك على غير عادتك؟

- وكيف يأتي الخير ووالدتك غائبة عن مملكتها!

ابتسمت ساخرًا ودنوت بجانبه، وجلست وربت على قدميه بحنو:

- لا تحزن يا عمي، رغم أنني لا أثق في وجود التفاؤل، لكن أشعر  
أنها قد تعود.

- أتمنى ذلك. فوضع الأسرة في الوقت الحالي أصبح يحتاج  
وجودها بشكل ملخ.

شعرت بأن نبرته الحزينة تخفي شيئًا غير حزنه على رحيل  
والدتي، فسألته بفضول:

- لماذا تقول ذلك يا عمي؟

نظر لي ثم شرب ما في الكوب من ماء حتى أفرغه، ثم نهض  
وأجاب بحزن:

- لقد أمسك جنود المهدية قافلة الأغوات قبل أن ترحل من البلاد  
ولا أعلم شيئًا عن مصير والدك.

قالها وهو يعطيني ظهره، لم يجرؤ على قولها في عيني، وكأنه  
يعلم أنني على دراية بخطته مع أمي وأنه اتفق معها على أن يوشي  
لجنود المهدية عن قافلة الأغوات وبالأخص هروب والدي وسطها  
فرازا من التجنيد، وطلبت منه والدتي بكل جبروت وفُجر أن يتم

ذلك بعد عملية إخصائه حتى تضمن نهايته على أحد الأمرين أولاً على يد الإنجليز في الحرب، وثانياً إذا نجح في الهرب منهم سيظل مطارداً طيلة حياته وإذا فكر في العودة للمنزل لن يستطيع أن يرفع عينه فيها فيعيش ذليلاً أمامها، وكان هذا الحديث في الليلة التي تسبق قتلها، سمعتها بأذني وأنا أتحدث عليهم.

رحل عمي معتذراً أنه لم يجلب لنا شيئاً أو يساعدنا بشيء فالحرب ضربت التجارة وقطعت الطرق وهو ليس في أفضل حال، غادر أمام عيني برأس مكسور لامعة من شدة الحرارة والتعرق، غادر وغادرت معه رائحة الخيانة، فكرت ملياً أن أقتله، ولكن كيف أعاقب اللص على جريمته وأنسى الذي فتح له الباب أو ترك له الباب مفتوحاً أو موارباً متعمداً، لو لم يجد من أمني التجاوب ما كان طاح بخياله التقرب منها، فالرجل ليس المخطئ في هذا الأمر، الأنثى هي التي تستحق اللوم والعتاب والعقاب والموت، لذلك تركته ولم أنفذ فيه حكم الموت.

أصبحت سنابل أمنا الثانية، ولكنها على العكس منها كانت أقرب وأحن على إخوتي رغم حديتها الحاد إلا أن حديثها تذوب سريعاً بالكلمة الطيبة، حتى جاء يوم وعدت متأخراً من الإسطنبول، فدخلت المنزل ولاحظت أنها تنتظرني بالداخل واقفة بحاجب مرفوع وعاقدة يديها، فسألني بغضب:

- أين كنت يا صديق؟

نظرت لها وأنا متعب جلست أرضاً وأسند ظهري على الحائط، ما إن رأني هكذا حتى هدأت ملامحها واقتربت مني واتكأت على

ركبتها وربت على رأسي، ثم همت في حزن:

- كيفينا ما خسرناه حتى الآن ولقد انتشرت الأقاويل أن الإنجليز يدكون الجيش وعلى مشارف البلاد، أنت آخر عامود يستند عليه هذا المنزل، فلا تكن السبب في هدمه علينا بفكرك الطائش.

- لا تقلقي فنحن مجرد فتات أسرة تنتظر ملتهمها.

نهضت ودخلت فراشي كي أستريح وأغفو وتركتها مصدومة تحاول فهم الواقع الذي ألقته به في وجهها، يومين وتأكدت من صحة المعلومات التي أخبرتني بها سنابل بطريقة غير مباشرة من مالك الإسطنبول السيد (إدوين) الذي كان يعطف عليّ ورأى في ذكاء وسرعة بديهة وعلمي الكثير من الكلمات الإنجليزية، حتى استطعت أن أتحدث عدة جمل بسيطة وأستطيع فهم الكثير من الحديث فيما يدور حولي، ومنه علمت أخبار الجيش الإنجليزي، وفي يوم أرسلني السيد إدوين إلى السوق لشراء عدة أشياء وشاهدت هناك سنابل وكانت تتحدث بأسلوب به رعونة ودلال مع أحد البائعين، كانت عيناها تلمعان من السعادة، علمت ما تعنيه وأدركت كم تغافلت عن حقيقة أن سنابل أصبحت في مصيدة الرذيلة، وقررت أن يكون شغلي الشاغل الفترة القادمة معرفة حقيقة ما أظنه هل هو يقين صائب أم شك أعور.

في نهاية 1899 سقطت الدولة المهدية بقيادة عبد الله التعايشي أمام الغزو المشترك بين بريطانيا ومصر بقيادة اللورد (كيشتر)، وأصبحت البلاد تحت رحمتهم حتى الإسطنبول الذي كنت أعمل فيه سوف يؤول لمالك إنجليزي جديد بدلاً من السيد (إدوين)، إنه المالك

الجديد للاسطبل اللورد (كروس بيرل) طل علينا بعربته البيضاء ونزل منها بعبات وشموخ، كان رجلًا أربعينيًا أبيض البشرة صلب الملامح ذا شارب بني كثيف بأنف كبيرة وجبهة بيضاء عريضة خُط أسفلها حاجبان كثيفان، ملبسه العسكري أنيق ومنمق بشكل ملفت، حذاؤه يضيء من لمعانه، وكانت هناك حفلة أعدت على شرف استقباله وبها ما لذ وطاب وأهالي القرية والإنجليز سوف ينشغلون بها، طلبت مني سنابل وألحت عليّ أن تأتي خلصة لتشاهد الحفلة وما يحدث فيها من موسيقى ورقص وصخب، وافقت بعد تفكير ولكنني أخبرتها ألا تخبر أحدًا واستقبلتها في باحة الإسطبل الخلفي، وأمرتها أن تتبعني حتى وصلت لغرفة التي تستخدم لولادة الفهر، التفتت حولها واستغربت المكان، وبالأخص عندما رأت أمامها حفرة تقع في الزاوية، فنظرت لي والفضول يقتلها:

- ما هذا يا صديق؟

نظرت إلى يدي التي تلف الحبل بين قبضتي وبلعت ريقها ورأت في عيني الغضب، حاولت أن تهرب، لكنني جذبتها من شعرها، وكتمت فمها بيدي، وهمست في أذنيها:

- مهما صرخت لن يسمعك أحد، الموسيقى والاحتفالات أنتجت ضجيجًا يسد الأذان.

سحبته ولفيت الحبل حول عنقها ثم دفعته بقدمي لتسقط في الحفرة التي تفوقها طولًا ولا تتسع إلى لجسم في حجمها، أصبحت معلقة بين قبضتي، سمعت من بين حشجة أنفاسها كلمة:

- لماذا؟

- راقبتك لمدة شهرين وتأكدت أنك على علاقة مع تاجر الزيت  
وتحدثين معه وتدلين كحبة قذرة، وكان يجب الخلاص منك كأي  
أنثى فاجرة، والآن يمكنك أن تخبري أمنا أنك طمعت في ميراثها كله  
من النجاسة والغهر، لأنك عاهرة بنت عاهرة.

أنهيت كلامي وكانت قد فارقت الحياة لتلحق بوالدتنا في محرابها  
بجهنم، تركتها لتسقط في الحفرة، لكنني تفاجأت بظل رجل يظهر  
بجانبني فالتفت بوجه مذعور لأجده السيد كروس ينظر لي بعين لا  
ترمش.

\*\*\*

## هالة

غرفة ذات لون أخضر باهت، بها نافذة مفتوحة على مصراعيها تنتصف الحائط وتعلو أريكة قديمة تجلس عليها هالة التي تحاور شخصًا بجانبها يرتدي جلبابًا رماديًا تنسال دموعه على إحدى وجنتيه لتبلل شاربه الأسود الكثيف، وبجواره تجلس طفلة صغيرة في ثبات، لا تعير دموع والدها الجالس بجانبها اهتمامًا، وفي منتصف الغرفة كريم حامل الكاميرا يسجل الحوار الدائر، وخلفه يقف الشيخ فتحي الحناوي تتقاذز من بين أصابعه حبات السبحة بسرعة، وفمه يردّد كلمات صامتة وعيناه ترصدان عين الفتاة الجاحظة التي لم تلاحظ سواه في تلك الغرفة منذ دخولهم، وكأن الغرفة أصبحت خاوية وخلت من كل البشر إلا منهما، ولا تسمع إلا صوت أنفاسه، تشير هالة للرجل أن يهدأ:

- تمالك أعصابك أكثر من ذلك يا عم (حسنيين)، واحك لي منذ متى بدأت تلاحظ تغييرًا على تصرفات طفلاتك (فرحة)؟

أخذ شهيقًا طويلًا وهي يمسح وجهه ثم أردف وهو يشير نحو ابنته:

- منذ ما يقرب من أسبوع، وبعد أن أقفلت كشكي الصغير الذي يُعتبر باب رزقي الوحيد فهو يقع بجوار باب هذا القصر أظن أنكما قد لاحظتماه بالخارج، دخلت لأجد زوجتي تصرخ فيّ قائلة إن ابنتنا فرحة مختفية مما يزيد عن ساعتين، وبحكم أني ورثت حراسة هذا القصر المهجور عن والدي الحاج إبراهيم فهو موطني ومسكن أسرتي الوحيد منذ زمن فبالأكيد ابنتي تلعب هنا أو هناك،

هرولت أبحث عنها بين أشجار حديقة القصر وفوقها لكني لم أعر على شيء، وما إن اقتربت من البهو الخلفي للقصر حتى لاحظت أن الباب الخلفي للقصر مفتوح، وبرغم أن والدي قد حذّرني كثيرًا من دخول هذا القصر، ولكن حياة ابنتي أغلى عندي من كل شيء حتى أنا، فجريت نحوه ودخلت وأنا أتحمس خطواتي من شدة الظلام، فتجرات لعلّ تكون فرحة قد دخلت بسبب فضولها المستفز الذي نعاني منه أنا ووالدتها، فناديت عليها لكن ما ردّ على ندائي ليس صوتها إنما مواء قطّة، لكنه مواء غريب لم أسمع مثله من قبل، كنت قد وصلت لبداية درج للقبو بالأسفل، تذكرت أن بجيبي قداحتي فقمّت بإشعالها كي تنير طريقي، نزلت الدّرج في حرص وتوتر وأنا أنادي على فرحة وصوت المواء الغريب يعلو بعد كل مرّة من لفظ اسمها، حتى وصلت لنهاية الدّرج فلاحظت آثار أقدام صغيرة ملوثة بالدماء تخطو نحو الأمام.

هنا اقترب الشيخ فتحي بخطوات قليلة نحو فرحة التي لم تحرّك طرفًا ووالدها أردف حديعه وهو يرتجف من البكاء:

- تابعت تلك الخطوات وأنا أرتعش خوفًا ما إن وصلت للخطوة السادسة على ما أذكر، وتوقفت آثار الأقدام لتبدأ بركة من الدماء ذات اللون الأحمر الداكن وفي وسطه وجدت فرحة ابنتي ساجدة على الأرض، وتضرب برأسها بها كل تارة وأخرى، لم تنصت لندائي أو نهري لها، فدنوت منها قليلًا وجذبتها من ثوبها من الخلف حتى رُفعت رأسها عنوة، وكانت الصدمة لي عندما علمت إنها لم تكن تضرب رأسها بالأرض، بل كانت تنهش لحقًا نيئًا لقطة صغيرة مسلوخة، والدماء تلتخ ثوبها وتتساقط من فمها وأسفل ذقنها،

نظرت لي غضبًا جف الدم في عروقي خوفًا، عينان لم أر مثلهما  
عينين؛ بلا حياة، كان بياض عينيها يزداد، من نظر لي كان شخصًا  
آخر وليس فرح ابنتي أبدًا.

زادت رعشة حسنين كثيرًا فحاولت هالة أن تقلل من حدة ما  
أصابه قالت في تودد:

- لا تقلق يا عم حسنين ياذن الله الشيخ فتحي الحناوي سوف  
يخبرنا ماذا أصاب ابنتك فرحة، وكيف سيعالجها؟ قل إن شاء الله.  
- إن شاء الله.

قالها حسنين بكثير من اليأس، مالت هالة برأسها مبتسمة، وأشارت  
نحو فرحة وهي تسأله في جدية:  
- أهي لا تتحدث من يومها؟

- نعم، وأصبحت غريبة بعض الشيء، لم تنم من يومها، لا تشرب إلا  
اللبن، تنظر لنا جميعًا بغضب مخيف، وجهه من الجنس.

تفاجأت هالة من خلف كتف حسنين الذي يميل بجذعه نحوها  
قليلاً، وجدت رأس فرحة تدور نحوها وانقطع ترصدها لعين الشيخ  
فتحي وانتقل الترصد لها وحدها وعيناها تلمعان لمعة مخيفة، لأول  
مرة تشعر هالة بخوف شديد، لاحظ حسنين عدم انتباهها له ورأى  
في عينيها أنها مشتتة بشيء خلفه، وما إن إستدار حتى فوجئ  
بفرحة تنحيه جانبًا بيديها، فرجع بظهره للخلف وقفزت على هالة  
فجأة وجلست على خصرها، سلمت لها هالة نفسها دون مقاومة تذكر  
من الصدمة والرعب، ثم دنت بوجهها المخيف من وجه هالة التي

لم تستطع فعل شيء غير أن تتنفس بصعوبة، ثم دنت أكثر من أذنّها  
اليسرى وهمست فيها:

- الهيص.. صر...

لم تفهم هالة ما تعنيه ولكن لم تكررّها ثانية، وذلك بسبب محاولة  
حسنين حملها عنها، لكنها باغتته بعض يديه بعنف دون هوادة أو  
تفكير، حاول الشيخ فتحي أن يساعده فيما يفعل لكنه لم يلحق بها  
لأنها قفزت من النافذة التي كانت تعلوهم، فهرول الشيخ فتحي  
خلفها من الباب، وهالة تحاول أن تلم شتات عقلها، وساد الذعر على  
المكان، واقتربت والدّة فرحة من حسنين لتطمئن عليه وترى درجة  
إصابته، وما إن اقترب كريم من هالة ليطمئن هو الآخر عليها حتى  
وجدها تقول بجديّة:

- هيا بنا خلف الشيخ فتحي، افتح الكاميرا مرة أخرى واستعد  
لتسجيل أي شيء، أي شيء يا كريم.

- هيا بنا أنا مستعد.

\*\*\*

## طارق

لاحظ طارق أن الدهشة أصابت أيمن هو الآخر وظل ينظر للصورة ويرفع نظره لأعلى يقارن الشبه بينهما حتى أسدلت السيدة الستارة على النافذة واختفت، سحب طارق نفسًا طويلاً من سيجارته وأخرجه ببطء وقد دارت في عقله أسئلة عدة أولها: ما حقيقة هذه الصورة؟ ولمن تعود هذه الرأس؟ أين هي؟ ما سر هذا الشبه بين الرأس والجارة الغربية؟ ولماذا كانت هذه الصورة في جيب القتيل؟ أسئلة كثيرة أضافت على القضية الغقد ولهذا التفت لأحد مساعديه وأشار له أن يأتي فجاء مسرعًا وألقى عليه التحية العسكرية فقال له بنبرة أمرة:

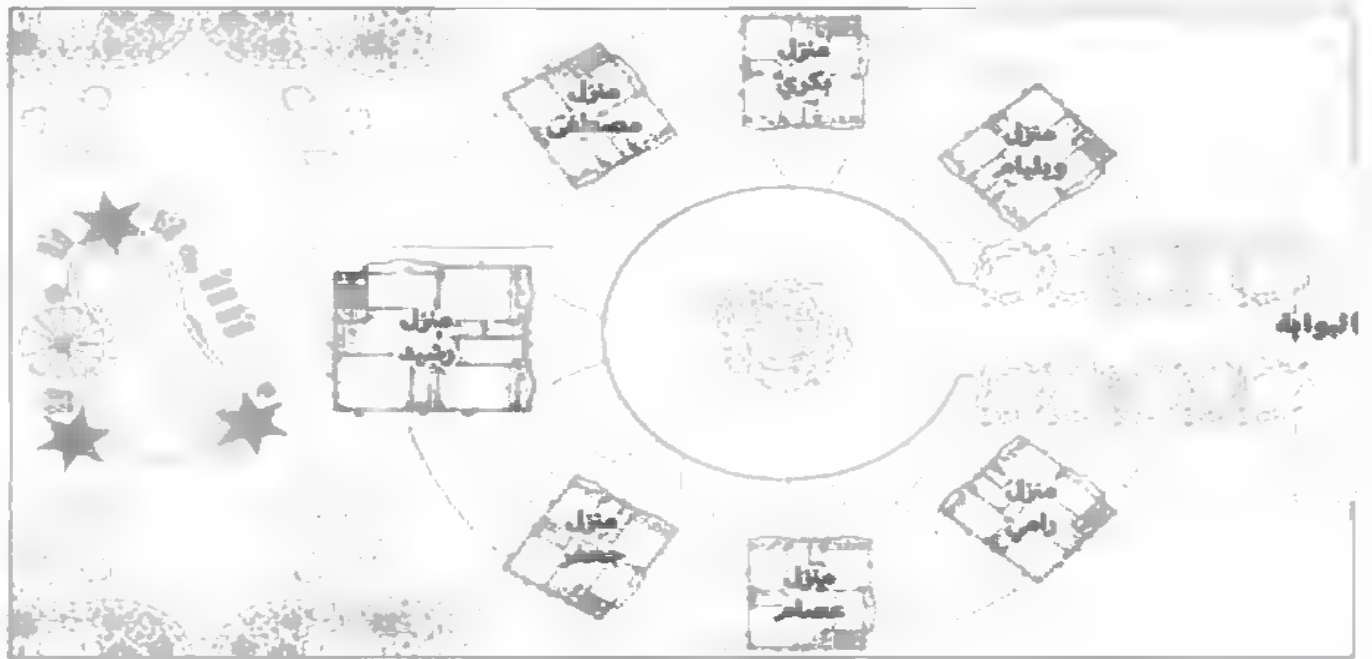
- أغلق بوابة هذا المجمع ولا يخرج ولا يدخل منه أحد إلا بإذني أنا شخصيًا حتى أنتهي من التحقيق، وأطلب من القسم قوات إضافية للأحاطة بهذا المجمع ومراقبته جيدًا.

- تمام يا أفندم.

ثم أشار له بحدة:

- أحضر لي أفراد أمن البوابة حالًا.

يخرج طارق سيجارته العائية وهو يتحرك بخطوات ثابتة يتفحص هذا المجمع السكني الغريب الذي يتكون من سبعة منازل، ستة يصطفون على الجانبين في شكل دائري، وبالمنتصف المنزل السابع وهو الأعلى ارتفاعًا أمامه حديقة في المنتصف وخلفه بركة مياه للسباحة.



### مجمع هاردلي هاوس

مجمع سكني صغير اختار مكاناً غريباً في وسط حي قديم لكي يكون موقعه، مُحاط بسور عالٍ لحمايته من السرقة وعليه كاميرات مراقبة تراقب السور فقط، حاول طارق أن يبحث عن أي كاميرات مراقبة داخل المجمع ولكنه لم يعثر على أي شيء، سمع من يتنحنح بجانبه فالتفت له ليجد مساعده ومعه رجلان يرتديان ملابس الأمن لحراسة البوابات، الأول قصير بعض الشيء يظهر عليه التوتر، والثاني جسمه رياضي وحليق الرأس، نظر لهما فقال مساعده في جدية:

- هذان المسؤولان عن أمن البوابة سيادتكم.

أوماً طارق برأسه له لكي ينصرف وبالفعل نفذ طلبه وتركه مع الرجلين، ظل يراقبهما وهو يشعل سيجارته وينظر لعيونهما لعله يجد

شيئًا ما، زفر دخان سيجارته وقال في جدية:

- يجب أن تعوا جيدًا أننا أمام جريمة قتل، جريمة في مجمع صغير والمسؤولين عن أمنه هو أنتما، وأنتما بالنسبة لي أول المشتبه بهم، هذا إلا...

توقف طارق ليرى التوتر الزائد عليهما وبالأخص الرجل القصير الذي كان يرتعش من الخوف، ظل يتلهف لمعرفة شرط طارق الذي انشغل بسيجارته ثم زفر وأردف بهدوء وحدة:

- إلا إذا تعاونتم معي وأخبرتموني بكل شيء تعرفونه، وأنا أعي جيدًا ما أقوله، فمن الممكن شيء بسيط يخرجكم من هذه التهمة.

ثم أشار بسبابته نحوهما وأردف:

- لا أريد أي تلاعب معي، كن صريحًا حتى تنجو بحياتك.

- أنا تحت أمر سيادتك في أي شيء ينجينا من هذه التهمة.

قالها الرجل القصير في خوف وتردد فنظر له طارق:

- جيد، ما اسمك؟

- أنا رضا.

فنظر طارق للرجل الآخر وسأله:

- وأنت؟

- خاطر يا باشا.

مد طارق يده بعلبة السجائر نحوهما فأخذ خاطر واحدة واعتذر

رضا، ثم بدأ طارق يتحرك وبجانبه رضا وخاطر يتبعانه، ثم تنهد  
وسألهما:

- ماذا تعرفان عن صاحب هذا المنزل؟

لحقه رضا سريعًا وجاوبه:

- ما أعرفه عن جعفر باشا أنه كان يعمل في السلك الدبلوماسي  
قبل أن يتقاعد، متزوج من السيدة ثريا وليس له أولاد.

نظر طارق نحو خاطر الذي يدخن السيجارة في جدية وأشار  
عليه:

- مثلما أخبرك رضا، وهذا غير طباعه الغريبة، لكن هذا عملنا ويجب  
أن نتقبل أي إساءة من الملاك.

نظر له طارق مستغربًا ولاحظ أن رضا بدأ يدعك ويفرك بين أصابع  
يده، وهو يتابع خاطر بنظرات متسعة تشع قلقًا، لكن طارق قرر أن  
يفهم أكثر منه:

- ماذا تقصد؟

- كان السيد جعفر عصبي المزاج وسببًا بشكل غريب، يهين ذباب  
وجهه ويلعن شرفه طول الوقت، وبالتأكيد لم نرحم من لسانه أنا أو  
رضا، في دخوله أو خروجه من البوابة أو اللقاء معه صدفة في أي  
شبر من هذا المجمع، الجميع هنا ينفرون منه ولا يختلطون معه، كله  
بسبب لسانه اللعين، وأعتقد أن لن ينتاب أحد من سكان هذا المجمع  
الشعور بالحزن عليه.

يظهر على ملامح طارق الاستغراب:

- لهذه الدرجة؟

- نعم وأكثر.

قالها خاطر مؤكدًا، ثم سأله طارق في حدة:

- هل تقصد أن موته خبر سعيد عليهم لهذا الحد؟

- نعم يا سيدي، فلقد كان السيد جعفر ينتقد سلوك أي أحد من سكان المجمع بأسلوب حاد وقاس وأحيانًا مهين ويتدخل في شؤون الجميع وكأنه يريد أن يكون الوالي والحاكم على هذا المكان، وهذا الأسلوب رفضه الجميع.

وضح على خاطر الثقة، فنظر طارق لرضا الصامت المتوتر وسأله:

- هل كان سيئًا لهذه الدرجة يا رضا؟

أوما رضا مؤكدًا برأسه وأردف:

- نعم، لكنه قلّل الشجار مع جيرانه بالمجمع منذ فترة بسبب تلاشيهم له في الأساس، ولتدخل السيد (رشيد) أيضًا رئيس اتحاد المجمع في التخفيف من حدة الأمور، وهذا الوضع بعض الوقت حتى فوجئنا في يوم بوصول سيارة شرطة للبوابة في أوائل الشهر الماضي وتطلب الدخول بناء على طلب من السيد جعفر.

- السيد جعفر هو من طلب الشرطة؟ ولماذا؟

قالها طارق مستغربًا وهو يشعل سيجارته فأردف رضا في تردّد:

- نعم، هو مَنْ طلبها وذلك لأنه ألقى القبض على زوجة السيد رشيد في منزله مدعيًا أنها تحاول قتله، ولكن تدخل السيد رشيد وأنهى الأمر بالتصالح والاعتذار وتنازل عن بلاغه.

- وأين منزل السيد رشيد هذا؟

قالها طارق في حدة ونظر لرضا وخاطر اللذين نظرا لبعضهما في قلق، ثم رفع خاطريده وأشار للأمام، اتبع طارق إشارته ليتضح أنه يشير نحو المنزل السابع الذي يقع في منتصف المجمع وهو المنزل التي طلّت منه السيدة الغربية، فزادت حيرة طارق، وشعر بأن سرّ هذه القضية يقع خلف هذه السيدة.

## الفصل الثالث

### حنين

التفت حنين للسيدة سهام باستغراب يمتزج بالاستنكار عن هذا المفتاح، فسألتها وهي تنظر للمفتاح:

- ما هذا؟

- إنه مفتاح وجدته بين صفحات المجلة بعد أن تركتها هالة وغادرت مسرعة، فلقد كان مغلقاً بورقة كتب عليها عبارة (يُسَلَّم إلى حنين).

مالت حنين برأسها ورفعت حاجبها الأيسر وسألتها بشك:

- آسفة، ولكن لماذا انتظرت حتى لحظة مغادرتي كي تُعطيهِ لي؟

ابتسمت السيدة سهام وأرجعت بيدها المقعد للخلف عائدة لباب منزلها، ثم نظرت نحو حنين بوجه بشوش وقالت بعين حزينة:

- حتى أضمن أن تظلي معي أطول فترة ممكنة.

دفعت المقعد للأمام ودخلت لمنزلها، وتحركت حنين في صدمة واستغراب نحو المنزل كي تجرب المفتاح في باب المنزل لعله يكون هو، وبالفعل تحاول بيد مرتعشة وتتفاجأ أنه هو ويفتح باب المنزل وتدخل بقلب مقبوض لا تعرف السبب، تنير إضاءة المنزل وترى أنه كما تركته منذ عدة سنوات لم يتغير فيه شيء، ولكن لاحظت أنه مهجور من فترة ليست بقليلة ولم يسكنه أحد وتأكدت من ذلك في البداية بسبب الأتربة والغبار ثم من تفحصها للمطبخ

والعلاجة لتجدها فارغة ومثلها مثل خزانات الطعام بالمطبخ، إذا لم تسكن هالة هنا بشكل دائم أو متقطع فأين أصبحت تعيش؟ ولذلك بدأت تتفقد الغرف غرفةً تلو الغرفة حتى لاحظت أن هناك بقعة دم جافة على الأرض قريبة من غرفة أختها هالة، منعها التكبر من دخول غرفتها ولكن انتصر الفضول عليها وفتحت باب الغرفة لتستنشق رائحة حريق لشيء ما، حريق حدث في هذه الغرفة، لكن بالفحص الأولي للغرفة اتضح أن الأثاث والمفروشات والجدران كلها سليمة؛ إذاً من أين جاءت رائحة الحريق القوية، تأملت الغرفة جيداً واكتشفت أن هالة ما زالت تحتفظ بركن هداياها لها كما هو وما زالت صورتها معاً بجوار فراشها، فشعرت بتضارب في مشاعرها بين الخلاف السابق والذي أدى للفراق بينهما والحنين لأختها والذكريات الجميلة بينهما، وهذا ما تسبب لها بالبكاء قليلاً.

لحظات وأفقت وذهبت إلى الحمام الخاص بغرفة أختها وغسلت وجهها، وما أن أمسكت المنشفة حتى لاحظت أن سلة المهملات المعدنية الصغيرة أسفل المنشفة عليها بصمة يد سوداء على غطاء السلة، فسحبت منديلاً ورقياً واتكأت على ركبتيها ورفعت الغطاء بالمنديل لتكتشف أنه يمتلئ برمالٍ لشيء محروق ووسط الرماد لاحظت شيئاً بالأسفل لونه أبيض، مدت يديها برفق وسحبته بالمنديل حتى يتضح أنها قطعة قماش بيضاء صغيرة لم تحترق للنهائية، فكّرت كثيراً ماذا تفعل حتى وصلت لقرار بأن تحتفظ بها، وضعتها في المنديل وطوته عليها ثم احتفظت به في حقيبتها، قررت أن تكمل بحثها عن هالة وتذهب لمقر عملها وبالأخص المبنى الإداري للقناة، وأثناء طريقها للمقر تقافزت في خيالها أسئلة كثيرة

عما حدث لهالة، وسر ما وجدته بالمنزل، هل بالفعل نفذ القاتل تهديده كما أخبرتها في رسالتها وقتلها؟ والسؤال الأهم لماذا أرسلتها مشفرة من الأساس؟ هل تشعر أنها مراقبة لهذا الحد؟ ومن هذا القاتل؟ أو المهدد بالقتل؟ لحظات ووصلت للمبنى الإداري للقناة ودخلت ببعض من التوتر وقابلت مسؤول الاستقبال الذي نهض مبتسمًا لها:

- مرحبًا، كيف أستطيع مساعدتك؟

- جئت لمقابلة السيدة هالة فاضل إذا أمكن.

نظر لها مستغربًا، ومال نحوها قليلًا:

- السيدة هالة فاضل؟ ألا تعلمين ما حدث لها؟

تلجلجت حنين قليلًا وأومأت برأسها بالجهل:

- لا أعلم عنها شيئًا منذ سنوات وأرغب في مقابلتها هل هذا شيء صعب؟ وكي تطمئن أنا أختها وهذه بطاقتي.

نظر للبطاقة بتدقيق أكثر، ثم بلغ ريقه وحك أسفل ذقنه وردّ بنبرة أقل حدة عن سابقها:

- يُفضّل أن يجاوبك على سؤالك هذا شخص أفضل مني.

تحرك أمامها وأشار لها أن تتبعه وبالفعل تنهدت حنين بهدوء واتبعته وصعدت معه المصعد وخبطت خلفه بين ممر مليء بالغرف الزجاجية لمكاتب إدارية حتى أوصلها لمكتب سيدة جالسة على مقعد مكتبها ولكنها تنظر عكس اتجاههما منشغلة بمكالمة تليفونية

مع مربية أطفالها بالمنزل والتي تعيد عليها الخطوات والواجبات التي يجب أن تتبعها معهم، وما إن أنهت المكالمة واستدارت بالمقعد لتجد حنين ومسؤول الأمن فنظرت لهما وسألت الأخير في ريبة:

- خير يا عم سليمان؟

- خير ياذن الله أستاذة هيلين، هذه هي السيدة حنين أخت السيدة هالة فاضل جاءت لتسأل عنها وتقابلها وهي تجهل ما حدث لها، فرأيت أن من الأفضل أن تخبريها أنتِ بذلك.

اتسعت عين هيلين وارتفع حاجباها من الصدمة وأومات لسليمان برأسها متفهمة، فتحرك سليمان مغادراً ونهضت من مكانها ومدت يدها نحو حنين مبتسمة:

- أهلاً وسهلاً بك، ومرحباً بعودتك إلى مصر.

- واضح أنك تعلمين بأمر إقامتي بالخارج.

ابتسمت هيلين وقالت بثقة:

- بالطبع فأنا لم أكن زميلة أختك هالة فقط بل كنت صديقتها الوحيدة هنا.

- جيد جدًا، أين يمكنني أن أجد هالة الآن؟ وماذا حدث لها؟

بلعت هيلين ريقها ودنت من حنين قليلاً، وقالت بنبرة حزينة:

- هالة مقبوض عليها، ومتهمة بجريمة قتل.

\*\*\*

## صديق

لم تكن الصدمة هيئةً عليّ فلقد تصلبت كل خلية فيّ وكأنني جثة  
تعلب تعفنت وجفت في قلب الصحراء، المخيف في الموضوع هو  
عيناه الثابتتان ووجه الصلب الذي لم يتغير، ظل يحرق فيّ بهدوء  
وأنا أسمع ضربات قلبي من شدة الصمت، اقترب خطوة فلم أجد أيّ  
تصرف سوى أنني نطقت بإنجليزية مرتعشة:

- أرجوك لا تؤذني هذه أختي، وقد أذنبت، وهذا عقابها في الغرف  
لدينا.

مال برأسه وضافت عيناه وهو يتفحص جثة أختي في الحفرة ثم  
نظر لي وقال بهدوء:

- وبماذا أذنبت؟

نظرت له وكنت أبلع ريقِي وأحاول أن أتمالك نفسي بعض الشيء  
وقلت متصنع القوة:

- زانية لعينة.

اتسعت عيناه واقترب مني محدقًا ثم وضع يده في خصره  
وأخرج مسدسه وصوّبه نحو رأسي وأنا أرتعش خوفًا ولا أعرف ماذا  
أفعل، فُرصتي في الهروب تكاد تكون معدومة فلقد كان يسد عليّ  
باب الخروج، والنوافذ عالية، هذا غير أن جسده رياضي وعريض  
المنكبين وبالتأكيد سوف يتفوق عليّ إذا حاولت الشجار معه وفي  
النهاية سوف يقتلني، وبما أن في الحالتين سوف تكون نهايتي  
الموت على الأقل في صراعي معه قد تقل نسبة موتي 1% وهذا

أفضل من اللاشيء، اتخذت قرارى؛ أن آخذ قبضة من طمي الأرض وألقيه في وجهه ثم أنقض عليه، وما إن مددت يدي بهدوء للأسفل لأتفاجأ به قد نكز بفوهة المسدس في رأسي مرتين وأوماً برأسه في اتجاه جثة أختي وقال بجدية:

- أنه ما كنت تفعله سريعاً.

نظرت له مصدوماً وتصلبت مكاني حتى كررها علي مرة أخرى، فتحركت وألقيت بجثة أختي في الحفرة وبدأت أردم عليها وهو يقف خلفي مصوباً سلاحه نحوي، قتلني الفضول الذي امتزج بالرعب لمعرفة ما يدور في عقله وما القرار الذي اتخذه في أمري، كلما رميت عيني نحوه أجده يحدق فيّ بعين مظلمة بحاجبين متعاقدين لا ترى منهما سوى لمعة العين ووجه صلب بلا ملامح أو روح، لم أشعر أنه يتنفس كان صوت أنفاسه هادئاً وخافتاً بشكل مخيف، أنهيت ما أفعله وردمت الحفرة جيداً وغطيتها ببعض روث وفضلات البهائم المتوفرة، ثم نظرت له ووقفت متصلاً أمامه، أحاول أن أهدأ قليلاً كي يخف خفقان قلبي، ولكنه اقترب مني بعينيهِ الثابتتين ووجهه الصلب وصوب المسدس في وجهي بل أدخل فوهته في فمي، وظل صامتاً يسمع أنفاسي ثم أغلق فمه وزفر من أنفه زفرة قوية ساخنة صدمت وجهي مباشرة وقال بصوت خافت ولكن بنبرة حادة:

- داعب بلسانك سلاحى وتذوقه جيداً وحاول أن تتذكر طعمه في فمك حتى لا تنسى عقابي ما حييت، فما حدث اليوم مثل الطلقة التي يحتضنها سلاحى، عندما تخرج سوف تقتلك أنت فقط، اخرج

الآن وأريد أن أراك غداً أمامي بعد الشروق بساعة.

لم أعرف هل يتحدث بجدية أم يمزح، لاعب فوهة مسدسه في فمي ثم أخرجه وأشار به نحو الباب، عدت للخلف خطوة وتحركت نحو باب الخروج خطوتين حتى سمعته يقول بنبرة بها صرامة وقوة:

- لقد تأملتكم بما يكفي لكي أحفظ تفاصيل وجهك، الملامح، العضلات، الخدوش والندوب كل شيء أصبح في عقلي فلا تفكر في الهروب، فلا مفر أبداً لفريسة أرغب فيها.

تحركت بخطوات بطيئة مرتعشة ثم زادت سرعتها من الخوف حتى وصلت منزلي وانطويت في فراشي، وكانت أسوأ ليلة أنام فيها، واستيقظت على نداء أختي الصغرى (جلييلة) ذات العشرة أعوام وهي تخبرني بعين متسعة من الصدمة بأن سنابل لم تبت في المنزل، نهضت غاضباً وأدبت دور الأخ الجاهل والغاضب من تصرف أخته الفاسقة والتي سارت على خطى والدتنا وهجرتنا بسبب كثرة المتاعب والمسؤولية، وحينها أجلس إخواني أمامي وقلت بكل جدية:

- إن هذا البيت هو مجرد كوخ نسكنه، مَنْ يرغب في أن يهجره فليفعل دون استئذان ليس هناك من له سلطة على الآخر، واعلموا جيداً لن تكون الدنيا أحسن علينا من والدينا اللذين هجرانا دون أي مسؤولية، الكلُّ ممّا أصبح لديه عمله من أصغركم إلى أكبركم، ولن نكذب ونخدع بعضنا فلا أحد ممّا يستطيع أن يتحمل أكثر من مسؤولية نفسه ولقمة عيشه، وهذا هو قدرنا ومصيرنا ويجب أن

نقبل به، آسف ولكن هذه الحقيقة.

لم أطل الكلام معهم أكثر من ذلك فلقد تذكرت أنني ملتزم بموعد مع السيد كروس موعدًا على رقبتى، تركتهم وهرولت نحو الإسطنبول وأنا أجهل ما يدور في خاطر هذا الرجل الإنجليزي، وصلت في موعدى ووقفت أمام باب الإسطنبول ناظرًا نحو منزل السيد كروس، فلم ألاحظ أي حركة في غرفة نومه، وظننت أنه مازال في غفوته بسبب سهره في حفلة استقباله بالأمس، زفرت فرحًا ولكن لم تدم هذه اللحظة طويلًا، ما ان التفت حتى وجدته يقف خلفي يتفحصني بوجه صلب ودم بارد كرجل إنجليزي أصيل، لا أعلم متى جاء واقترب مني بهذا الشكل وأنا أقف على حشائش جافة يجب أن تصدر أي صوت، تحرك واستدار حولي ببطء، ثم وقف خلفي ومال برأسه وهمس بنبرة ثابتة لكنها حادة:

- جيد أنك تعلمت اللغة الإنجليزية فأنا أحتاج لشخص مثلك يستطيع أن يترجم ما أرغب فيه ويكون من عامة الناس، كي يلبي لي طلباتي ورغباتي.

وضع يده اليمنى على كتفى وضغط بقوة ثم بدأ يقترب بقبضته شيئًا فشيئًا من رقبتى حتى أصبحت نصف رقبتى بين إبهامه وسبابته وأردف في هدوء:

- لا تنس أنني ألبستك بالأمس طوقًا حول عنقك ومهما ركضت لتهرب مني لن تذهب بعيدًا.

تنهد ثم أكمل دورانه حولي حتى أصبح أمامي وقبضته تحركت معه ببطء وما زالت حول عنقي وأشار بسبابته اليسرى محذرًا:

- إلا إذا كنت مطيعًا.

قالها وفك قبضته عن عنقي وسحبها ببطء، وأنا تنفست بحرية حينها ثم أردف:

- حينها يمكنني أن أخفف وأرخي الطوق عليك قليلًا، وأنا أعرف أن هذا لا يحدث كثيرًا، فأتمنى أن تفوز بتلك اللحظات القليلة يا... ما اسمك؟

- صديق .. اسمي صديق.

أجبت بلسان مرتعش، نظر لي محدقًا وأخرج الغليون دون أن يبعد نظره عني وكأن يده تعلم ماذا تفعل، ثم بدأ في إشعاله عدة مرات حتى زفر دخانه في وجهي، وسألني في هدوء:

- لماذا نفذت أنت قرار قتل أختك ولم يفعلها أبوك، أم هذا هو الغرف هنا؟

ابتسمت ساخرًا وقلت بنبرة بائسة:

- أبي هرب من جنود المهدية، ولم يكن جبانًا فقط بل قَدِم رجولته مقابل ذلك فكيف يعود لنا؟ هذا إذا كان حيًا من الأساس.

مال برأسه للأسفل ونظر بعينه من أسفل حاجبيه وسألني بشك:

- وكيف سوف يمر اختفاء أختك المفاجئ؟

- نحن لم ولن نكون محظ أنظار أحد، ولا قصة تبلى ريق النساء الثرثارة، نحن أسرة تجنبها الجميع، أسرتنا بينهم مثل ذباب ظهر الحصان الذي لا يطوله ذيله فيتركهم في يأس مضطرًا.

خطا السيد كروس أمامي وهو يدخن غليونته ثم أشار لي بسبابته في شكل دائري، وفهمت منها أنه يرغب أن أكمل حديثي وأسلّيه وهو يمر بين أملاكه، وظلّ يسأل وأنا أجيب. أخبرته كل شيء عن أسرتنا إلا عن قتلي لأمي، ولكنني قلت له إنها هربت وهجرتنا، واكتفيت أنه يعرف بأمر أختي، قلت كل ذلك وأنا لا أعرف لماذا؟ أنا في وضع لا أحسد عليه، فماذا يفرق أن يعلم ملك الموت قصة حياتي كلها إذا كان سوف يقبض روحي وقتما يشاء بسبب ليلة واحدة منها، تفاجأت بأن السيد كروس وقف مرّة واحدة والتفت لي قائلاً في حماس:

#### - كيف ترى المرأة؟

لا أعرف لماذا شعرت بالضيّق بسبب هذا السؤال وتواردت أمامي صور لأمي وأختي سنابل، التزمت الصمت لحظات حتى مال برأسه لليمين وهو ينظر لي منتظراً إجابتي، فتنهدت وقلت بجديّة وغضب:

- المرأة هي حيوان له وعاء وقدمان، وعاء يفرغ فيه الرجل شهوته كي تجلب ذريّته، وقدمان كي تتعلم بهما المشي حتى تسير بهما على طريق العهر.

حدق في لحظات ثم وضع يده على كتفي ونفث دخان غليونته في الهواء، ثم قال لي وهو يربت على كتفي:

- أحسنت القول.

شعرت بالسعادة من رده ودخلت الطمأنينة قلبي بعض الشيء، تركني وسار خطوتين فتبعته بحماس، ثم أردف دون أن ينظر لي:

- الإيمان بالمبدأ لا يأتي إلا بالأفعال.

لم أستوعب ما يقصده فصمْتُ ولم أرد، توقفت والتفت لي:

- كنت على يقين أنك لن تفهم ما أعنيه؛ وهو أنك إذا كنت تؤمن بهذا التعريف للمرأة فيجب أن تثبت ذلك بالأفعال.

- أليس ما حدث بالأمس يثبت ذلك؟

ابتسم ابتسامة جانبية ساخرة لم أرَ أسنانه فيها وردّ بوجه مشمئز:

- لا يعتبر ما فعلته مع أختك هو إيمانًا بالمبدأ، هذا كان رد فعل لأخٍ ثارَ ليس إلا، ولكنك لم تثبت بعد لنفسك حتى ما تؤمن به.

- وكيف أثبت ذلك؟

نظر لي وربت على عضلات ساعدي مرتين، وقال هامسًا:

- لقد علمت منك أنك لديك أخت باقية.

- نعم اسمها جليلة.

أجبتَه مستغربًا وغير مدرك ماذا يقصد حتى دنا منِّي ورأيت لمعة عينيه وأردف:

- أثبت مبدأك لنفسك وتخلص منها.

\*\*\*

## هالة

هالة تركض أمام كريم الذي يحمل الكاميرا، ويقوم بتسجيل ما يدور من بحث، وخلفهما على بُعد عدة خطوات قليلة حسنين ممسكًا بيده التي تنزف القليل من الدماء، يتجهون نحو باب القصر الخارجي ليجدوا أنه ما زال مغلقًا ولا أثر لفرحة أو الشيخ فتحي، يتوغلون بين أشجار الحديقة الجافة كثيرًا دون جدوى، ولكنهم سمعوا صوت صرخة عالية قادمة من اتجاه القصر، فهزول أمامهما حسنين واتباعه هما حتى وجداه يقف منتصبًا مصدومًا أمام الباب الخلفي للقصر، فكسرت الصمت هالة بسؤالها:

- لماذا توقفت هنا يا حسنين؟

- مصدر الصوت كان قادمًا من هنا، ولكن لماذا هذا الباب مغلق؟  
ومن أغلقه؟

تقدمت هالة خطوتين لتقف بجواره وهي تشير نحوه الباب:

- هل تعني أنه كان مفتوحًا؟

- نعم إنه باب القبو الذي وجدت فيه فرحة ومن يومها وأنا لم أغلقه، ولقد أمرت الجميع ألا يقترب منه أحد.

- لا أظن أن هناك ما يدع...

قالت هالة ثم تجمدت حواسها عندما سمعت صوت خطوات قادمة من خلف الباب، ظلت مستمرة وتعلو أكثر ثم توقفت ليبدأ مقبض الباب في الدوران قليلًا، فأشارت هالة بيدها المرتعشة إلى

كريم أن يقترب بالكاميرا لكي يسجل ما يحدث بشكل أوضح، فأوماً كريم برأسه واقترب من الباب أكثر، وفجأة عمّ الصمت وبعد ثانيتين، سمع صوت طقطقة رتاج الباب، وبدأ صرير الباب الناتج عن فتحه ليكشف عن ظلام دامس بدأ يتكون بداخله خيال لكائن كبير يتضخم جانبه الأيسر من جذعه عن باقي جسده الضخم يقف دون حراك، فعاد كريم خطوة للخلف وبعده حسنين وهالة، وما إن تقدّم هذا الكائن ليكشف ضوء القمر ما ستره الظلام، وظهر انه الشيخ فتحي يحمل على كتفه الأيسر فرحة التي كانت نائمة، فاستطاع حينها الجميع أن يتنفس مرّة أخرى، وما إن اقترب الشيخ فتحي من حسنين لتستيقظ فرحة بوجه طفولي بريء وعينين تشعان طيبة، وقالت وهي تمد يديها نحو حسنين:

- أبي.

انقضى عليها حسنين وحملها بحب عارم واحتضنها وقبلها وسط ذهول هالة وكريم وسعادة الشيخ فتحي التي أنارت وجهه، فاقتربت هالة منه وإستدار كريم بالكاميرا نحوهما، لتبدأ هالة بسؤاله في استغراب يتضح على ملامحها:

- هل من الممكن أن تخبرنا بما حدث؟

أنارت ملامحه ابتسامة خفيفة وهو يجيبها بثقة:

- لم يحدث شيء وهذا ما يجب أن يعرفه الجميع، لا يوجد هنا ما يسمى بالجن أو قوة خفية، ولا أريد أن أكذب على المشاهدين، هذا القصر نظيف تمامًا من تلك الإشاعات الغريبة وهذا ما شعرت به منذ دخولي هذا المكان.

ثم زاد حدة في حديثه وارتفع صوته غضبًا وأردف:

- هناك أماكن كثيرة يسكنها بالفعل الجن وتتحكم فيها قوة خفية ولكن هذا القصر ليس منهم، لقد جئنا هنا من أجل هدف واحد وهو الطفلة، والطفلة الآن بخير وهذا هو المهم.

ازدادت علامات الدهشة والاستغراب على هالة، توقفت للتفكير ثانية ثم اتخذت قرارها أن تسانده في تلك النتيجة قائلة بكل جدية:

- أشكرك يا شيخ فتحي على صراحتك المفاجئة والتي لم تستغل الحدث لكي توثق شيئًا قد يبز عليك بالخير والعمل، ولكنك أعلنت أن لا صحة وراء الخرافات والإشاعات التي تلاصق هذا القصر وإنه مجرد مبنى قديم خضع لانتهاكات الزمن ليس إلا، أشكرك مرة أخرى، وبالفعل الأهم أن فرحة بخير وهذا هو المهم لنا، وفي نهاية حلقتنا المثيرة أشكركم مشاهدينا وأختم تلك الحلقة بجملة واحدة "الواقع الفرأ صدق من الخيال الزائف"، وإلى اللقاء.

أنزل كريم الكاميرا من على كتفه بعد أن أغلقها وسار خلف حسنين الذي يعتصر فرحة حضًا وتقبيلاً، ومن خلفه هالة تحاول أن تصدق ما قالته وتكذب ما رآته، وما إن وصلت لباب القصر فالتفت للخلف نحو القصر لتجد الشيخ فتحي الحناوي من الخلف مازال واقفًا مكانه ينظر لباب القبو وكأنه ينتظر شيئًا ما.

مرت الأيام ولم يكن صدى تلك الحلقة بالشيء الهين حين إذاعتها، فلقد انتشرت انتشارًا واسعًا وزاد الجدل واللفظ عليها كثيرًا، وشن الكثير من أهالي المنطقة الحملات ضد هالة، مهاجمين فيها

استخفافها بعقول المشاهدين وإنكار وقائع وقصص قد رسخت في أذهان الكثير منهم، وأن القصر مخيف بحق وله قوة خفية ولقد عانى الكثير من أهالي المنطقة الرعب والفرع مما يدور فيه ويشاهدونه يكاد يكون بشكل يومي، فكيف بكل تلك السهولة تأتي بدجال مزيف يدعي أنه شيخ وعالم وينفي وجود أي شيء، وذلك ما جعل هالة تجتمع مع رئيس القناة السيد ماهر بداخل مكتبه لكي يتوصلا لأي حلول تهتئ هذا الهجوم الشرس، كانت تجلس أمام مكتبه في توتر وقلق شديدين تتابعه وهو يمر بجانبها ذهابًا وإيابًا محاولًا التفكير، ولكنه ما إن عبر بجانب كتفها حتى إستدار فجأة واثكأ على ظهر مقعدها ودنا منها:

- ما رأيك أن تقولي في حلقة اليوم إن الشيخ فتحي الحناوي هذا هو المسؤول عما قاله وأنتِ وظيفتك نقل جميع الآراء، وأن ما صدر عنك في آخر الحلقة ما هو إلا تأثير المكان عليك، وما أصابك من خوف ورعب.

حكّ ذقنه بأصابع يديه وحاجبه الأيمن ارتفع قليلًا وتنهد ثم أردف:

- أظن أنهم هكذا سيقتنعون أننا لا نكذبهم أو نستخف بمصدر خوفهم ومقدساتهم الزائفة؟

أومات برأسها مجيبة بأنها تجهل الإجابة وقالت مترددة:

- لا أعلم يا سيد ماهر ما الفعل الصحيح فيما يحدث، الانتشار الساحق للحلقة وما لمستته من ردود أفعال ليس بالمجمل السيئ في كل شيء، لقد زادت نسبة مشاهدة البرنامج، وارتفعت معدلات المرتقبين للحلقة القادمة بشكل لم يكن متوقع بالمرة، وأنا لا أريد

أن أخسر كل هذا بسبب شيء لست السبب فيه، أنا لا أكذب على سيادتكم لقد شعرت بأشياء مخيفة أثناء تسجيل تلك الحلقة لكن أسلوب الشيخ فتحي في إجابة سؤالي الأخير عليه ونفيه بهذا الشكل، أثار عليّ بشكل كبير وانجرفت مع رأيه لا أعلم كيف؟

يصيح فيها السيد ماهر بحدة:

- انجرفتِ وسحبتِ القناة معك للأسفل، يجب أن يوجد حل الآن ويكون به رد قوي وفَعَال للمشاهدين في حلقة اليوم، يجب أن أستغل نسبة ترقب المشاهدين لتلك الحلقة فأنتِ لا تعرفين كم الشركات المعلنة التي تنتظر تلك الحلقة لكي تُوقع معي عقودًا كبيرة لحملات إعلانية سوف تدر علينا خيرًا كثيرًا، "علينا" لاحظي ما أقوله، فبالله عليكِ نكتفي بما خسرناه طول الفترة السابقة، ونجمع شتات تركيزنا في حلقة اليوم.

دنا منها مرّة أخرى وانحنى نحوها ببطء وأخفض صوته قليلًا لكن عينيه مازالتا غاضبتين وقال محدّرًا:

- تلك فرصتك الأخيرة هنا.

\*\*\*

## طارق

التفت طارق نحو رضا وخاطر وسألها وهو يشير نحو أعمدة الإنارة بداخل المجمع:

- لماذا لا توجد كاميرات مراقبة أو نظام أمني كافٍ بداخل المجمع؟  
سبق خاطر رضا وأجاب باستنكار:

- هذه هي رغبة مالكي المجمع حتى يحترموا خصوصية الفُلاك  
فكما رأيت سعادتك هناك حمام سباحة يخدم المجمع، وهم يرون أن  
خصوصياتهم لا يجب أن تُكشف على أشخاص مثلنا، ونحن نراقبهم  
على شاشات المراقبة.

يكمل رضا الحديث مبررًا:

- ولكنهم أسسوا نظامًا أمنيًا مشددًا وركّبوا كاميرات مراقبة على  
أسوار وبوابة المجمع بشكل يمنع أيّ شخص من التسلل إلى المجمع  
فأنت بالتأكيد لاحظت أن ما يفصله عن منطقة المساكن الشعبية  
بالجهة الجنوبية هو الطريق السريع.

- كانوا يظنون أن الخطر لن يأتي إلا من الخارج فقط.

كان هذا رد خاطر والذي وضح عليه ملامح السعادة والتشفي مما  
أثار فضول طارق فسأله متشككًا:

- تقصد من بكلامك يا خاطر؟

نظر له خاطر وظهر عليه التوتر وقال وهو يصطنع الإبتسامة:

- لا أقصد شيئًا، لكنها سخرية القدر ليس إلا، فلقد وضعوا مَلاك المجمع الخصوصية أولوية عن الأمن وكانت للأسف هذه النتيجة في النهاية.

- الفَلاك أم تقصد السيد جعفر؟

سأله طارق واقترب منه ناظرًا في عينه فزاد ذلك من توتر خاطر كثيرًا وأجاب وهو يحك شعر رأسه:

- أقصد الفَلاك؛ أنهم حصدوا ما زرعه أم السيد جعفر الله يرحمه الآن لن ينفعه تشفُّ أو سخرية.

نظر له طارق بوجه صلب ناظرًا في عينيه مباشرة ثم نظرَ إلى رضا الذي لمع وجهه من العرق والتوتر، ثم أشار لأحد المساعدين أن يضعهما في سيارة الشرطة الآن، ثم تحرك متجهًا لأول منزل سوف يتم التحقيق مع أهله وهو منزل السيد رشيد، وأثناء طريقه له أوقفه أيمن وهو يحمل ورقة وقال متحمسًا:

- جاءت لك التحريات المبدئية عن الضحية.

أشار له طارق للأمام وقال في عجلة:

- تحرك معي، أخبرني بها سريعًا الآن، وسوف أقرأها بتركيز بعد أن أنهى مقابلي بمالك هذا المنزل.

- كما تريد، الاسم جعفر فهمي مواليد 1960 من عائلة حزبية بالمنوفية، كان يعمل موظفًا إداريًا في سفارتنا بدولة أندونيسيا من منتصف الثمانينيات حتى بداية الألفينات وعاد وتزوج من السيدة ثريا لطفي عام 2005 وعثرنا على صورة لها وهي تشبه صورة

الرأس التي عمرنا عليها في جيب الضحية، لم ينجب منها أولادًا، يعيش على إيجار ثلاثة محلات بوسط البلد وعمارة بحي المعادي، باع المحلات الثلاثة منذ ثلاثة أعوام واشترى هذا المنزل، حاد الطباع وأكمل عامه الثلاثة والستين منذ شهرين.

كان قد وصل الاثنين إلى بوابة منزل السيد رشيد فأوماً طارق إلى أيمن وهو يشير بيديه أن يتوقف:

- جيد جدًا تلك المعلومات كبداية، والآن يمكنك العودة لاستكمال عملك.

- تمام، لكن يجب أن أخبرك بسبب قدومي لك أولًا، لقد عمرنا على بصمة غريبة على إطار نافذة المكتب من الخارج، وسوف نكمل باقي فحص المنزل.

ربت على كتفه مرتين محمّسًا، عاد أيمن خطوتين وأكمل طريقه لمسرح الجريمة، وضرب طارق جرس الباب مرتين، وتأمل الزخرفة المميزة على الباب والأشياء الصغيرة ذات اللون الذهبي التي تعطي الطابع الفخم والثراء، لحظات وفتحت له الخادمة -كما يظهر من ملابسها- بابتسامة خفيفة، قال طارق بجدية:

- هل السيد رشيد موجود؟

- نعم سيدي.

- جيد، أخبريه أن الضابط طارق أباطة يرغب في مقابلته لأمر عاجل.

أومات برأسها وهي تمد يدها للداخل كي تشير له بأن يدخل

وبالفعل دخل طارق المنزل ولاحظ الكثير من التحف واللوح لكن جذب انتباهه لوحة غريبة كبيرة وُضعت في منتصف صالة الاستقبال، وهي عبارة عن لوحة كبيرة تعود في تفاصيلها للتراث الروماني يظهر فيها مصارع روماني يرتدي الوشاح اليوناني الأبيض على كتفه، ويرفع قبضة يده اليمنى عاليًا في يده خنجر ذهبي ينتهي مقبضه برأس أسد، يجلس على تمثال أسد كبير، ويضع يده على سيدة تتوسل له تشبه (أفروديت) إلهة الجمال عند الرومان.



لوحة المصارع الروماني وفي يده الخنجر الذهبي

تأملها طارق كثيرًا لكنه لم يفهم معناها قاطع شروده هذا صوت من تنحنح خلفه التفت ليجد رجلًا أسمر البشرة يمتاز بعينين واسعتين، أسود الشعر، يرتدي بدلة سوداء، أنارت أسنانه البيضاء ابتسامة وجهه، مديده مصافحًا:

- أنا السيد رشيد عثمان، كيف أستطيع أن أساعدك؟

- أنا الراحل طارق أباطة رئيس المباحث وجئت لك بخصوص الجريمة التي حدثت بمنزل جارك.

ظهر الحزن على وجه رشيد وأومأ برأسه متفهمًا:

- نعم لقد علمت أن السيد جعفر قد توفي لكن لا أعرف أكثر من ذلك، لاحظت وجود الشرطة منذ الصباح وهذا ما دفعني أن أظل بالمنزل، كي أكون تحت طلب سيادتكم في أي وقت تحتاجون إلي.

نظر له طارق مستغربًا هذا العبات والعقة وكأنه يجهل ما رآه من نافذة غرفة نومه، فباغته طارق متسائلًا:

- ولماذا تنتظر قدومنا لك سيد رشيد؟

- لأنني رئيس اتحاد ملاك هذا المجمع، وبالتأكيد سوف تحتاجون مساعدتي في الأشياء التي تخص المجمع، وأنا تحت أمركم بالتأكيد.

لم ترض هذه الإجابة طارق، ولم يصدق الوجه الملائكي الذي يحاول أن يظهر له فالتفت يمينًا ويسارًا ثم قال بجدية وترحيب مصطنع:

- أتمنى أن يكون الجميع يرغبون في المساعدة مثلك وأولهم أهل

بيتك سيد رشيد، ولذلك أرغب منك أن تطلب من جميع مَن في المنزل أن يأتوا حتى أسألهم أسئلة بسيطة تخص الجريمة.

- تحت أمرك طارق باشا، نجيبة يا نجيبة.

وقف طارق منتظرًا لكن لم ينادِ سوى على الخادمة التي أتت والتفت رشيد له مبتسمًا:

- أنا ونجيبة تحت أمرك، لا يوجد سوانا في المنزل سيادتكم.

ضدّ طارق، إذا فمن السيدة التي رآها هو وأيمن تنظر لهما من النافذة، نظر له طارق متشككًا:

- هل أنت متأكد ألا يوجد غيركما بالمنزل؟

## الفصل الرابع

### حنين

لم تكن صدمة الخبر على حنين هيئة مما دفع هيلين أن تطلب لها عصير ليمون بعد أن لاحظت آثار الصدمة عليها، وظلت تربت على يديها حتى شربته وهدأت قليلاً واستعادت تركيزها، وسألت بكل جدية:

- متى حدث ذلك؟

- منذ حوالي خمسة شهور، كانت أحد المشتبهين، ثم قرر الضابط المسؤول عن القضية أن يضع حالة المشتبه الأول بعد تحقيقات كثيرة.

نظرت لها حنين بنظرات غير مصدقة وسألتها:

- وتم اتهامها بقتل مَنْ؟

- جارها، ولكنني متأكدة أن حالة بريئة من تلك الجريمة.

انعقد حاجبي حنين وسألتها متشككة:

- ولماذا أنت متأكدة لهذا الحد؟

- أنا أقرب صديقة لهالة وأعرفها أكثر من نفسها، لكنّ تدهور حالتها النفسية في الفترة الأخيرة، كان له أثر سلبي في التحقيقات معها ووضعتها في خانة المتهمه للأسف.

- كيف أثر ذلك؟ أسفة لا أفهم مقصدك.

أومات هيلين برأسها مؤكدة ثم أجابتها بنبرة حزينة:

- لم تكن هالة خلال التحقيقات في حالتها الطبيعية بالمرة، وجميعنا تفاجأنا بما وصلت له من سوء، ولذلك قرّر رئيس المباحث أن يغلق القضية وهي المشتبه الأول في تلك الجريمة، ثم عرضها على النيابة والتي بدورها درست القضية ولاحظت سوء حالة هالة؛ لذلك حوّلتها منذ حوالي شهر للمصحة النفسية لدراسة حالتها النفسية واثرائها العقلي على أن تكون تحت الملاحظة لمدة 45 يوم وبعدها يصدر تقرير نهائي بحالتها.

تفرك حنين بأنامل يدها منتصف جبهتها كردّ تلقائي بعدم تصديق ما تسمعه، ثم أخرجت هواء رئتيها وقالت بشيء من التركيز:

- آسفة كيف تكونين أنتِ أقرب صديقة لدى هالة كما أخبرتني بنفسك، وتقولين إنك تفاجأت بحالة هالة، لم افهم هذه النقطة؟ وأيضًا ما هي حالة هالة التي تستدعي أن يتم تحويلها للمصحة النفسية لدراستها؟

ابتسمت هيلين من سؤالها وأجابتها في ود:

- أدرك أن ما أخبرتك به كثيرًا وتسبب لك بشيء من الصدمة وهذا طبيعي؛ فما قلته ليست بالأشياء الجيدة بالمرة، وهذا ما دفعك لأن تتشككي في كلامي وأعذر بك كل تأكيد، أنا بالفعل أقرب صديقة لهالة وكنت أكره من زميلتها هنا بالقناة، لكن منذ ظهور زوجها رشيد بدأت تباعد تدريجيًا، من مقابلة ومكالمة كل يوم لمكالمة كل أسبوع، مقابلة كل شهر، حتى أصبحت لا أعرف عنها شيئًا في آخر ستة أشهر قبل الحادثة.

نظرت لها حنين بعينين متسعيتين استغرابًا وسألتها بوجه مستنكر:

- هل تزوجت هالة؟

- نعم، منذ ما يقرب من أربع سنوات وتركت معه العمل هنا.

سألتها حنين مصدومة:

- ولماذا تركت العمل هنا؟

مالت هيلين نحوها وردّت هامسة:

- هيا بنا الآن نكمل حديقنا في مكان آخر.

- أين سوف نذهب؟

ردت بجدية:

- إلى مديرية الأمن.

توقف حنين متفاجئة وسألتها بعين ضيقة:

- لماذا؟

ما إن لاحظت هيلين صدمتها حتى ابتسمت وأجابتها بهدوء:

- لا تقلقي سوف نذهب لزوجي (عمر)، إنه ضابط شرطة، سنطلب

منه أن يصدر لك قرارًا بزيارة هالة في المصحة، أظن أن هذه الزيارة

سوف تجيبك عن أشياء كثيرة.

أومأت حنين برأسها مؤكدة وتابعتها حتى وصلت إلى المصعد،

اقترب منهما شاب طويل بوجه بشوش ومال برأسه نحو حنين:

- مرحبًا.

التفت نحوه حنين مستغربة وهيلين ابتسمت وقالت بحماس:

- أهلاً كريم كيف حالك؟

- الحمد لله، لم تعزيفنا بصديقتك الجميلة أم هذه مذيعة جديدة  
سوف تنير شاشة قناتنا قريبًا؟

ابتسمت قليلًا حنين وهزت رأسها نافية حتى أجابته هيلين  
بحماس:

- لا، هذه أخت صديقتي، ألا تعرفها إنها حنين أخت هالة فاضل؟

- عن جد! أنا كريم زكريا كنت المصور الأساسي في جميع حلقات  
أختك هالة وكان شرفًا كبيرًا لي بكل تأكيد، وشرف لي أيضًا أن  
أقابلك الآن.

قال كريم كلماته تلك ومدّ يده مرحبًا بحنين التي مدت يدها لكي  
تسلم عليه لكنها شعرت بأن في يده شيئًا غريبًا، ضغط بأصابع يده  
قليلاً عليها، نظرت له لتجده يومئ برأسه خلسة دون أن تلاحظه  
هيلين؛ بأن تقبل ما يفعله ولا تجعل هيلين تنتبه لذلك. ارتابت حنين  
قليلاً وكأن الزمن قد توقف، لا تعرف هل هذا نوع من الرجال الذين  
يظنون أنهم لن يرفضوا من أي امرأة بسبب جمالهم أو شخصياتهم  
الجريئة، مما يدفعه أن يعطي ورقة برقم هاتفه أو شيء من هذا  
القبيل لكي تتم المغازلة بنجاح ويشعر بالانتصار، فهل هو لاحظها  
وكتب الورقة ولحق بهما حتى المصعد كي يقوم بهذا الفعل  
الصبياني، أم هناك شيء آخر وراء تلك الورقة التي بين يديهما؟

سَلَمْتُ لفضولها في النهاية وتركته يفلت بيده واحتفظت بالورقة في قبضة يدها ورأت في وجهه ابتسامة وكأنه يشكرها، وهنا قاطعهما وصول المصعد فدخلت هيلين وبعدها حنين، ووقف كريم أمامها يلوح بيده سلامًا، ما إن أغلق الباب حتى مالت هيلين برأسها نحو حنين وأخبرتها بجدية:

- حزنٌ كثيرًا عندما غادرت هالة القناة وكانت أختك تعتبره أخاها الصغير وتعتمد عليه في الكثير من الأشياء.

وصل المصعد للطابق الأرضي وفُتحت أبوابه وهنا أشارت هيلين لحنين بيديها:

- انتظريني هنا سوف أخبر (الركَّين) أن يأتي بسيارتي، فلأسف الأماكن المتاحة أمام مبنى القناة مخصصة للصف الأول من الإدارة أما باقي العاملين فهم دون هذا المستوى ونترك سياراتنا للركَّين الذي يركنها لنا ويجلبها عندما نطلبها منه، وكان هذا الأمر يضايق هالة هي الأخرى، دقيقة وسوف أعود إليك.

- تمام لا تقلقي عليّ.

قالتها حنين ساخرة وظلت مكانها تراقب هيلين وهي تخرج من البوابة وتبحث عن الركَّين هذا، وعندما لاحظت أنها غير منتبهة لها فتحت يدها وفردت الورقة المطوية التي أعطها لها كريم، لتجد بها رقم هاتف وكتب تحتها عبارة "لدي معلومات عن قضية هالة، يجب أن نتكلم في أقرب وقت".

\*\*\*

## صديق

كنت أظن أن طلب السيد كروس لقتل أختي الصغرى جلييلة كي أثبت مبدئي الذي ذكرته أمامه محاولة للمزاح معي أو تقليل وتحقير منه لي لكن عندما نظرت لعينييه المظللتين تحت كثافة شعر حاجبيه وجدتهما لا تعرفان شيئًا عن المزاح بل كانتا جادتين حد الخوف، هذا أول طلب يطلبه مني ولا يظهر عليه أنه ينتظر مني الرفض أو المناقشة أو حتى التفكير، هذا فرمان إنجليزي من الوالي والسيد على رقبتني وأنا عليّ التنفيذ والسمع والطاعة، لم أطل أكثر من ذلك فقد قاطع شرودي بعد أن زفر دخان غليونه بنبرة صارمة:

- لا أظنك نسيت طعم سلاحني بهذه السرعة، أمامك ليلتان لتنفيذ ما أمرك به.

تركني وتحرك خطوة ثم استدار ونظر لي فنظرت في الأرض خوفًا، ورأيت ظله يقترب مني ثم مَدَّ يده وهي تمسك الغليون حتى اقتربت من صدري وقال وهو يضرب بسبابته فيه وكأنه سكين مدبب:

- إما أن تستحق أن أرخي طوق عنقك قليلًا، أو أن تحتفل بليلتك العالمة في حضان أختك تحت الأرض وتأكد أن هذا العرض لن يتكرر.  
- نعم سيدي.

أجبتة بقلب ولسان يرتعشان، وحينها نظر لي وأومأ برأسه:

- جيد، غدا الآن إلى عملك.

قالها وأكمل سيره دون أن ينظر لي حتى وأنا أتابعه وكأنني مقيد بالأرض لم أستطع التحرك، مصيري بين يد رجل غريب لم أستطع أن أفهمه بالمرة، ركضت سريعًا وعدت إلى عملي بالإسطبل وكان الشرود هو المحتل لعقلي طيلة هذا اليوم، وأنا أفكر هل أنا مؤمن حقًا بما قلته أم لا؟ هل يجب أن أثبت مبدئي؟ لكن من ناحية أخرى أرى أن أريح جليلة من هذه الحياة الشاقة، والتي فرصتها أن تحيا فيها كحيوانة أكبر بكثير من فرصتها كإنسانة، ويمكن أن يكون ما تناولته في رحم أمي يكفي أن تصبح مثلها، وكان هذا الشك يكفيني لأن أدمع قراري في قتلها، لكن كيف وأنا لا أراها إلا في وقت النوم فقط، ولكنني لن أجعله عائقًا أمامي سوف أنفذ وأنفذ حياتي من الموت فأنا أستحق أن أحيا أكثر من تلك الحياة القصيرة، أنا أستحق الأفضل، أنا أثق في ذلك.

لحقث بإخوتي وهم يتناولون العشاء وأنا كنت تناولت وجبتي في الإسطبل ولم يضرني الجوع بسبب انشغال عقلي بأمور أهم وهو تقرير مصيري، تابعت جليلة وهي كانت نحيفة الجسد وضعيفة البنيان بطبيعتها، وكانت قد أتمت عامها العاشر منذ أسبوعين، وكانت جليلة تعمل مع بائعة تأتي قريتنا وتبيع (عيش الريف) للتجار والباعة المتنقلين وتقضي اليوم كله معها مقابل لقمتها كالعادة، مما دفعها يومها للخلود للنوم سريعًا وكانت فرشتها بآخر الغرفة بعيدًا عن فرشة إخواني بجوار الجدار، وكنت أفكر كيف أنفذ ما أنوي عليه حتى غفوت مكاني قبل الفجر بساعة ولم أستطع أن أنفذ شيئًا.

في صباح اليوم التالي ذهبت للإسطبل وأنا أدعو الله ألا أقابل السيد كروس، وأن ينشغل بأي شيء حتى أنفذ ما أمرني به ونويت

عليه، كان تنظيف الحظيرة ونعال الأحصنة مهمة ثقيلة ومملة، فلم يمر اليوم مثل أي يوم، كانت الدقيقة تمر كالساعة والساعة تمر كالיום، والعجيب في الأمر أن اليوم انتهى ولم أر السيد كروس وكأنه يعلم أنني لم أفعلها بعد، خرجت من الإسطبل وأنا أردد أسباب قراري، وكيف أنني مصيب فيما سوف أفعله، هي تستحق هذه النهاية سواء كانت بريئة فلقد أرحتها من بؤس الدنيا وظلمها وإذا كانت حاملة لدم أمي النجس فلقد أرحت قلبي وقطعت آخر فرع لهذه الشجرة الخبيثة واقتلعت جذورها إلى ما لا نهاية.

دخلت جليلة الفراش كعادتها وغفلت سريعًا ومثلها فعل إخوتي الباقون، دخلت أنا أيضًا الفراش وكنت أشعر بالبرد يجتاح جسمي رغم حرارة الجو المرتفعة وانتظرت حتى تأكدت من أن الجميع قد ناموا، نهضت من فرشتي بهدوء وتحسست خطواتي وأنا أتجه نحو الجدار الذي تنام بجانبه جليلة وفي يدي وسادتي، واتكأت على ركبتي بجانبها ونظرت لها وكيف كانت ملامحها بريئة هادئة لكن شعرت بمن يهمس في أذني وكان صوت السيد كروس وهو يهتديني بموتي ثم اختلط صوته مع صوت أمي وهي تنازع في لحظاتها الأخيرة، ثم تدخل صوت أختي سنابل وهي تتوسل لي بصوت يئن، تداخلوا الثلاثة مع بعض في أذني بشكل مزعج ومشوش، لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك واتخذت قراري ورفعت الوسادة فوق رأسها ووضعتها على وجهها وضغطت بكل عزم وقوة وكانت تقاوم برعونة لم تستمر كثيرًا حتى توقفت، رفعت الوسادة وأسدت شعرها على وجهها وعدت كما كنت في فرشتي بشعور غريب لكنه مثير جدًا، ملأت النشوة جسدي وشعرت بالدفء فجأة يجتاحني واستلقيت

ببطء وراحة وغفوت سريعًا، نمت نومًا عميقًا لكن كان عليّ أن أستيقظ مبكرًا رغم ذلك حتى أقوم بإكمال الجزء الثاني من خطتي، نهضت وقمت بإيقاظ إخوتي وأخبرتهم أنني سوف أتناول فطوري بالإسطنبول لكن قبل أن أغادر سألتهم مندهشًا:

- أما زالت جليلة نائمة؟ سوف أدخل لإيقاظها.

دخلت واقتربت منها وربت عليها كي تستيقظ مرّة ثم كررتها ثم صرخت فيها وأصدرت الصدمة على ملامحي وتجمعوا إخوتي حولي غير مصدقين فقلت بنبرة حزينة:

- لقد توفت جليلة وفارقتنا أختنا الثانية، مثلما فارقتنا سنا بل كم هذا المنزل نحس وشؤم، جدرانها تشع كآبة وظلمة لقد ضاق صدري من هذا المنزل ولا أرغب في أن أبيت ليلة أخرى فيه، سوف ندفن جليلة ولن أعود معكم، هذا هو قراري النهائي وقد أخبرتكم من قبل من حق أي فرد منكم أن يحدد مصيره ومن يرغب في الرحيل فليفعل.

وبهذه الكلمات أنهيت الجزء الثالث من خطتي وهي أن أترك منزلي فلم يبق لي شيء حتى إخوتي لن يحتاجوني فهم رجال في النهاية ولا أرغب في ذكر أسمائهم في قصتي إلى أخ واحد منهم سوف يكون له دور في قصتي لكن ليس الآن.

انتهت مراسم الدفن وعدت للمنزل وحملت أغراضي في حقيبة قماشية صغيرة وذهبت لكي أقيم في الإسطنبول بجوار السيد كروس حتى أعرف سر هذا الرجل الغريب ولماذا فعل معي ما فعله. وصلت بعد المغرب بقليل وكان الإسطنبول قد أغلق بابه فذهبت نحو منزله

وطرقت الباب، فتح الخادم عم (حمدون) وهو رجل عجوز لكنه خدم في منازل الأثرياء حتى وصل به الحال بسبب كبر سنه أن يخدم في منزل السيد إدوين ومن بعده السيد كروس، نظر لي عم حمدون مستغربًا:

- ماذا تريد يا صديق؟ الإسطبل أغلق بابه منذ ما يقرب من ساعة.

- أرغب في مقابلة السيد كروس؟

عقد حاجبيه وصدق في قليلًا ثم تنهد وربت على كتفي:

- إذا كنت ترغب في شيء فالسيد كروس ليس في مزاج جيد اليوم، انتظر وأخبره بالغد من الممكن أن يكون أفضل.

أسقطت الحقيبة من يدي فنظر لها ثم رفع نظره لي مستغربًا فقلت له بكل جدية:

- آسف يا عم حمدون، لكن لن أرحل من هنا قبل أن أقابل السيد كروس.

- يا غبي، أنا أخاف على رزق يومك، هذا التبجح والعند يكرهه الشعب الإنجليزي وبالأخص من الخدم مثلنا.

رأيت في عينيه الحنو والصدق لكن لم يصبح هناك مفر أو ملجأ آخر لي غير السيد كروس فقلت بجدية وإصرار أكثر:

- أخبره يا عم حمدون فلن أخسر أكثر مما خسرت.

- كما تريد، فقد حذرتك.

قالها عم حمدون ودخل هو يضرب كفاً على كف متضايقاً من عندي

ولحظات وعاد وعلى وجهه ملامح الصدمة وأشار لي أن أدخل:

- السيد كروس وافق وكأنه كان يعرف بمجيئك.

أومأت برأسي فرحاً وتبعته حتى وصل لغرفة تمتلئ بالكتب والسيد كروس يجلس على مقعد جلد عريض ضخم بجوار النافذة يدخل غليونه وما إن رأيته دخلت حتى قال بنبرة أمرية:

- اخرج يا حمدون وعد إلى غرفتك ولا تخرج منها اليوم أبداً.

نظر لي حمدون مصدوماً ومال برأسه نحو السيد كروس طاعةً له وخرج وأنا أبلغ ربيقي، وظل الصمت مسيطر إلا من صوت خطوات عم حمدون التي تبتعد أكثر وأكثر حتى قاطعها السيد كروس بقوله:

- كيف شعرت بعد أن تحوّل مبدأك لفعل وليس أقوالاً فقط؟

- شعور جيد.. جيد جداً.. لكن كيف علمت أنني نَقَذت ما طلبته

مني؟

ضحك وتعاليت ضحكاته حتى إنه سَقَلَ من شدتها ثم نهض وأشار بيده أن أتبعه. وبالفعل تبعته وخرجنا من المكتب ومشينا في ممر طويل ينتهي بباب لسرداب أسفل الدّرج، فتح بابه وأخذ مصباحاً زيتيّاً كان بجواره وكان هناك درج آخر للأسفل وقال وهو ينزل درجاته بجديّة:

- عندما أمسكتك وأنت تقتل أختك أو عندما طلبت منك طلبتي لم

تكن من النوع الذي يتذلل أو يتوسل، ولقد فعلتها من قبل بكامل إرادتك والمرة الثانية تكون أسهل إذا كنت أكثر هدوءاً وتركيزاً، وها أنت أكدت لي كم هو شعور جميل يمنحك النشوة، أليس صحيحاً؟

- نعم صحيح، وبرغم أن لي تبريرًا على فعلتي واقتنعت به، إلا أن الشعور بأنني أمتلك روحًا بين يدي وكنت صاحب القرار في إنهاء حياتها كان عظيمًا، والأهم من ذلك هو أنني أنهيت احتمالًا ولو بسيط أن تفعل مثل أختها وتدنس شرفي.

وصل بي لبهو هذا القبو الغريب ووقف أمام ساتر من القماش الأحمر يخفي ما خلفه، ثم وضع المصباح الزيتي على الأرض وفرد ذراعيه وقال متحمسًا:

- يمكن للشعور هذا أن يدوم لكن الخطر أن تصل فيه لحد الإدمان، خذ حذرك لأن التلذذ متعة يفسدها الإدمان، يجب أن تدير شهوتك بعقلك مهما كانت هذه الشهوة.

التفت وأزاح الستار لأجد طاولة خشبية ترقد عليها فتاة مقيدة ومكّمة وعلى عينيها عصبة تنزف دمًا من أماكن كثيرة من يديها وقدميها، دنا منها وتشمّم رائحة شعرها ثم سحب مشرطًا طبيًا كان بجانبه ونظر لي ولأول مرّة يبتسم، جذب شعرها للأسفل فالتوت رأسها للخلف ومزّر المشرط على رقبتها فانفجرت الدماء ولطخت وجهه وظلت الابتسامة ثابتة لا تتغير بشكل مخيف.

\*\*\*

## هالة

استقام السيد ماهر وعاد لمقعد مكتبه بخطوات ثابتة ونظر إلى هالة التي ازدادت توترًا ثم أردف بنبرة حادة:

- لا تنسي يا سيدتي الجميلة، أن هدفي الأول والأخير وما بينهما من أهداف يتمحورون حول شيء واحد وهو الربح، الربح فقط، ومن يكون سببًا في خسارتي، تكون خسارته أول قراراتي، وما يأتي بعد ذلك هو مجرد توابع لزلزالي الخاص، أرجو ألا تنسي تلك الكلمات.

باغتها بضربة قوية على سطح مكتبه وصاح فيها غاضبًا:

- أمامك ساعة من الآن فقط، تحدي مصيرك معي إما أن تأتي لي بقرار ينقذك ويساند خطة القناة، أو تقرري أن تخسري حياتك كمذبة للأبد.

نظر في ساعته وهو يزفر غضبًا، وأردف وعيناه ترصدان عين هالة التي تحبس دموعها:

- أعتقد أنك قد خسرت أول دقيقة الآن، فهل ستكملين خسارتك وأنتِ تجلسين أمامي هكذا؟

حملت هالة حقيبتها ونهضت مسرعة دون أن تنظر له واتجهت نحو الباب وهي تنظر لشاشة هاتفها في حزن تحاول أن تهرب بتلك الحالة من التركيز المزيف من ترصد أعين من بالخارج من موظفين وعملاء، حتى لا يلاحظ أحد بريق دموع عينيها الحبيسة التي تنتظر الإفراج عنها في أي وقت، لكن حظها العسر نال منها في

تلك اللحظة لتتفاجأ بظهور رجل أمامها تصطدم به ويتطاير منها هاتفها، فتقفز يديها بشيء لا إرادياً محاولة إمساكه لكنه يفلت منها ولا تلمسه بأطراف أناملها حتى، ليقع على الأرض ويتهشم وتنفصل أحشائه عن جسده، تابعت انفجاره هذا وهي تكاد تتمالك أعصابها، لاحظت ضحكات مكتومة من بعض الجالسين حولها، نزلت على الأرض لتجمع فتات هاتفها، لتتفاجأ بيد سمراء قوية تبرز العروق من ساعدها تقترب من هاتفها، رفعت عينيها لتجد شاباً أسمر البشرة ذا عينين واسعتين، عسليتين صافيتين بشكل بزاق لم تر مثلها من قبل، وشعره لونه أسود ليلي حالك، يرتدي بدلة سوداء أنارت شمرة بشرته كثيراً، كان ينظر لها بمودة وهو يقول في تهذب:

- آسف سيدتي على خطئي، فللأسف لم ألاحظ أن...

رفعت هالة كفها الأيمن مقاطعة حديثه وعيناها تنظران له نظرة ثاقبة، معلنة رفضها أن تسمع المزيد حتى لا يزيد موقفها إحراجاً، لمت ما تبقى من هاتفها وألقته بحقيبتها بشكل عشوائي، ونهضت مسرعة دون أن تنظر لأحد حتى للشاب ذي البدلة السوداء الذي ظل يلاحقها بعينه حتى اختفت خلف باب المصعد، وما إن لاحظت أنها بعيدة عن أن تترصدها أي عين انفجرت بالبكاء، فهي تعلم أنها ليست موهوبة كفاية وأن برنامجها يعتبر ترفيهاً خفيفاً لكنه ليس نصب أعين المعلنين بالشكل الكافي وأن سعيها لقصة رخيصة مثل قصة قصر صديق الملعون هي محاولة رخيصة منها للبحث عن الشهرة السريعة لكن لم تتوقع أن تصل لتلك النتيجة التي من الممكن أن تطيح سريعاً بكل ما صنعه في سنوات وبدلاً من أن تكسب الشهرة تنتهي بفضيحة، لكنها تعلم أنها عملية وذكية وسوف تجد مخرج

من هذا مهما كلفها الأمر فلن تخسر هذه الحرب مهما حدث، ثم خرجت من المصعد وهي تحاول أن تمسح عينيها قليلاً، حتى وصلت لسيارتها فشهقت فزعاً لما رآته؛ قطعة سوداء كثيفة الشعر تجلس على ظهر سيارتها، تنظر لها بعينين صفراوين لها مواء غريب، مواء يختلط ببكاء طفل رضيع نوعاً ما، أنيابها تبرز من بين شفاها، لم تنصفها شجاعته في ذلك فرجعت للوراء خطوة إثر خطوة، نظرت حولها يميناً ويساراً لعلها تجد من تستنجد به ليزيح تلك القطعة من فوق سيارتها لكن لم تجد أحداً، نظرت ملياً حولها لتجد بجانبها عصا تستند لأحد العواميد الإنارة، تجرأت أخيراً مسكتها بيد مرتعشة، ورفعتها عالياً وهي تقترب من سيارتها في توتر كبير، لتتفاجأ بأن القطعة اشربأت غضباً وارتفع أسفل ظهرها كميزاً، وانتصبت خصلات شعرها وكأنها تستجيب لغضبها، وهي تتلوى برقبتها وتزيد من موائها الغريب الذي أزداد من قشعرة هالة وخوفها كميزاً، فقررت أن تضرب الهواء بالعصا أمام القطعة لعلها تخاف منها وتهرب بعيداً فهي لن تقوى على ضربها مهما حصل، ما إن أطاحت بيديها جانباً وهي ممسكة بالعصا حتى سمعت صوت ارتطامها في شيء ثم تابعتها صرخة رجل، فالتفت لتجد الشاب ذات البدة السوداء سقط أرضاً وهو يمسك بذراعه من الألم، فألقت بالعصا أرضاً ودنت منه في توتر:

- آسفة جداً لم أكن أقصدك بالمرة، كنت أقصد تلك القطعة البشعة.

- لا.. لا يهمك، لكن أظن أنك أصبت الهدف لأنها هربت من صرختي على ما أظن، فأنا لم أر شيئاً.

التفتت هالة نحو السيارة، وتفاجأت فعلاً بعدم وجود أي أثر للقطعة.

- الآن نحن شبه متساويين.

قالها الشاب ليجذب انتباه هالة التي ما زالت شاردة في اختفاء القطة، ونجحت محاولته لكي تلتفت له هي مرة أخرى وتومئ برأسها مستفسرة:

- شبه متساويين؟! ماذا تقصد بهذا؟

ابتسم وهو ينهض من جلسته، وهي تحاول أن تمسك ذراعه لتسانده لكنها تتحاشى فعل ذلك في النهاية وتبعد يديها، لكنها تفاجأت بأنه يمد يديه مصافحاً وهو يبتسم:

- رشيد عتمان، رجل أعمال، حصلت منذ عدة أيام فقط على الوكالة لماركة سيارات ألمانية في مصر.

ثم دنا منها قليلاً وهو يهمس مازحاً:

- وشريك جديد بنسبة في تلك القناة، ومعى فقط سوف تجدي الحل لما أنت فيه الآن، وهذا هو سرنا الصغير فلا تخبري أحداً.

أمام بوابة مجمع تجاري كبير يقف رشيد بسيارته الرياضية الألمانية ذات اللون الأسود وبجواره تجلس هالة تحاول أن تتدارك كيف وافقت على عرضه بأن ينقلها بسيارته لأقرب مقهى بالمجمع التجاري المجاور لمبنى القناة، كل هذا لتعرف منه كيف سوف يساعدها في المأزق الذي حاصرها السيد ماهر فيه، وبرغم إبهارها بسيارته وأناقته وجاذبيته التي لم تعهدها على أحد من قبل، قررت أن تخرج من صمتها وتوقف هذا كله بقولها بحدة:

- آسفة أستاذ رشيد وأسمح لي أن تتقبل اعتذاري عن قبول

دعوتك لاحتساء القهوة معك، فأنا لا أعرف كيف وافقت من البداية، وهذا بالتأكيد لسوء حالتي النفسية، فأرجو منك أن تسمح لي أن أنزل من السيارة وأعود سيزًا لسيارتي مرة أخرى، فأنا يجب أن أتخذ قرار يحدد مستقبلي المهني خلال الثلاثين دقيقة القادمين.

التفت بجذعها يمينًا، وما إن حاولت أن تمسك مقبض الباب لتفتحه، لتجد رشيد يقول بصوت هادئ:

- هل من الممكن خمس دقائق فقط من تلك الثلاثين دقيقة؟ وبعدها افعلي ما يحلو لك.

تراخت قواها، وأعلنت أنها تنازلت عن قرارها بسحب يديها من على المقبض الباب وعادت بجلستها للخلف وهي تنظر إلى رشيد الذي كان يتأملها بعينه بشكل أثار خجلها واستسلمت للسكوت، فداعب رشيد خجلها هذا بابتسامة صغيرة وبدأ حديثه:

- بحكم أنني كنت منتظر السيد ماهر بالخارج، وللأسف كان صوته عاليًا بعض الشيء فلقد فهمت ما يدور وما سبب ثورته تلك، ولذلك تجرأت، وتابعتك لكي أخبرك بما توصلت له من حلول، هما بالأحرى حلان، الأول يمكن تنفيذه حاليًا والآخر سوف ننتظره قليلًا.

حاولت بتردد أن تسأله هالة مستغربة:

- ولماذا تفعل معي هذا؟

أنارت أسنانه البيضاء وجهه، ولمعت عيناه وأردف بعقة:

- سوف تعرفين السبب عندما نصل للحل الثاني.

\*\*\*

## طارق

حدّق طارق في عين رشيد العابتة وشرّد مفكّرًا حتى قاطعه رشيد بسؤاله:

- هل هناك شيء خطأ حدث طارق باشا؟

أوماً طارق برأسه نافياً وابتسم ودنا من نجيبة الخادمة وأشار لها أن تجلس فنظرت إلى رشيد كي تستأذنه فأوماً برأسه موافقًا، جلست بهدوء وجلس طارق على المقعد آخر بجانبها، وجلس رشيد على المقعد المقابل لها، أخرج طارق علبة سجائره ورفعها قليلاً نحو رشيد وقال مازحًا:

- هل مسموح التدخين هنا؟

- نعم بكل تأكيد.

فمدّ طارق يده نحو رشيد بعلبة السجائر كي يأخذ منه واحدة، لكن رشيد رفع كف يده معتذرًا وهو يبتسم، أوماً طارق برأسه معجبًا ثم سحب مرمدة السجائر الزجاجية أمامه على الطاولة وأشعل سيجارته في هدوء وبطء وكان يحاول بهذا الأسلوب أن يضغط على رشيد ونجيبة لعلهم يصدر منهم شيء غريب أو يؤثر هذا الصمت على إجاباتهم في أسئلته القادمة ومن ناحية أخرى أراد أن يستغل هذا الهدوء كي ينصت جيدًا لأي حركة أو صوت غريب قد يصدر يعجب وجود شخص آخر في المنزل، لكنه لم يسمع شيئًا، نفخ دخان سيجارته وهو يلتفت إلى نجيبة التي سعلت بسببه فأشار بكف يده معتذرًا وقال بجدية:

- آسف، هل يمكنك إخباري كيف علمت يا نجيبة بالحادثة؟

فركت في يديها قليلاً، وبلت شفاها بلسانها ثم أجابت بتردد:

- في حوالي الساعة السابعة والنصف فزعت من صوت سيارة الشرطة وشعرت كم هي قريبة مما دفعني الفضول إلا أن اذهب لنافذة المطبخ لكي أتأكد مما سمعت، ورأت سيارات الشرطة تقف أمام منزل السيد جعفر ويستقبلهم بحزن وحالة مزرية عم (حبشي) مساعده وسائقه الخاص وقال بنبرة مرتعشة "لقد قتلوا السيد جعفر.. قتلوه"، قالها ثم سقط مغشياً عليه وقد أخذته الإسعاف بعد ذلك ولا أعلم شيئاً عن حالته، وعلمت أن أصوات الصراخ والنحيب الذي سمعتهم قبل قدوم الشرطة بعدة دقائق يعودون إلى عم حبشي لحظة اكتشافه الجريمة.

- جيد، بما أن تركيزك قوي ومُنصتة جيدة بهذا الشكل الملحوظ، ألم تسمعي أو تلاحظي شيئاً في الليلة التي سبقتها أو حتى قبل وصول الشرطة بساعات قليلة؟

أومأت بالنفي، وأجابت بثقة:

- لا، لأن الأمس هو يوم عطلتي الأسبوعية وأبيت في منزلي، ولقد جئت صباح اليوم في مواعي الساعة السابعة.

حك طارق يده أسفل ذقنه مفكراً، ثم سألها مستفسراً:

- لقد سمعتِ عم حبشي هذا وهو يقول "قتلوه" أتعلمين إلى من يقصد بقوله هذا؟

اعتدلت في جلستها قليلاً، ونظرت سريعاً نحو رشيد الذي يتابع

ما يحدث في صمت، لاحظ طارق هذه النظرة وهو ينفذ رماد سيجارته بالمرمدة، النظرة التي تعني الخوف منه بكل تأكيد؛ لذلك أراد طارق أن يفرض سلطته فدنا منها وقال بنبرة حادة قليلاً:

- يجب أن أوضح شيئاً هنا وأسفاً أنني لم أذكره في البداية، نحن في صدد جريمة قتل على مقربة خطوات منك.

ثم أشار بسبابته وقال محذراً بنبرة أعلى:

- إذا كنت تعلمين أي معلومة وأخفيتها عني، وعلمت بها بطريقة أخرى غيرك، حينها سوف أعتبرك شريكة في الجريمة وعلى النيابة حينها أن تحدد درجتك، أنا ما زلت منتظراً إجابتك؟

ظهر عليها التوتر والقلق، وأرجعت خصلة شعرها خلف أذنها ومالت بجسدها نحو طارق وهي تنظر إلى رشيد، ثم عادت بنظرها نحو طارق وقالت في خوف:

- أظنه يقصد الجميع هنا فلقد كان السيد جعفر على خلاف مع الجميع هنا بسبب طبعه الحاد والعصبي، أظنه يقصد ذلك يا سيدي.

- جيد يا نجيبة أتمنى أن يكون لك نصيب من اسمك ولا تبخلي عليّ بأي معلومة فلقد وضعتك في رأسي وأنتظر منك المزيد، يمكنك أن تتركيني مع السيد رشيد الآن، شكراً.

نهضت نجيبة وهي تبلع ريقها، وقبل أن تغادر أوقفها طارق بقوله مفاجئاً:

- يمكنك أن تخبري زوجة السيد رشيد أنني بانتظارها بالأسفل.

نظرت له وما إن استدارت حتى تلجلجت وظهر عليها التوتر ولذلك قاطعها رشيد بقوله بشيء من المزاح:

- كيف سوف تخبرينها وهي ليست هنا؟

- نعم، نعم، صحيح.

قالتها نجيبة بوجه مبتسم وعين خائفة ولاحظ طارق ذلك فنظر إلى رشيد ووضع يده على رأسه متذكرًا:

- اعذرني، لقد أخبرتني سابقًا ألا يوجد أحد هنا غيركما، شكرًا يا نجيبة.

- نجيبة أحضري لي ولطارق باشا قهوة، ما نوع قهوتك؟ مضبوطة مثلي؟

أومأ طارق مؤكدًا ثم أومأت نجيبة رأسها بتوتر وعادت إلى المطبخ، التفت طارق إلى رشيد وأطفأ سيجارته في مرمدة السجائر، ثم نهض وحملها معه وجلس بالقرب من رشيد، وأشعل سيجارة أخرى في هدوء، ثم قال وهو يتأمل المنزل:

- نسيت أن أبدي إعجابي بمنزلك عند وصولي، ولكنك تعلم كم الأشياء التي تدور في عقل الواحد مًا وبالأخص مع هذه الجرائم.

- نعم بكل تأكيد، الله يكون في عونك طارق باشا.

نظر له طارق مبتسمًا، ثم سأله بعد أن زفر دخان سيجارته:

- هل يمكنك أن تخبرني لماذا طلب السيد جعفر الشرطة قبل وفاته بما يقرب شهر متهمًا زوجتك بالاقتحام منزله ومحاولة قتله؟

كان سؤالاً مبالغاً من طارق، ولم يكن رشيد متوقعه فظهر عليه التوتر فنظر لطارق وأعاد رأسه للخلف قليلاً ثم عاد وهو يتنهد وقال بنبهة ثابتة:

- كما أخبرتك نجيبة أن السيد جعفر كان للأسف أسلوبه عصبياً ويفتعل المشكلة مع أي أحد بلا أسباب ومقتنع بنظرية المؤامرة، وأن الجميع يدبرون الخطط كي يضايقوه، كان حظ زوجتي السيئ يومها أنها حاولت أن تتقرب من زوجته وصنعت كعكة وذهبت لكي تعطيها لها، فوجدت الباب مفتوحاً مما دفعها القلق والفضول لكي تدخل بعد أن طرقت الباب وما لم يجيبها أحد، واعترف أن هذا هو خطؤها الوحيد، لتكتشف ظهور السيد جعفر من خلفها على عتبة الباب صارخاً فيها كيف لها أن تقتحم منزله وتتعدى على ملكيته الخاصة دون إذنه، وأغلق الباب عليها وطلب الشرطة وأبلغهم كذباً في الهاتف أنها حاولت قتله، وزوجتي طلبتني كي أنقذها من هذا الموقف السيئ، وعندما جئت اعتذرت للسيد جعفر وأقنعتة أن يتنازل عن المحضر، ووافق بعد إلحاح وطلب عدم التعرض له مئياً أو من زوجتي، لبيت طلبه بكل تأكيد وعدت أنا وزوجتي لمنزلنا ولم يتكرر أن تصادفت زوجتي وقابلته أو تكلمت معه بعد ذلك.

أطفاً طارق سيجارته وهو يومئ برأسه مستمعاً لحديث رشيد حتى دخلت نجيبة تحمل القهوة فأجابه مستغرباً:

- ألهذا كان سيئ الطباع؟

- لا كان مجنوناً.

التفت طارق لمصدر الصوت ليجده قادماً من السيدة التي رآها

هو وأيمن تنظر لهما من نافذة المنزل واقفة على بُعد خطوات خلفه، نهض رشيد مفزوعًا، وكادت أن تسقط نجية القهوة عندما رأيتها.

## الفصل الخامس

### حنين

ركبت حنين سيارة هيلين وفي أثناء طريقهما لمقابلة زوجها في مديرية الأمن حاولت هيلين أن تتقرب من حنين؛ فسألتها في ودّ عما تفعله في هولندا وأخبرتها حنين باقتضاب على الدرجة العلمية التي حصلت عليها، اتسعت عينا هيلين متفاجئتين وأردفت في حماس:

- جيد جدًا، أنا متأكدة أن هذه الأخبار سوف تفرح هالة كثيرًا عندما تعلم بها.

ابتسمت حنين ابتسامة جانبية ساخرة، ثم نظرت نحو اليمين وظلت تتأمل الشارع والمارة من زجاج السيارة، لكن لم تياس هيلين وأرادت أن تضيف:

- أرجو أن تتوقفي عن ظلم هالة، هالة أخبرتني أن هدفها من رفضها لفكرة بيع المنزل، هو أن يبقى شيء أخير يجمع ما بينكما من مشاعر وذكريات، ولكنك كنت حينها في فترة المراهقة وعلى ما أظن كانت مشاعرك تتحكم فيك أكثر من عقلك، ورغم ما عانيته أنت وهالة من تصرفات زوجة أبيك، بعد صدمة وفاة والدتكما، لكن علمت من هالة أنكم كنتمما قريبين جيدًا من بعضكما، وعندما علمت قرار سفرك للخارج، نتج عنه قرارات في محاولة منها لتمسك بك وعدم فراقك، وفي النهاية أصبحت هالة وحيدة ومهما تقربت منها لم أصل لمكانتك في قلبها حتى جاء من استطاع أن يسيطر عليها ويدمرها.

كانت حنين تنصت لحديث هيلين دون أن تعطي أي رد فعل ظلت ثابتة بوجه جامد، وكأن الحديث ليس لها من الأساس، لاحظت هيلين ذلك، فحاولت أن تلتطف ما أفسدته واعتذرت على تدخلها، التفت حنين لها وقالت بنبرة حادة:

- المشكلة ليس إزعاجك بكلامك أو كمرته المبالغة، لكن أرجو منك ألا تتدخل في حل مشكلة وأنت لم تسمعي القصة إلا من وجهة نظر طرف واحد، ولن تكتمل القصة إلا إذا سمعت جميع وجهات النظر، فأرجو منك الصمت في أي شيء يخصني.

- كما ترغبين.

قالتها هيلين وهي تومئ برأسها مؤكدة وملامحها يظهر عليها الضيق، نظرت أمامها لكي تهدأ قليلاً وهي منشغلة بالقيادة، ظل الصمت بينهما حتى وصلتا لمقر مديرية الأمن وركنت السيارة وصعدت الاثنتان إلى مكتب الرائد (عمر المنياوي) لكنه لم يكن متواجداً به، أدخلهما حارس المكتب، دخلتا وجلستا تنتظرانه، دقائق قليلة ودخل عمر وتفاجأ بوجود زوجته فظهرت عليه الصدمة فاقترب منها بخطوات سريعة:

- خير يا هيلين؟ هل الأولاد بخير؟ هل حدث معك شيء؟

- لا تقلق يا عزيزي فنحن جميعاً بخير، لكني قدمت من أجل طلب صغير منك.

ظهر على عمر الاستغراب منتظراً هيلين التي أردفت وهي تشير نحو حنين:

- هذه حنين أخت هالة صديقتي وأنت تعلم جيدًا كم هالة عزيزة على قلبي، ولذلك جئت كي أطلب منك أن تخرج لها تصريح بزيارتها غدًا.

تنهد عمر راحة ومدّ يده كي يسلم على حنين التي رسمت ابتسامة مزيفة أثناء ذلك وتحرك نحو مكتبه وجلس وقال بنبرة مازحة:

- لولا الأستاذة حنين وأنها من طرف هالة ما كنت سامحتك على فزعك لي بحضورك هنا، فأنا أعلم جيدًا كم تكرهين الدخول للأقسام.

- ولكن من أجل هالة يمكنني أن أتقبل أي شيء.

قالتها هيلين وهي تنظر إلى حنين في خبث، أومأ عمر برأسه متفهمًا وأخرج ورقة وقلما وبدأ يكتب الطلب ثم نظر إلى حنين متسائلًا:

- هل هذه أول زيارة منك لها بداخل المصحة؟

نظرت له حنين وأجابت في جدية:

- نعم.

- ألم تزورها في محبسها أو في قسم الشرطة؟

زفرت حنين غضبًا:

- لا يا حضرة الرائد هذا أول يوم لي في مصر منذ ستة أعوام، ولولا الصدفة ما كنت علمت بشيء عن هذه القضية من الأساس، ولذلك أرغب في معرفة الحقيقة، وسوف أبحث بنفسني دون اللجوء لأشخاص ثرثارين تسوقهم مشاعرهم عن عقولهم.

قالت تلك الكلمات وهي تنظر نحو هيلين التي ابتسمت ابتسامة جانبية ساخرة ردًا على كلامها ولاحظ عمر أن هناك شيئًا غريب بينهما لكنه لم يعلق، ابتسم ووضع الورقة أمام حنين وقال وهو يشير بالقلم في مكان في أسفل الورقة:

- أرجو منك كتابة اسمك بالكامل وصلة القرابة ورقمك الشخصي.  
أومأت حنين برأسها وأخذت منه القلم وبدأت في الكتابة وما إن أنهت حتى نظرت له، وقالت مستفسرة:

- متى سوف يخرج هذا التصريح؟

- بإذن الله لن يتأخر عن الغد، سوف أخبر هيلين عندما يصدر، كي تُعلمك بإستلامه مني.

قاطعته حنين وهي تشير بكف يدها قائلة بحدة:

- لا أفضل أن تتصل بي مباشرة.

مدت يدها وكتبت رقم هاتفها على ورقة فارغة موجودة على سطح مكتبه وهو ينظر في عين هيلين التي بدأ يظهر عليها الضيق من تصرفات حنين الغريبة معها، أخرج عمر بطاقة ورقية برقم هاتفه حتى مدت حنين يدها لعمر وأعطت له الورقة وأخذت بطاقته ورمتها في حقيبتها وقالت له وهي تصنع الابتسامة:

- هذا هاتفني لا تنس وسوف أنتظر مكالمتك غدًا تطمئنني بإذن الله، لكنّ لدي طلبًا أرجو أن تنفذه لي.

نظرت حنين إلى عمر المستغرب والذي أومأ برأسه مرحبًا وقال لها:

- تفضلي.

- أرغب في نسخة من ملف القضية لكي أدرسها بشكل جيد وأرى ما بها من نقاط ضعف وقوة وأعرف لماذا وصلت هالة لهذه الحالة المزرية:

نظر لها عمر مفكرًا ثم أجاب بجدية:

- كنت قد قرأت ملابسات القضية من قبل بناء على طلب هيلين، لكن هذه النقطة لن أستطيع أن أساعدك فيها للأسف، الآن يجب عليك أن تقابلي محامي أختك والموكل من قبل زوجها كي يعطيك نسخة من ملف القضية، لكن أنصحك بأن تركيزي كثيرًا فيه لأن برغم أن هناك عدة مشتبهين إلا أن هالة كانت عليها الدوافع الأكثر منطقية، هذا غير وجود آثار دمائها في مسرح الجريمة وهذه أثبتت التهمة عليها أكثر.

\*\*\*

## صديق

كانت رعشة الفتاة التي تحتضر أمامي بحركة قدميها مع صوت قطرات الدماء المتساقط من عنقها في الدلو أسفل رأسها يشبهان رقصة (روزالينا) الكونغولية، لا أعرف كيف جاء هذا المشهد في خيالي لكن رغم صدمة الموقف لا أنكر أنني شعرت بالنشوة، وعندما نظرت إلى السيد كروس كانت ملامحه تنير بشاشة لم أرها من قبل وعيناه تبتسمان من فرط لذة ما يفعل، لاحظ أنني أتابعه فنظر لي وقال وهو يتأمل جسد الفتاة وهو يتصلب:

- هل تعلم هوية هذه الفتاة؟

- لا يا سيدي.

قطع العصبة التي على عينها والكمامة من على قمها وأجاب بثقة:

- هذه الراقصة التي أحيت حفل استقبالي، وكان من ضمن برنامجها للحفل أن تكون ضيفة فراشي، عندما علمت بهذا العرض انشغل تفكيري قليلاً فلا أخفي عليك لقد امتلأت بريطانيا بهن بشكل مريع ومقزز، هل النساء المومسات متغلغلات في كل بقاع العالم بهذا الشكل مهما تغيرت العقافة والعرق واللون؟ وقررت أن أخرج وأترك الحفل قليلاً، وأنا بالخارج لمحتك أنت وأختك من بعيد وأنتما تدخلان حظيرة الولادة وعندما رأيت ما فعلته علمت أن هذه علامة لكي أريح العالم من النساء المومسات، عدت للحفلة وعندما قابلتها في فراشي اتفقت معها كيف أقابلها مرة أخرى بعيداً عن منظم الحفل وأن يكون سرّاً ولا تخبر أحداً وسوف تنال مكافأة مجزية

مني، وها قد جاءت لي بقدميها كي أنقذ فيها حكم الإعدام.

شعرت بالاستمتاع لحديثه الذي قطعه ليسألني:

- ألم تستحق هذه المكافأة يا صديق؟

- بالفعل تستحقها يا سيدي، مَنْ مثلها ينتمين لمنازل مشهورة بهذه الأفعال على أطراف القرية، وهن معروفات للعامة أنها بيوت لممارسة البغاء وشرب المشروب المخمر، من يدخل في جيبه قرش لا يخرج به.

رأيت لمعة في عين السيد كروس وأوماً برأسه بحماس وهو يبتسم وفرد ذراعيه فوق الفتاة وقال لي بسعادة:

- كنت تفتقد الكثير يا صديق بطريقة قتلك البدائية، وكما أخبرتك يجب ألا تدمن هذا الفعل لكن على الأقل يجب أن تستغل الفعل وتفرغ فيه شهوتك وتستمتع بأكبر وقت من اللذة، لذلك ليس القتل هو اللذة الوحيدة في الأمر لكن هو باب اللذة لما هو قادم.

أشار نحو وجه الفتاة بالمشروط الطبي وأردف:

- إزهاق الروح الفاسدة شيء عظيم لأنها هي من تعطي لهذا الجسد الحياة والحركة، ودور الجسد أن يكون العنصر الجذاب ومصدر الإغراء الذي تعتمد عليه الروح في إغواء فريستها والإيقاع به، ولذلك يجب أن ينال حظه من العقاب.

وكنت أظن الأمر انتهى عند هذا الحد لكن ما فعله بعد ذلك كان غريبًا ودمويًا بشكل لم أر مثله من قبل؛ أمسك المشروط الطبي وقام بعمل جروح عميقة في الحلق، وتشوهات في الأعضاء التناسلية

والبطن، وإزالة الأعضاء الداخلية، وتشويه الوجه، كان متمرسًا بحق، ليست مرته الأولى بلا شك، وأثناء ذلك كان عقلي قد توقف عن التفكير كنت أتابع ما يحدث وأنفذ ما يُطلب مني من مساعدة في إمساك شيء أو نقل شيء، حتى انتهى السيد كروس قبل الفجر بساعتين، وكان قد أنهك وظهر عليه علامات التعب والإرهاق، نظر لي وإلى ملابسني التي لُطخت بالدماء وسألني بشيء من التشكك:

- هل لديك ملابس أخرى غير هذه؟

- نعم لدي لباس آخر.

نظر لي وهو يغسل يده تحت صنوبر ماء جانبي وقال بنبرة جادة:

- إذا يجب أن تخلع هذه الملابس هنا وسوف تخفيها خلف الخزانة أسفل الدّرج وترتدي شيئًا آخر، لا يمكن أن تصعد لأعلى وأنت بهذا المظهر.

شعرت بالسعادة تغمرني وذهب هو لأحد أركان القبو وكان يحتفظ بزيّ هناك؛ بذله وتقابلنا عند الدّرج وكان السيد كروس يمسك المصباح الزيتي بيده فمدت يدي كي أحمله عنه لكنه أبعدته عني قليلًا وقال وهو ينظر لي بعين جادة:

- لا.. لن تصعد معي، سوف تبقي ليلتك هنا يا صديق، وفي الصباح سوف تعرف كل شيء.

نظرت له في كسرة والصدمة تتملكني وأنا أراه يصعد لأعلى وتركني بهذا القبو الذي أصبح الظلام يحتله شيئًا فشيئًا حتى اكتمل احتلاله للقبو بإغلاق بابه وسماع صوت حركة مفتاحه وهو يغلقه،

تكوّرت في مكاني واستندت لأقرب حائط خلفي وأنا أراقب اللا شيء في الظلام وانهاالت الأسئلة في عقلي تتصارع، هل هو ساحر من نوع خاص يمارس السحر الأسود؟ وكانت هذه الفتاة قريباً وتضحية من أجل شيء يرغب فيه، وأكون أنا في النهاية القربان التالي، فأنا بالنسبة له ليس لي أي قيمة، أقل قيمة حتى من الفتاة التي ترقد على الطاولة أو بالأحرى بقاياها فهي على الأقل لديها أهل وأفراد سوف يشعرون بغيابها ومن الممكن أن يبحثوا عنها، أما أنا له مجرد فتى منظم حظائر قاتل لأختيه، ووالداه هجرا أطفالهم وليس لي من سوف يفتقدني، لكن في نفس الوقت له أقوال وأفعال معي تناقض هذا الاستنتاج.

ظل التفكير يملكني حتى غفوت من التعب ولم أستيقظ إلا عندما شعرت بشيء ينفذ صدري فنهضت متفاجئاً لأجد السيد كروس يقف أمامي ممسكاً بعصا مميزة من العاج لونها أسود برأس تشبه رأس الأسد، نظرت لأعلى وجدته يشير لي أن أنهض، ما إن نهضت حتى نظر لي متفحصاً وجهي دون أن ينطق بكلمة، ثم التفت وصعد الدرج وأشار لي أن أتبعه، وبالفعل فعلت ما أمرني به حتى وصلنا لمكتبه وجلس على مقعده المميز بجوار النافذة وأشعل غليونه وقال لي بنبرة هادئة:

- أعتقد أنك ظننت أنني حبستك في القبو بسبب أنني ما زلت لم أثق بك، أليس كذلك؟

- نعم سيدي.

ابتسم ابتسامة ساخرة ثم سحب عدة أنفاس من غليونه

وأخرجهم بهدوء:

- هناك سببان أهم من هذا السبب الضعيف، أولهما أنه كان اختبارًا لك على صلابتك واتزان عقلك فهناك الكثير ممن يمرون بمثل تجربتك بالأمس ويحبسون مع جثة في مكان واحد ومظلم يذهب عنهم الاتزان ويصابون بالجنون أو الحَرْف أو تقلّ عزيمتهم ولقد نجحت في هذا الاختبار فأنا أرى أمامي شخصًا أفضل.

نظرت له مستغربًا تفكيره لكنه لم يطل الصمت وأردف بجدية:

- وثنائي سبب يجب أن يكون وجودك في المنزل بشكل شرعي فلا يمكن أن يستيقظ حمدون ويجدك ممددًا على الأرض نائمًا.

- كان يكفيني أن تجعلني أنام في الحظيرة.

نهض من مكانه وربت على كتفي وهو يقول بنبرة هادئة:

- وكيف لمساعدني أن ينام في الحظيرة؟

كانت الكلمات صادمة لي ولم أستوعب بسهولة ما قاله، حتى وضع يده في جيبه وأخرج عملات من المال ووضعهما في يدي وأردف:

- هذا المال لتشتري لنفسك ملابس أفضل تناسب وضعك الجديد هنا، أنت من الآن مساعد حمدون في العلق ومساعدني الخاص في السر، وسوف تبقي في المنزل مع حمدون في غرفته، اذهب الآن وتفقد المنزل وتناول فطورك في المطبخ، واطمئن حمدون ليس هنا بل في السوق يحضر لي بعض الأغراض وذلك حتى لا يراك وأنت تخرج من القبو ويعلم أنك قضيت ليلتك هنا، فسوف تذهب أنت الآن بعد أن تنهي فطورك لشراء ملابس جديدة، وتأتي لي مُرتديًا أحدها

وتحمل حقيبة ملابسك وحينها سوف يكون حمدون قد وصل هنا  
وأخبره بقرار تعيينك بالمنزل لمساعدتي في أمور خاصة وسوف  
تترك مهام الحظيرة للأبد.

كنت أرغب في أن أقفز من السعادة والفرح، أخذت المال وانحنيت  
شاكراً السيد كروس لكنه وقال لي وهو يشير بسبابته محذراً:

- لا تنس أيضاً، من اليوم سوف تبدأ مهمتك الجديدة، في منتصف  
الليل سوف تدفن جثة الفتاة على طريقي، وتأكد دائماً أن لا شيء  
في هذا العالم بلا مقابل.

\*\*\*

## هالة

ارتسمت على وجه هالة علامات الدهشة والاستغراب وهي تتابع حديث رشيد عندما أردف:

- يتلخص الحل الأول في تأكيد ما تم إذاعته في حلقتك الأخيرة حتى يتسنى لك الرد على الهجوم الذي انطلق عليك منذ إذاعة الحلقة، والأفضل والأقوى أن يكون الرد من جهة أنتِ لست طرف فيها.

قاطعت هالة مستفسرة:

- وكيف يحدث هذا؟ أسفة للمقاطعة لكنه الفضول الصحفي ليس إلا، أرجوك أكمل.

نظر لها رشيد وعيناه ملؤهما الفرحة وأردف حديمه في حماس:

- الحل الأول يتلخص في أنه سيتم توجيه دعوة مفتوحة على مواقع التواصل الاجتماعي لزيارة هذا القصر وقضاء ليلة كاملة فيه من بعد الغروب حتى بزوغ الفجر، والجدل الذي حدث في حلقتك وما بعدها سوف يكون هو الغطاء والسبب في إنشاء تلك الحملة، ويكون هناك بث مباشر من داخل هذا المنزل لمدة ليلة كاملة، والتي سوف تنتهي بنتيجة واحدة بالتأكيد، وهي ما قمّت بإذاعتها في حلقتك أن البيت خالٍ من أي خرافة مزعومة، ويكون هذا هو الرد القوي ضد المشككين، وأنت بعيدة كل البعد عما يحدث، تتابعينه من خلال شاشة حاسوبك بالمنزل، أنا واثق أن ليس بهذا القصر شيئاً مما يدعون من خرافات وقصص هشة ليس لها أساس، وما جعلني أفكر

في هذا هو ثقتك فيما تم إذاعته في حلقتك، أما زلت واثقة فيما قدمتيه؟

نظرت له في تردد وقالت في حدة:

- بالطبع واثقة ومتأكدة أن هذا المنزل ما هو إلا مسخ صنعه الزمن من تجاهل البشر حوله.

ظهر عليها القلق وهي تسأله:

- ولكن اسمح لي في سؤال بسيط، هل سيوافق مالك القصر أن يدخل قصره غرباء ويستبيحوا ما فيه لمدة ليلة كاملة دون رقيب؟

ابتسم رشيد ابتسامة مالت لليمين قليلاً وزفر زفرة قصيرة واتسعت عيناه وقال ساخراً:

- للمال لغة يتقنها الجميع وقوة ينحني لها كل زاهدي الآخرة، فلا تقلقي سيدتي الجميلة بفئات الأمور.

نالت تلك الجملة الشعور بالانجذاب مع قليل من القلق لكن لم تنكر شعورها بالفرحة لما في تلك الفكرة من حل يرضي شغفها الصحفي والشهرة الإعلامية ويرضي من الطرف الآخر السيد ماهر دون أي تنازلات أو خسائر، فأنارت الابتسامة وجهها والتفت لرشيد قائلة في كثير من الخجل:

- لا أعرف ماذا أقول، أو كيف أشكرك على إنقاذي، ولا أعرف كيف سأرد هذا الجميل.

أشار بسبابته التي تمايلت يميناً ويساراً معلنة الرفض وهو يحدق

فيها قائلاً بأنفاس حارة:

- لا تقولي شيئاً، أريدك أن تعلمي وٹصبحي أكبر وأفضل إعلامية في المنطقة، لأنك ملكة في كل شيء، ويجب أن تكون ملكة في الإعلام، هذا هو رد الجميل الذي أنتظره يا سيدتي الجميلة.

لم يسعفها احمرار وجنتيها في أن يُخبئ خجلها ثواني حتى، أما عيناها فزاد بريقها كخيّراً، حتى شفتاها ابتسمتا دون إشارة منها أو استئذان، لكن حاولت أن تتمالك هذا الانفلات الجسدي بعض الشيء وقالت في تلعم وهي تعيد خصلات شعرها خلف أذنيها:

- سوف أحاول، هل يمكنك أن تعيدني إلى مبنى القناة كي أخبر السيد ماهر بهذا الحل، حتى يعتقني من إلحاحه عليّ، هذا إذا رغبت في ذلك؟

- تحت أمرك يا ملكة مملكتي، لكن لا تنسي هذا سر لا يعلمه غيرنا، أنتِ أمام السيد ماهر صاحبة الفكرة وتعلمين من سيقوم بالتنفيذ ليس إلا.

أومات هالة برأسها موافقة وهي تراقب رشيد وهو يدير محرك السيارة وقد قادها حتى مدخل القناة مرّة أخرى، وما إن نزلت من السيارة حتى التفت له مرّة أخرى وسألته في خجل:

- كيف أصل لك؟ ليس معي حتى رقم هاتفك.

- ستجديني أمامك في كل مرّة تحتاجين فيها لمنقذ، ولا تنسي أن الحل الثاني لم أخبرك به بعد.

قال رشيد تلك الجملة وانطلق مسرعاً تاركاً هالة غارقة في بحر

من الفضول والشوق والانبهار، لكن سرعان ما لمت شتاتها فلقد جاءها طوق النجاة على طبق من فضة قدّمه معجب مجهول لكن يكفي ما كسبته منه حتى الآن، وتوجهت بسرعة لمكتب السيد ماهر بالأعلى مرّة أخرى، دخلت مكتبه بكل ثقة مما أثار فضول السيد ماهر فقال متشككًا:

- هل وصلتِ لحلي بهذه السرعة؟

- نعم.

أشار لها بيده أن تجلس وأردف:

- غريبة، لم أعهدك بهذه السرعة في التفكير.

- أفهم من ذلك أنك كنت تراهن على فشلي أم ثقة أن من الممكن أن يولد تحت هذا الضغط شيء جديد لم تعهده عليّ؟

شعر ماهر أن هالة تخرجه وتعطيه في نفس الوقت طوق النجاة بذكاء فأجابها بكثير من الثقة:

- بالتأكيد كنت أثق أن الضغط سوف يُخرج أفضل ما فيك، ها أخبريني توصلتِ له؟

بدأت هالة في شرح الفكرة وكأنها صاحبة الفكر والملكية لها ونالت الفكرة إعجاب واستحسان السيد ماهر كثيرًا وهذا ما جعله داعيًا لتلك الدعوة بشكل غير مباشر، وذلك بعد انطلاقها بالفعل من مجموعة شباب معروفون على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة من جراتهم وأفكارهم المجنونة وإعلانهم أنهم حصلوا على موافقة من مالك القصر على تلك الدعوة، وبالفعل نجحت الحملة

وتصاعد بشكل كبير عدد المهتمين بالدعوة لزيارة قصر صديق  
عوني وقضاء ليلة في هذا القصر الذي التصقت به شائعات عدة عن  
وجود قوة خفية به وأشباح مخيفة، وكان فريق البرنامج والقناة  
يتابعون بفرحة ونشوة الانتصار ردود أفعال تلك الدعوة من رفض  
الأهالي بالمنطقة، وشغف الشباب المتهور بالاستمتاع بتلك التجربة  
المجنونة، لكن كانت هالة تراقب كل هذا بقلق شديد وعدم راحة لا  
تعرف لماذا؟ هذا بالإضافة إلى اختفاء رشيد التام خلال تلك الفترة  
وعدم الاتصال بها أو التواصل معها بأي شكل من الأشكال، كانت  
تريد أن تنتهي تلك المرحلة حتى تنتقل للمرحلة الثانية وتعرف ما  
هو الحل الثاني الذي وعدّها رشيد به؟ وكان هو بالنسبة لها علامة  
استفهام تستمتع بجهلها به، ورغم غرابة الشعور لكنها أحبّته.

\*\*\*

## طارق

نهض طارق من جلسته وهو يبتسم ابتسامة خفيفة؛ انتصر ظنه وزادت ثقته في إحساسه الأمني، فقد جاءت من تعبت أن ما رآه بنافذة هذا المنزل واقع، هي فعلاً تشبه السيدة التي رآها لكن هناك شيئاً واحداً مختلفاً هو لون شعرها؛ كانت السيدة التي رآها تقف في النافذة لون شعرها ذهبي داكن، أما السيدة التي تقف أمامه فلون شعرها يميل للسواد، كان أسفل عينيها سواد غريب لم يكن ظاهراً من الأسفل ومثله مثل لون بشرتها الشاحب الذي يظهر العظام والعروق بشكل واضح، لم يجعل طارق هذه النقاط ثقلص من انتصاره، فلقد ثبت حالة كذب واضحة؛ لذلك مال برأسه نحو رشيد الذي جحظت عيناه من الصدمة وقال بنبرة هادئة:

- أرى أن لم يقتصر المنزل عليك أنت ونجيبة كما ادعيت سيد رشيد، وتأكيدك لهذا أكثر من مرة، هل لديك مبرر واضح يمكنني أن أثق به؟

- أعلم أنني مخطئ ولديك كل الحق، وأناي كذبت عليك وأجبرت نجيبة أن تؤكد لك كذبتني، أعذر لك على هذا لكن أستاذك أن تسمح لي أن أحدثك جانباً على انفراد.

أثناء رد رشيد كان طارق يستمع له وعيناه تراقبان السيدة زوجته التي ظلت مكانها متصلبة بعين ثابتة لا تبدي أي مشاعر، تحقق فيه دون أن تنطق بحرف، تحرك طارق جانباً خطوتين مع رشيد الذي ظهر عليه التوتر وقال بنبرة خافتة:

- أكرر اعتذاري لك سيدي، لكن أرجو منك أن تتقبل أسبابي على فعلتي تلك بصدر رحب، أود أولاً أن أخبرك أن زوجتي هي هالة فاضل، كانت إعلامية شهيرة لكنها توقفت منذ فترة بسبب عدة مشاكل لا داعي لذكرها الآن وحفاظاً على شكلها الاجتماعي وددت أن تظهر لك وتقدم اعترافها في أفضل حالتها في وقت لاحق وليس الآن، لأن حالتها النفسية في الفترة الأخيرة ليست بأفضل حال، فلا أود أن أعلمها بحادث بشع مثل ما حدث اليوم وهي ليست في حالة نفسية معتدلة يمكنها تقبل ذلك.

كان رد طارق حازماً:

- لا أظن أنك كنت مضطراً للكذب سيد رشيد، فكان يمكنك أن تخبرني أن زوجتك متواجدة بالمنزل لكن لسوء حالتها لا يمكن التحقيق معها وكنت سأقدر هذا بكل تأكيد فأنا قادم بصفة ودية للتعارف وبناء تحريات مبدئية وليس بصفة قانونية مباشرة كي تخاف على مظهر زوجتك الإعلامية منه، ولا تنس أن الجريمة حدثت هنا في هذا المجمع الصغير ومن خلال تحريات بسيطة كنت سأعلم بهذه المعلومة بكل بساطة دون الحاجة لسؤالك مرّة ثانية لكن حينها ستكون مصدر شك كما أنت الآن بالنسبة لي.

لم يستطع رشيد أن يبقى صامداً أمام طارق أكثر من ذلك، وأجابه بنبرة خائفة وحزينة:

- أعلم أن ما فعلته خطأ، لكنك لا تعلم كم أحب زوجتي، وكم أحاول أن أخفي ما وصلت له من سوء حفاظاً على صورتها أملاً أن تعود يوماً لطبيعتها مرّة أخرى وتجدد صورتها أمام جمهورها كما

هي، فلا أرغب أن يكون سبب في فضحها أو تشويه هذه الصورة هو تخاذلي في حمايتها، ما فعلته كان مجرد تصرّف أهوج من زوج يحمي زوجته ويحافظ على نجاحها التي صنعتها بموهبتها وأضاعته فيه عمرها.

نظر له طارق ولم يجبه ثم نظر لهالة والتي ما زالت تقف مكانها وبجانبيها نجيبة تربت على يديها وأراد أن يبحث عن السيدة التي رآها هل هي هالة أم هناك سيدة أخرى مختبئة في المنزل؟ ولذلك عاد بنظره إلى رشيد وقال في جدية:

- هل يمكنك أن تريني المنزل بشكل كامل؟ ومنها أكمل معك بعض الأسئلة بعيدًا عن زوجتك حفاظًا على حالتها.

- تفضل بلا شك، وأشكرك على تفهمك.

تحرك رشيد وخلفه طارق يتأمل كل شيء يمر عليه وصعدا الدرج لأعلى وما إن أصبح طارق ورشيد بعيدًا عن هالة حتى سأل طارق:

- كيف علمت بخبر الحادثة سيد رشيد؟

- كنت بمقر شركتي واتصلت بي نجيبة وأخبرتني به.

أكمل طارق سيره خلف رشيد وهو يفحص الغرف معه ثم سأله:

- وأين تقع شركتك؟

- في التجمع الخامس.

ردّ عليه طارق متشككًا:

- غريبة، هل تذهب إلى شركتك مبكرًا بهذا الشكل، لأن نجيبة على

حد قولها علمت بوصول سيارات الشرطة والتي وصلت في حدود الساعة والنصف صباحًا، أي أنت تحتاج على الأقل نصف ساعة كي تصل مقر شركتك، اعذرني لم أسمع عن رجل أعمال مثلك يذهب لمكتبه قبل الموظفين الساعة الساعة صباحًا.

توقف رشيد والتفت لطارق وأجابه بشيء من الحزن:

- ليست عادتي لكن جاءني اتصال هاتفي قبل منتصف الليل يعلمني بأن هناك حريقًا يدور في مقر شركتي، هذا ما دفعني للذهاب والوقوف مع رجال الإطفاء حتى انتهوا من عملهم وأنقذوا ما استطاعوا إنقاذه، وبقيت مع موظفي الشركة لمعرفة مقدار الخسارة التي خسرتها بسبب الحريق وأثناء ذلك هاتفتني نجيبة وأخبرتني بما حدث وهذا ما دفعني للعودة سريعًا حتى أضمن ألا تعرف حالة شيئًا عن الحادث وبالأخص أن لديها ذكرى سيئة مع السيد جعفر.

- خبر سيئ بالفعل، هل أثبت الحادث بمحضر رسمي؟

نظر له رشيد فأجاب بمققة:

- نعم بكل تأكيد لا يمكن أن أتنازل عن محضر رسمي لهذه الواقعة حتى فلدي شركاء ومستثمرون معي لا يمكن أن أخفي عنهم شيئًا كهذا.

خلال البحث في الغرف لم يلاحظ طارق شيئًا غريبًا حتى صعد رشيد للطابق الثاني العلوي والذي لا يحتوي سوى على غرفة واحد كبيرة، دخل رشيد وخلفه دخل طارق مبهورًا بحجم الغرفة والتي تعتبر غرفة النوم الرئيسية والغريب فيها أنها بشكل دائري

وجميع جدرانها مقسّمة لجزئين الجزء الأكبر والعلوي منها هو زجاج ومنه تستطيع أن تكشف المجمع كله، من أول البوابة التي تقع في المنتصف وثلاثة منازل على اليمين وأقربهم منزل الضحية السيد جعفر وثلاثة منازل على اليسار، يتراصون كنصف دائرة حول المنزل، والجزء الخلفي من الغرفة يكشف الحديقة الخلفية وحمام السباحة، كانت الغرفة وكأنها منارة يمكنك من أي زاوية فيها أن تكشف جزءًا من هذا المجمع الصغير، كان تصميمًا غريبًا لمنزل وسط المجمع يمكنه كشف الجميع، وأثناء تفحص طارق الغرفة وقف في مكان النافذة الزجاجية التي كانت تقف مكانه فيها السيدة من قبل ونظر من خلاله ولاحظ كيف تكشف منزل السيد جعفر بشكل واضح، مما دفع طارق ليسأل رشيد بحزم:

- إذا أخذنا بتصريح حبشي الأخير وكان المشتبهون من داخل المجمع، مَن برأيك يمكن أن يكون المشتبه الأول؟

- سؤال صعب سيد طارق فللأسف كان للسيد جعفر خلافات كثيرة مع كل سكان المجمع ولا تنس العمال أيضًا لكن...

تفاجأ بصرخة نسائية عالية ومن الواضح أنها تعود لنجيبة كصرخة استغاثة، توتر على إثرها رشيد وتحرك نزولًا لها وتبعه طارق لكنه لاحظ شيئًا غريب لفت نظره فعاد للخلف خطوتين وابتكأ على ركبتيه بجوار الفراش ليجد أسفل المرتبة شعرًا مستعارًا لونه ذهبي داكن، وهنا راوده سؤال واحد: لماذا ارتدت هالة هذا الشعر المستعار وهي تنظر له من النافذة وعندما نزلت خلعتة وخبأته بهذه الطريقة الغريبة؟

## الفصل السادس

### حنين

نظرت حنين إلى عمر بعد أن أنهى حديثه ونهضت من مكانها وسألته بتهكم:

- أفهم من حديثك هذا أنك تخبرني أن مصير أختي هو حبل المشنقة ولا أجهد نفسي معها أم ماذا؟ أقدر ما تفعله كثيرًا، لكن لا تكون مصدر يشع طاقة سلبية لي، أو تدفعني لمسار معين، حقًا لا أفهم ما الغرض من هذا كله.

وضح على عمر علامات الاستغراب من رد فعلها ولم يرغب في الرد لكن لم تكن هيلين مثله ونهضت هي الأخرى وقالت بنبرة حادة:

- أرجو أن تتفهمي سواء أنا أو زوجي عمر نحاول أن نساعدك من أجل هالة ليس أكثر وقد لاحظت أنك لا ترغبين في هذا بسبب أسلوبك الحاد معي والآن تكررينه مع عمر، بسوء الظن في وفيه بلا داعي، ورغم أسلوبك هذا فنحن سننهي لك تصريح الزيارة كما وعدناك ليس أكثر، وثقي تمامًا أننا لن نتدخل في أي أمور تخصك مرة أخرى، وكان الله في عون هالة حقًا، فهي لا تستحق كل هذا للأسف.

تنفعل حنين وتمسك حقيبتها وتتحرك خارجًا لكن عمر ينهض وينادي عليها فتتوقف وتلتفت له ليخبرها بجدية:

- يمكنك أن تمرى غدًا في حدود الساعة العاشرة صباحًا لتستلمي التصريح.

أومات حنين برأسها وألقت بنظرة غاضبة على هيلين التي نظرت لها باستهجان حتى غادرت المكتب لتزفر هيلين وهي تجلس ثم قالت وملامح وجهها تميل للتعجب:

- غبية وحادة الطباع بشكل منفر.

يومي عمر بالرفض ويرد عليها:

- لا.. هذه أزمة ثقة ليس أكثر، اعذريها.

تغادر حنين مديرية الأمن ولا تعرف إلى أين تذهب الآن؟ لكن قررت أن تعود لمنزل والدها لعلها تستطيع أن تجمع شتات نفسها قليلاً، وبالفعل ركبت سيارة أجرة أعادتها لمنزل والدها وطلبت وجبة سريعة وصلت لمنزلها، وبعد أن انتهت منها جلست إلى الطاولة وحاولت أن تستعيد ما وصلت له حتى الآن، بداية من الرسالة المشفرة المرسلة من هالة وقد علمت الآن أنها أرسلتها قبل الحادثة بشهر تقريباً، هالة جاءت إلى المنزل قبل الحادث برغم أنه مغلق منذ فترة كبيرة، أحرقت شيئاً قماشياً في سلة المهملات بالحمام هذا غير أن هناك آثار دماء جافة بالقرب من باب غرفتها، تركت مفتاح المنزل عند السيدة سهام وكأنها تعلم ومتأكدة بعودتها، هالة تزوجت وتركت العمل الإعلامي منذ ما يقرب من أربع سنوات، تدهورت حالة هالة النفسية والعقلية وقطعت التواصل مع أصدقائها قبل الحادث بما يقرب من ستة أشهر، وهنا تذكرت الورقة التي أعطاها كريم لها دون أن تلاحظه هيلين وكان هذا من الأسباب التي جعلتها تؤكد إحساسها بعدم الراحة لهيلين ومنه ما نتج عن تصرفها مع مع عمر بعد ذلك، أخرجت الورقة وقامت بالاتصال به واتفقت معه أن تقابله في مقهى

قريب من المنزل، بالفعل استعدت ولبست ونزلت لكن ما إن أغلقت الباب حتى لاحظت أن السيدة سهام تشير لها من على باب منزلها أن تأتي لها، فعبرت حنين الطريق على مضض خائفة أن تؤخرها على موعدا، وما إن اقتربت منها وجدت السيدة سهام تحتضن مجلة الكواكب وقالت بنبرة حزينة:

- هل رأيت هالة؟

- لا من الممكن أن أراها غداً.

دفعت السيدة سهام عجلة مقعدها واقتربت من حنين وأمسكت يدها وربت عليها وهي تقول لها:

- هل يمكنك أن توصلي هذه لهالة؟ فأنا أعرفها جيداً وأعرف كم هي مثل (غزل البنات) تظهر بهالة كبيرة حولها لكن ما إن تلمسيها تذوب في يدك كالسكر المغزول.

- سوف أرسلها، هل هناك قبلة أو حزن ترغبين في إرساله أيضاً مع هذه الشحنة؟

لاحظت السيدة سهام من رد حنين غيرتها فابتسمت وقالت لها في ود:

- لا تغضبي بهذا الشكل فأنتِ مثل الآيس كريم ينخدع من يراكِ بصلابتك وبرودك لكنه لا يعلم أنك مع أول لمسة تذوبين.

استطاعت هذه الكلمات أن تخرج ابتسامة رقيقة من حنين التي قبلت رأس السيدة سهام، وقالت لها بوجه بشوش:

- أرى أن هذه المجاملات الرقيقة نابعة من تقلب في نسبة السكر ليس أكثر، وينبئ باحتياجك للعلاج فورًا.

ابتسمت السيدة سهام وربتت عليها وقالت في سخرية:

- معك حق، أشعر أن هذا هو السبب.

تركتها وغادرت حنين وركبت سيارة الأجرة حتى وصلت للمقهى المتفق عليه، ما إن دخلت حتى لاحظت وجود كريم يجلس إلى إحدى الطاولات الجانبية، ذهبت له وما إن رآها حتى نهض ورحب بها حتى جلست أمامه وطلب النادل وطلب منه قهوة له وحنين طلبت قهوة بالشكولاتة، تركهم النادل التفت كريم إلى حنين وقال بنبرة هادئة:

- هل تعلمين أن هالة فازت بالرهان رغم أنها ليست معنا؟

ظهر على حنين علامة الجهل وعدم الاستيعاب بتقلص وجهها وسألته بتشكك:

- آسفة ماذا تقصد؟ وعن أي رهان تتحدث؟

ابتسم كريم وقال بحماس:

- في يوم ما كنت أنا وهالة نعمل على قضية طفل صغير تعارك مع كلب مسعور كان يحاول أن ينهش جسد أخته الصغيرة، وبسبب تضحيته هذه تشوّه جزء من وجهه وذراعه، وحينها سألتها وقلت هذا طبيعي لأن جينات الرجل سوف تسيطر عليه وتجعله يفعل ذلك، هل تعتقد لو كان في هذا الموقف أختان وليس أختًا هل سيكون نفس رد الفعل؟ هل تعلمين ماذا كانت إجابة هالة على

سؤالي؟

أومات حنين برأسها يمين ويسارًا توضح جهلها وهذا فأجابها بحماس:

- قالت معك حق من الممكن أن لو الموقف بين أختين سوف تكتفيان بالصراخ، إلا إذا كانت الأختان أنا وحنين فسوف تقوم حنين بدور الأخ الشجاع برغم أنها أصغر مني، ولن تبخل علي بالتضحية من أجلي.

لمعت عين حنين وصمتت حتى جاء النادل وأنزل المشروبات على الطاولة وغادر، حاولت حنين رسم الجدية وقالت بنبرة حادة:

- لقد تركت لي ورقة صباحًا بأن لديك معلومات عن قضية هالة، يجب أن نتكلم في أقرب وقت، ولا أجد أقرب من هذا وقتًا، مقابلة في نفس اليوم فهل تُسرّع وتخبرني بما لديك؟

شعر كريم بالإحراج فأخذ رشفة من فنجان القهوة ونظر إلى حنين وقال بجدية:

- قبل الجريمة التي اتُهمت فيها هالة بقتل جاراها بحوالي ما يقرب من ستة أشهر فوجئت باتصال منها تطلب مني أن أقابلها لشيء ضروري، وكان هذا الاتصال الأول بيننا بعد أن تركت القناة وتزوجت السيد رشيد.

قاطعته حنين متسائلة وكأنها تفكر بصوتًا عالي:

- غريبة هذه هي نفس الفترة التي قطعت بعدها هالة التواصل مع أحد، أو يمكن أجبرت على هذا، تمام أكمل.

تفهم كريم ما ترمي له حنين ثم أردف بحماس:

- وعندما قابلتها طلبت مني أن أضع كاميرات مراقبة صغيرة وخفية في جميع أنحاء منزلها، وأن تكون موصلة عن طريق شبكة خاصة، وتحفظ التسجيلات على بطاقة ذاكرة ذكية في هاتف بديل آخر غير هاتفها الشخصي، على أن يكون هذا بدون علم أي شخص، أنا وهي فقط، ونقذت ما طلبته مني في يوم لم يكن زوجها والخادمة بالمنزل، أرى أن عثورك على هذا الهاتف سوف يفسر لك الكثير من التساؤلات.

\*\*\*

## صديق

كان على حق السيد كروس لا يوجد شيء بلا مقابل، أطعت أمره طواعية واقتناعًا، ذهبت للسوق وعدت وقابلت عم حمدون الذي علم بقرار السيد كروس بعلمي معه كمساعد له هذا غير إنهاء أعمال خاصة للسيد كروس، كانت ملامح عم حمدون على غير عادته، غير مستوعبة لما حدث، وكان يراقبني في كل فعل أقوم به، حتى جاء الليل وكنت أقف بجواره في مكتب السيد كروس الذي كان يقرأ أحد الكتب من مكتبته ويدخن غليونته كالعادة وقال بجدية دون أن ينظر لنا:

- هل أنهيتما ما طلب منكما؟

- نعم يا سيدي، كل أوامرك قد نفذت.

قالها عم حمدون بحماس وثقة فأوماً السيد كروس برأسه راضيًا وزفر دخان غليونته وقال بهدوء:

- جيد، يمكنك أن تذهب للنوم الآن يا حمدون، ولا تخرج منها كالعادة.

ظهرت عليه علامات الدهشة وتوتر وقال وهو يشير نحوي مصطنع الابتسامة:

- هل تقصد أن يذهب معي صديق للنوم؟ صحيح؟

- لا، لقد قلت حمدون وأقصدك أنت فقط، أحتاج من صديق أن يساعدني في شيء خاص.

قالها السيد كروس بهدوء لكن بنبرة حازمة، ازداد توتر عم حمدون ونظر لي منكسراً، فتحرك خطوة خارجاً ثم استدار وقال بتلعثم بعض الشيء:

- هذا أول يوم لصديق هنا، أنا أقدم منه ويمكنني مساعدتك بشكل أفضل.

صمت السيد كروس لحظات ثم رفع نظره لنا لأول مرة منذ أن دخلنا ورأينا لمعة عينيه من أسفل حاجبيه الكثيفين تترصدان في اتجاه عم حمدون الذي ارتبك وبدأت يده تتحرك بشكل لا إرادي، حتى قطع هذا الصمت المميت قول السيد كروس بحدة وصرامة:

- أنا هنا من يحدد من الأفضل، أنا هنا سيدك، أنت لا تعرفني جيداً أنا رجل عسكري وأمرى واجب النفاذ، والجندي الذي لا يُنفذ أمر قائده يقتل.

قال جملة وختمها بغلق الكتاب الذي كان يقرأ فيه بقوة أصدرت صوتاً قوياً جعلنا ننتفض في مكاننا، وقد سمعت صوت أنفاس عم حمدون بجانبى من شدة خوفه وضع السيد كروس ساقه اليسرى على ركة ساقه اليمنى وأردف:

- ولكنى سوف أعطيك فرصة واحدة، ثق تمامًا أنى لن أتحمّل أن تتكرر هذه المجادلة بعد أمر لى، وتذكر دائماً أن الطاعة تُطيل عمر العبد، الآن انصرف.

- نعم سيدي، نعم.

كررها عم حمدون وهو يهرول بخطوات مرتعشة من الخوف،

تصلبت مكاني لم أنطق بحرف، حتى نظر لي السيد كروس وقال  
بنبرة هادئة عما قبلها:

- كنت أعلم أن وجودك المفاجئ بالمنزل سوف يربكه لكن تمرده  
العفوي هذا سوف يعاقب عليه بكل تأكيد، لا يمحو الخطأ الذي  
ترتكبه سوى شيئين؛ الاعتذار والعقاب، لا يمكن أن تكفي بالاعتذار  
فقط، فبدون العقاب سوف يتكرر الخطأ، لكن الآن أمامك مهمة أهم  
يجب أن تنتهيها بالشكل الأمثل بكل دقة وكل حرص وخفاء.  
- تحت أمرك سيدي.

أوماً برأسه السيد كروس راضيًا ونهض وهو يمسك الكتاب بيده  
اليمنى وغليونه باليد اليسرى واقترب مني وقال بنبرة تمتلئ  
بالحماس:

- سوف تدفن جثة الفتاة في حظيرة الولادة بجوار جثة أختك  
لكن يجب أن تراعي عمق الحفرة بشكل أفضل، وبعد أن تنتهي تأخذ  
بقايا أحشائها وتنثرها بالمياه على مناطق متفرقة وتعود قبل الفجر،  
سوف أنتظرك هنا لا تتأخر.

- قبل الفجر سوف تجدني أمامك سيدي.

انطلقت مهرولاً من المكتب وسلكت طريقي إلى القبو وربطت  
الجثة جيدًا وحملتها على كتفي وفي يدي وعاء معدني به بقايا  
أشلائها وغطيته بقطعة من الخيش وخرجت في هدوء من القبو،  
لكني سمعت صوت باب يغلق لم أعره انتباهًا، وذهبت للحظيرة  
وحفرت حفرة بجوار حفرة سنابل لكنها أعمق قليلًا، وبسبب عملي

داخل الحظائر منذ عدة سنين كنت على دراية جيدة بها وكانت هناك حظيرة معينة يعتبر السور أحد جدرانها، اتخذت فتحتها العلوية منفذًا وخرجت منه على السور ثم للخارج بنجاح، لم تمر أكثر من ساعة وعدت مرة أخرى لمنزل السيد كروس ووجدته جالسًا مكانه يقرأ الكتاب الذي معه، كان صوت أنفاسي عاليًا فأشار لي بيده أن أجلس أرضًا كي أستريح قليلًا، نفذت أمره وجلست أرضًا حاولت أن أتفوه بكلمة لكنه قاطعني بكف يده أن أتوقف، ثم وضع سبابته على فمه كي أصمت، لحظات مرت حتى هدأت وصوت أنفاسي تباطأ وهذا، نظر لي متفحصًا لحظات ثم قال بهدوء:

- هل لاحظت اسم الكتاب الذي أقرأه؟

أومأت برأسي يمينًا ويسارًا جاهلًا، فضم شفتيه ورفع حاجبيه استياءً وأردف:

- ليس هذا بشيء جيد، يجب أن تجعل عقلك يعمل وينشط في كل لحظة، تخيره بتساؤل، تمنحه معلومة، تخبره بملاحظة، إذا أهملت عقلك لن تفرق شيئًا عن الحيوانات، يجب أن تركز في كل شيء يدور حولك مهما كان، وعلى العموم اسم هذا الكتاب "الحرف القرمزي" هي رواية أميركية كلاسيكية من تأليف ناثانيال هوثورن، تدور الرواية حول شخصية امرأة تدعى هيوستن برينس والموسومة بـ الحرف القرمزي "A"، الذي يرمز إلى عدم عفتها، وتتناول الرواية مواضيع مثل الخيانة والنفاق والتعصب والعقاب.

- رواية جيدة يجب أن أقرأها هذا إذا سمحت لي بذلك سيدي.

نظر لي بغضب وقال وهو يرفع الكتاب بجانب وجهه:

- هذه ليست رواية جيدة على الإطلاق كيف لمجتمع يعلم أن سيدة أكرمت هذا الجرم وذنبت عفتها ولا يعاقبها ويكتفي فقط بوسمها بحرف على صدرها، سيدة تستحق الحرق مثل الساحرات في القرون الوسطى، مهما كانت النهاية فعرض القصة والعقاب بهذا الشكل يعير اشمئزازي، ورغم ذلك يجب أن أنهي الكتاب لأن قرار قراءته كان قراري أنا ويجب أن أتحمّل عقابي بأن أكمله وأنا مشمئز. تنهدت تنهيدة طويلة وأخذ لحظات من الصمت ثم نظر وقال بجدية:

- هل أنجزت ما طلب منك؟

أومات برأسي مؤكّداً فأوماً راضياً ثم أردف:

- يمكنك أن تخذ للنوم الآن، واستعد لأن تتحمّل مهام المنزل بالكامل من الغد، سوف تجد حمدون ميّثاً في فراشه وغداً تعلن وفاته عندما تستيقظ.

ظهرت عليّ الصدمة، لكنني لم أنطق بشيء حتى أردف:

- أدركت عندما خرج أنه لم يدخل غرفته فلم أسمع باب غرفته وهو يغلق مثل كل يوم وكان يتنصت علينا وحاول أن يتبعك عندما ذهبت للقبو وعند خروجك منه عاد سريعاً إلى غرفته وأغلق الباب لكنه لم يعلم أنني كنت أنتظره هناك، كتمت أنفاسه ونال عقابه.

\*\*\*

## هالة

بعد عدة أيام جاء اليوم المحدد لتنفيذ دعوة الشباب وقضاء ليلة كاملة في قصر صديق باشا، الكل يتابع البث الحي على منصة المجموعة التي تدير تلك الحملة على موقع الفيسبوك، كان هناك خمسة شباب هم من يقودون البقية وقسموا أنفسهم في أنحاء القصر كل مجموعة لها قائد منهم تقضي ليلتها في جزء معين من القصر، ثلاث مجموعات بالدور العلوي يتوزعون على أكبر ثلاث غرف، ومجموعتان بالأسفل واحدة لمنطقة الاستقبال والصالون والثانية للمطبخ، على أن يجتمعوا جميعهم قبل نهاية الليلة بساعة واحدة في القبو، لينهوا ليلتهم بأكثر مكان غني بالإثارة والتشويق كما تم إذاعته في حلقة هالة الأخيرة التي هي سبب تلك الزيارة.

كانت كل مجموعة تشمل على ثلاثة أو أربعة أفراد على الأكثر بخلاف قائد المجموعة، وبدأت كل مجموعة ببث منفصل لها، ويتواصل كل قائد مجموعة بقيادة المجموعات الأخرى من خلال هاتف لاسلكي صغير يستخدم بين العمال والمعسكرات الشبابية، بدأت كل مجموعة باكتشاف المكان التي سوف تقضي ليلتها فيه، وكانت أول ملاحظة التي اتفق عليها الجميع، هي خلو القصر من أي أثاث إلا من ستائر على النوافذ وساعة حائط كبيرة بقاعة الاستقبال، وثاني ملاحظة هي أن الجدران تشع كآبة وحرًا يمتزج بهما الهواء المحيط والذي تكاد تستنشقه وأنت تتنفس في هذا القصر الغريب.

وبالرغم من مرور أكثر من ساعتين على دخولهم هذا القصر واقتربهم من منتصف الليل لكن لم يصدر عن أي مجموعة اكتشافها

أو ملاحظتها لشيء غريب، لكن زادت معدلات مشاهدة فيديوهات البث بشكل كبير، الجميع يتنقل من هذا البث للبث الآخر بشغف وكأنهم يطفون ويترجلون بين طرقات القصر ويعيشون معهم تلك الحالة، ومن ضمن من يراقب من بعيد أيضًا هالة التي لم تستطع أن تنام منذ الليلة السابقة وحتى تلك اللحظة من التوتر والقلق المسيطران عليها، نجحت في إحضار خمسة حواسيب آلية محمولة كي تستطيع أن تراقب البث الخماسي في آن واحد بعد أن أذاعوا ذلك قبل بداية البث بساعتين، وهكذا صنعت أستوديو خاصًا بها بمنزلها.

ظلت هالة تراقب الشاشات الخمس بالتتابع، تمسك بيد مرتعشة كوب قهوتها التاسع أو العاشر فهي لم تعد تتذكر عددهم من ككرة تناولها لهم، لكنها لاحظت على غير العادة الستارة الحمراء الداكنة التي تغطي نافذة غرفة النوم الكبير، والتي كانت تحت قيادة المجموعة الثانية، ورغم إضاءتهم الفقيرة المعتمدة على كشافات اليد الصغيرة في أيديهم، إلا أن الستارة كانت واضحة بعض الشيء واتضح أنها زادت بروزًا وكأن هناك من يقف خلفها، كل هذا يحدث خلف شباب المجموعة الذين يتسامرون في أحاديث تافهة لكن كانت هناك فتاة تتابع حديثهم فقط ولاحظت ما لاحظته هالة أشارت نحو الستارة في صمت، فجذبت انتباه الآخرين الذين التفتوا نحو ما تشير له، وفجأة صرخت بشدة وقفز الجميع وذلك لسماع صوت دقات ساعة الحائط والتي كانت بقاعة الاستقبال الكبيرة لتعلن أن الساعة الآن الثانية عشرة ليلاً، ما إن سمع الشباب صوت الدقات ترج جدران المنزل إلا وزاد فزعهم فلقد باغتتهم بالفعل

بشكل فج، وكان صوتها قويًا ومخيفًا بشكل كبير، أما هالة فكانت تكفي دقة ساعة منزلها مع ما تشاهده لتقفز هي الأخرى، لكن عندما جمعت شتاتها ركزت أكثر في الشاشة التي كانت تتابعها لتتفاجأ بأن الستارة أصبحت مشدودة الأساس، واختفى كل ما فيها من بروز سابق، هذا ما دعا هالة لأن تقول صارخة:

- ما هذا العيث؟

انتقل تركيزها على باقي الشاشات والتي لاحظت أن مجموعة قاعة الاستقبال يتشاجر فيها اثنان منهم، فرفعت مؤشر الصوت لكي تنصت لحديثهما وكان يصيح أحد أفراد تلك المجموعة مع قائدهم:

- أنا لا أكذب عليكم أقسم بالله رأيت شخصًا يرتدي عباءة سوداء يقف في نهاية هذا الممر، وما إن دقت الساعة تشتت تركيزي مع صراخكم، وعندما عاد تركيزي لما كنت عليه نظرت بتمعن لكن وجدته قد اختفى.

ردّ القائد في ثبات محاولاً تهدئته:

- أنا أصدقك لكن لا تهلع فأنت تؤثر بالسلب على رفقاءك بالمجموعة، أنا سوف أذهب وأتأكد مما رأيت، لكن أرجوك أن تهدأ قليلًا.

ذهب القائد محاولاً إظهار الثبات على خطواته نحو الممر، مسك في يده اليمنى هاتفه ليكمل البث ويضيء به طريقه من خلال الكشف الضوئي، واليد اليسرى تتحسس الحائط وهي ترتعش، ما إن وصل إلى نهاية الممر حتى وجد بابًا لغرفة ملحقة بقاعة

الاستقبال يمكن أن تكون المكتب، التفت للخلف ونظر لمجموعته الواقفة من بعيد تنتظر رده كي يطمئنهم، هذا شجعه قليلاً ليمسك مقبض الباب وهو يهمس ويردد بأذكار دينية لم تتضح بشكل كبير، وما إن دخل الغرفة التي وجدها فارغة مثل باقي القصر من الأثاث، لكن ظلت آثار تقسيمات المكتبة الخشبية باقية على أحد الجدران، كان ضوء الكشاف يمر على الحائط بهدوء ليكشف ما ستره الظلام، وبعد أن سمع نداء من كان يتشاجر معه سائلاً عما وجده، فالتفت منصتاً لكن ما إن عاد ليحيب عليه حتى لاحظ أن ستارة النافذة بها بروز غريب، احتل الخوف قلبه قليلاً، لكن ما إن تشجع وحاول أن يتقدم ليكتشف ما خلف هذا الستار.

البث يهتز بسبب رعشة يده، وزاد من صعوبة متابعة هالة له مما زاد توترها، وما إن اقتربت يد قائد المجموعة من الجزء المقصود من الستارة ليكشف ما خلفها، حتى تم سماع صراخ عالٍ، صراخ لأكثر من فرد فزع منه الجميع، فقفزت هالة للخلف رعباً، وتراجع قائد المجموعة دون أن يكشف الستار عما تخفيه تلك الستارة، وبدأ في النداء على قادة المجموعات الأخرى ليطمئن عليهم خارجاً من تلك الغرفة، وأثناء تلك النداءات لاحظت هالة أن البث الخاص بالمجموعة الخامسة أصبح غريباً، إنه لا يبت من غرفة المطبخ كما كان، هناك من يحمل الهاتف ويتحرك به عبر ممر غريب ومظلم، ثم باب خشبي عتيق يظهر أمامه، ثم فتحه دون أن يظهر يد من قام بفتحه، فلقد كان البث يسجل الجزء العلوي من الباب، وما إن فتحه حتى ظهر درج للأسفل تسكنه عشش العناكب في أمان، وأثناء ذلك كان الحديث بين القادة المجموعات يشير أن قائد المجموعة

الخامسة اختفى مرّة واحدة، وبعد البحث جيدًا وجدوه فاقداً للوعي في ممر بجوار المطبخ وهاتفه ليس معه، ولا أحد يعلم من حمل هذا الهاتف ويقوم بالبت حاليًا.

قرّر قادة المجموعات البحث عن هذا الشخص الذي سرق هاتف قائد المجموعة الخامسة ويتجول بأريحية في القصر، تتبعوا تحركاته من البت وأدركوا أنه يوجد بالقبو، فأعلنوا أن يتجمعوا في القبو الآن، تحركت المجموعات سريعًا والبت يهرول مع هرولة من يحملون الهواتف التي تبت، إلا هاتفًا واحدًا يتحرك في ثبات وبطء وهو ينزل الدّرج حتى كشف عن مقبض يشع ظلامًا، لم يتجول كثيرًا من يحمل الهاتف في هذا المكان لكنه تركه على الأرض لا يكشف إلا سقف القبو، وهالة خلف شاشاتها زادت نبضات قلبها ترقبًا لما يحدث، تجمعت باقي المجموعات ووصلت عند الباب الذي كان خلفه الدّرج، فأخذتهم الشجاعة وفتحوا الباب ونزلوا في توجس وحرص وتقزز من رائحة العفن والعطب المسيطران على هذا المكان المظلم، أربعة هواتف تبت ما يحدث، حتى كشفوا عن ضوء نابع من الأرض في منتصف هذا المكان، وعندما اقتربوا اكتشفوا أنه هاتف قائد المجموعة الخامسة، بدأوا في اكتشاف المكان ومحاولة للعثور على هذا السارق الذي ليس أمامه أي مخرج الآن إلا أن يكشف نفسه لهم.

\*\*\*

## طارق

غادر طارق منزل رشيد بعد أن نزل ولاحظ أن هالة راقدة أرضًا مغشيًا عليها ورشيد يقف بجانبها يتحدث مع طبيبها على الهاتف وبجوارها نجية متكئة على الأرض، شعر بالإحراج وأشار إلى رشيد أنه سوف يغادر المنزل، ووقف في منتصف المجمع ينظر له مفكرًا، برغم غرابة ما لاحظته في منزل رشيد، إلا أن هناك أشياء كثيرة يجب أن تكتمل، يجب أن يبحث وراء حقيقة أن جميع الجيران بالمجمع لهم مواقف سيئة مع الضحية مثلهم مثل هالة زوجة رشيد، ولذلك يجب أن يقوم بالتحري والتحقيق مع جميع سكان المجمع، وقرّر أن يبدأ بالصف اليمين والمنزل الثاني بعد منزل الضحية جعفر، رن جرس الباب وتعلوه لافتة باسم (كابتن عصام مروحة) وعليها رقم (2) وفتح له شاب رياضي البنيان يرتدي زيًا رياضيًا قصيرًا تنتفخ من أسفله عضلاته وقال بنبرة غاضبة:

- ماذا تريد؟

فأجابه طارق بهدوء وهو يشير يمينًا نحو منزل جعفر:

- أنا طارق أباطة رئيس المباحث وأعمل على قضية قتل جاركم السيد جعفر فهمي، هل يمكن أن نتحدث قليلًا؟

اعتدل عصام قليلًا وأشار بيده للداخل مرحبًا:

- تفضل طارق باشا.

دخل طارق متفحصًا المنزل ذا المساحات الواسعة والاثاث القليل وأشار له عصام أن يجلس على أريكة بجانبه، جلس طارق وقبل أن

يلحقه عصام ويجلس يشير له طارق بيديه:

- هل من الممكن كوب ماء؟

أوماً عصام بالموافقة لكن وجهه يتضح عليه الرفض، فجلس على المقعد بجانبه مما جعل طارق مستغرباً من رد فعله هذا، لكنه فاجأه بقوله بصوت عالٍ:

- نوسا، كوب ماء من فضلك للسيد ضابط المباحث.

- زوجتك؟

مال طارق وهو يسأله هذا السؤال فأجابه عصام وهو يتأمل عضلات ساعده:

- آه وشريكتي في قناة (صا صا ونوسا) على اليوتيوب.

- جيد، آسف ولكنني لم أتعرف عليك بعد.

اعتدل عصام في جلسته وأجابه بعقّة:

- أنا الكابتن عصام مروحة مدرب أحمال في الفريق الأول لنادي النسور.

دخلت نوسا وهي تحمل كوب الماء وباليدي الأخرى طبقاً ممتلئاً بأوراق الخس وهي سيدة قصيرة لكن نحيلة وذات بنية رياضية سليمة ترتدي زيّاً رياضياً قصيراً ومكشوف كثيراً، أخذ منها طارق الكوب وجلست بجواره وقالت في ود وهي تأكل أوراق الخس:

- وأنا نوسا أشرف مساعدته في النادي وزوجته متخصصة في غذاء وبناء الجسم الصحي، ما الأمر هل هناك أي أمل في حياة السيد

جعفر أم مات بشكل نهائي؟

نظر لها طارق مستغربًا ووضع كوب الماء الذي لم يشرب منه على الطاولة أمامه وهو يسألها:

- إلى أيهما تميلين أن ينتهي الأمر؟

شعرت نوسا بغباء ما قالتة فحاول عصام أن يوضح وجهة نظرها وقال بجدية:

- لا أحد يتمنى الموت لأي شخص لكن إذا كان هذا أمر الله فليكن، لكن في النهاية موت شخص مثل جعفر هذا سوف يريح الجميع بكل تأكيد.

أكملت نوسة حديثها بقولها بغضب وفمها يمتلئ بأوراق الخس:

- نعم كان رجلًا غبيًا بشكل كبير وسليط اللسان، ما إن نخرج في حديقة منزلنا لتصوير البث المباشر اليومي لنا عن الغذاء الصحي ونحن نعطي جواً جيداً بتشغيل الموسيقى وعمل التمارين الرياضية عليها إلا ويأتي ويصرخ من حديقة منزله ويسب ويأتي ويطرق على الباب بكل عنف، ورغم تمالك أعصابي وإدراكي لفارق السن والقوة كنت قتلته بيده واحدة.

- كنتِ ترغيبين في قتله؟

أيقنت نوسا أنها تلفظت بكلمات خاطئة واتسعت عين عصام صدمة من سؤال طارق فأجابه:

- كان هذا منذ ستة شهور ولكننا أدركنا أنه يترك المنزل ثلاثة أيام

كل أسبوع فأقنعت نوسا أن نتقي شره وأجلنا البث إلى تلك الأيام ومن يومها لم يتصادف بيننا أي خلاف، لكنه انشغل بشجار مع جاري السيد رامي في بداية كل أسبوع عند عودته يتشاجر معه بسبب ركن سيارته الثالثة أمام البوابة مما تضيق من مساحة الدخول، ولم يتوقف الشجار بينهما حتى هذا الأسبوع.

أوما طارق برأسه متفهمًا ثم أخبرهم أن لهم لقاء ثانيًا معه في مكتبه، وخرج من منزله وتحرك نحو المنزل الثالث وكتب أعلى بابه الخارجي رقم (3)، والذي يعود للسيد رامي الذي ذكره عصام في حديثه، لاحظ وجود ثلاث سيارات حديثة تقف أمام المنزل وكأنه معرض سيارات، رنّ جرس الباب وردّ عليه من خلال جهاز إلكتروني بجوار الجرس وسأله عن هويته، فأجابه طارق حتى فتح الباب أمامه إلكترونيًا ومر بالحديقة ودخل من باب المنزل المفتوح ولاحظ أنه مُرتّب ومنظم وممتلئ بالأجهزة الذكية الحديثة، نزل من الدرج شاب أنيق ببذلة سوداء حليق الرأس يتحدث في مكالمة من خلال سماعة الأذن، تقدّم مُرحّبًا بطارق وأشار له أن يجلس على المقعد جلس طارق وانتظره حتى أنهى محادثته والتفت مبتسمًا وقال بوجه بشوش:

- كيف لي أن أساعدك؟

- هل لي بكوب ماء من فضلك.

أوما رامي بالموافقة ونهض لإحضار كوب الماء فسأله طارق مستفسرًا:

- أليس هناك أحد في البيت يساعدك؟

- لا أنا فقط كانت لي تجربة زواج فاشلة ولم أكررها.

أوما طارق متفهما وسأله بوجه مستغرب:

- لم أعرف بعد ما طبيعة عملك؟

- أنا من أفضل سماسرة البورصة في مصر.

سأله طارق في جدية:

- لم أعرف ان البورصة تجعلك تصل أن تمتلك ثلاث سيارات حديثة.

- لا أخفي عليك حضرة الضابط، السر في القروض والأقساط وذلك مقابل الصورة والمستوى الاجتماعي لجذب العميل ليس أكثر.

ابتسم رامي لكن فاجأه طارق بسؤاله:

- متى آخر مرة رأيت فيها السيد جعفر؟

- منذ ثلاثة أيام تشاجر معي مثل كل أسبوع لكن هذه المرة لم أخرج له لأن كان معي مكالمة هامة وتركته يسب حتى انتهى ودخل منزله.

نظر له طارق ولاحظ أنه ثابت وغير متوتر فسأله في جدية:

- أين كنت ليلة أمس؟ ومتى عدت منزلك؟

- كنت في حفل عيد ميلاد لصديق لي في أحد المطاعم وتذكرت أنني نسيت هديته عدت للمنزل أخذتها ورجعت الحفل مرة أخرى.

نهض طارق وتحرك بخطوات قصيرة أمام رامي وهو يسأله:

- هل تتذكر بالتحديد متى كانت مواقيت هذه الأحداث؟

- لا أتذكر بالتحديد ولكنني عدت في حدود الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ولم أمكث أكثر من عشر دقائق وعدت للحفل ورجعت في حدود الرابعة والنصف فجراً.

التفت طارق خلف مقعد رامي وأمسك بحقيبة نسائية وحذاء وقال مبتسماً:

- أرجو أن تطلب من صاحبة السيارة المألعة أن تنزل لكي نتحدث قليلاً سيد رامي.

## الفصل السابع

### حنين

نظرت حنين إلى كريم تحاول أن تستوعب ما قاله بشكل مفصل أكثر فسألته:

- أرجو منك أن تخبرني بهدوء ما طلبته منك هالة مرّة أخرى؟

- طلبت أن أوّسس نظام مراقبة كاملاً لمنزل الزوجية، على أن تكون الكاميرات دقيقة وخفية ومن خلال هاتف آخر غير هاتفها الشخصي يمكنها أن تتابع البث الحي والتسجيلات في أي وقت من خلاله، تفاجأت بطلبها وكان أسلوبها في طلبها مثي فيه إلحاح ورجاء لم أرهما في عين هالة من قبل وهذا ما دفعني لقبول طلبها، وحددت معي موعدًا يكون زوجها والخادمة غير موجودين بالمنزل، تفاجأت يومها بحجم منزلها الكبير مما دفعني لوضع عدد كبير من الكاميرات لتغطية المنزل كما طلبت، وكان شرطها ألا تكون وحدة تخزين بالمنزل حتى لا يعلم بوجودها أحد، ولذلك كان ربطهم بجهاز لاسلكي يدار عن بعد عن طريق الإنترنت والمتحكم الوحيد به هو هاتفها، ما إن انتهيت حتى تفاجأت بطلب غريب من هالة؟

عقدت حنين حاجبيها وسألته تفهّمًا:

- ما هو؟

- قالت لي بوجه حزين لن أنساه أبدًا "اخرج من المنزل يا كريم ومن الآن لا تتواصل معي بأي شكل من الأشكال، وإذا شعرت أنني أحتاج لمساعدة اعلم أنك يجب أن تتواصل مع أختي حنين".

نظرت حنين له متشككة وسألته:

- وهل تواصلت معك بعد ذلك؟

- لا، لكن عندما علمت بما حدث لها وأنها متهمة بقضية قتل وأنا على يقين أنها لم تفعلها حاولت الوصول إليك لكن لم اوفق في ذلك، وما إن رأيتك تفرين أمامي وأنت في طريقك لمقابلة هيلين، قررت أن أعطيك الورقة أثناء مغادرتك كي تتواصلي معي.

أومات برأسها وأشارت بسبابتها نحوه وكأنها تذكرت شيئًا مهمًا:

- جيد أنك ذكرت هذه النقطة، لم أعطيتني الورقة بهذه الطريقة ولم تفصح عن رغبتك في مقابلي أمام هيلين؟ هل تظن أنها ليست مصدرًا للثقة رغم ما تظهره؟

تلاعب بأنامل يده اليمنى على سطح الطاولة ثم نظر لها وقال في نبرة جادة:

- هيلين كانت تعمل في السابق صحفية لموقع إخباري إلكتروني، ثم تركته وتعينت لدينا في القناة كفعدة إخبارية بوساطة من أختك هالة، وقد أخبرتني هالة أنها تعرف هيلين منذ الجامعة وكانت صديقة مقربة منها حتى توفي والد هيلين وأصيبت بصدمة وقطعت كل علاقاتها القديمة، لكن بعد زواجها تواصلت مع هالة مرة أخرى وكانت نتيجة رجوع التواصل بينهما أنها أصبحت تعمل في القناة، وأنا على يقين أن هذا هو سبب تواصلها مع هالة مرة أخرى، غير أنني أشعر أنها تغار من نجاح هالة وتحقد عليها بسبب أسلوبها المتعمد مع هالة في التقليل من نجاحاتها أو التسخيف من أفكارها، وحدثت

عدة مواقف أمامي تثبت ذلك، وفي النهاية أنا نفذت ما طلبته مني هالة أن أتواصل معك، حتى لو هيلين تُكِنُّ لها كل الحب وصادقة في إحساسها معها، فلا يجب أن أفشي سرًا ائتمنتني هالة عليه إلا للشخص المطلوب وهو أنت.

- لم أشعر بالراحة معها أنا أيضًا، لكنَّ هناك أمرًا يجب أن نفكر فيه؛ لماذا طلبت منك هالة هذا الطلب؟

مال برأسه يمينًا ويسارًا مفكرًا وأجابها بنبرة هادئة:

- هذا السؤال أخذ الكثير من التفكير لفترة كبيرة معي، ولكني توصلت لشيء لا أعلم هل هو المراد من نظام التجسس هذا لأن هذا هو الوصف الصحيح لما طلبته هالة، أظن أن هالة كانت تشك في خيانة زوجها رشيد وكانت تريد أن تمتلك أدلة مصورة عليه.

- ولم كل هذا إذا كانت واثقة بهذا الشكل كان يكفيها أن تطلب الطلاق منه وتواجهه بذلك؟

أشار بسبابته يمينًا ويسارًا رافضًا ما طرحته وأجاب وهو مبتسم:

- لقد قمت بالبحث خلف زوجها رشيد وقد علمت أنه ليس رجل أعمال ثري فقط بل هو يحمل الجنسية البريطانية والطلاق من الرجل البريطاني بطلب من زوجته بسبب الخيانة ومعها دليل يثبت ذلك يمكنها حينها أن تحصل على نصف ثروته.

- أعلم هذا جيدًا، لكن هل هالة وصلت لهذه الحالة من المادية؟

صمتت لحظات ثم نظرت له وقالت بعقّة:

- لا أظن أن هذا هو التبرير السليم لما طلبته منك هالة.

- لماذا؟

ابتسمت ابتسامة جانبية وأردفت بعقّة:

- إذا كانت هالة تشك في زوجها كان يكفيها أن تضع الكاميرات في غرف النوم فقط أو في غرفة الخادمة هذا إذا كانت تشك بأنه يقيم علاقة معها، أما في كل المنزل بالشكل الذي شرحتة لي لا أظنه غيرة وشك لكنه لا ينفي إحساسها بعدم الثقة، لكن لماذا؟ هذا هو السؤال.

أوما برأسه مؤكّداً فأكمل إنصاته لها وهي تردف:

- حالة هالة النفسية أو الصحية التي وصلتني حتى الآن لا تثبت أنها فعلت ذلك عن عقل واطّزان لتدبير مصيدة لزوجها بهذا الشكل لكنه لا ينفي ايضاً أنه نابع من الخوف، والسؤال الثاني هو الخوف مِقْن؟ أو من ماذا؟

صفق لها كريم بهدوء وببطء وقال بنبرة هادئة:

- لقد دمرتِ نظريتي بنجاح.

ابتسمت حنين وأردف بعقّة:

- لم أدمرها بشكل كامل، وسوف أعطيها قبلة الحياة، إذا افترضنا بتدبير هالة من أجل الحصول على الطلاق والمال، فما يفيد ذلك في قضيتها بقتل جاراها؟

أوما كريم مفكراً ثم أجابها بشيء من التردد:

- يمكن أن يكون زوجها علم بما تخطط له ودبر جريمة القتل هذه

لكي يتخلص منها وبذلك لن تثر أي شيء منه.

صفق كريم تحية لنفسه على استنتاجه لكن حين نظرت له  
مستغربة ما يفعله فقال معذراً:

- آسف أنني احتفلت باستنتاجي بهذا الشكل ونحن نتحدث عن  
هالة وحياتها التي أصبحت على المحك، آسف جداً.

- لا يهمك، لكن اعذرنى أنا سوف أنسف استنتاجك هذا الآن.  
نظر لها مستغرباً:

- لماذا؟

- لأنك لم تسأل نفسك سؤالاً مهماً جداً وأنت تفكر في هذا  
الاستنتاج.

مال كريم برأسه وسأل وهو عاقد حاجبيه:

- ما هو؟

صمتت لحظات وهي تنظر له ولحماسه وأجابته بثقة:

- لماذا لم تخرج هالة لجهات التحقيق التسجيلات التي معها لكي  
تعبت أنها لم تكن في مسرح الجريمة وقت حدوثها؟ وهذا له معنيان.

- ما هما؟

سألها كريم وهو يستند على الطاولة بمرفقه حتى أردفت وهي  
تشير بالسبابة والوسطى:

- أن تكون قد فعلت الجريمة بالفعل أو أنها لا تمتلك التسجيلات

من الأساس.

\*\*\*

## صديق

وضعت رأسي على الفراش وعيني تنظر لجملة حمدون الراقدة  
بالفراش الذي بجاني، لم أستطع النوم بسبب الأرق والتفكير  
وأدركت أنني أتعامل مع شخص لا قلب له يستطيع أن يقتل بسهولة  
وعقابه سريع ولا يتهاون فيه، فيجب الحذر منه والتعامل معه بكل  
طاعة وحرص، أشرقت الشمس وأعلنت عن وفاة عم حمدون بين  
عمال الإسطبل مثلما أمر السيد كروس وتم دفنه نهارًا واكملنا اليوم  
وانتهى لكن لم ينته عند السيد كروس وهذا علمته عندما دخلت عليه  
مكتبه ووجدته يقف أمام نافذة مكتبه يتأمل، فقلت مستثذًا:

- هل ترغب في شيء أفعله لك يا سيدي؟

- وهل ترغب في الذهاب إلى النوم؟

كنت بالفعل أرغب في النوم بشدة فلم تكن ليأتي الأولى أو الثانية  
في هذا المنزل مريحة قط، دنوت منه في توتر وقلت في كثير من  
التذلل:

- أنا خادمك يا سيدي إذا رغبت في أن أخلد للنوم سوف أفعل، لا  
مكان لرغباتي أمام أمر من أوامرك.

ضحك السيد كروس ورأيت لمعة أسنانه في صورته العاكسة على  
زجاجة النافذة وقال دون أن يلتفت لي بعد أن أفرغ دخان غليونه:

- واضح أنك تعلمت الكثير من درس أمس، لكن احذر.

التفت لي ومال برأسه للأسفل كي يشعل غليونه ورفع عينه في

اتجاهي وقال بجدية:

- أنا لا أحب التملق، أن تتعلم من أخطاء غيرك شيء جيد، لكن لا تفسد الأفعال الجيدة بأقوال بخسة.

تقدم نحوي ورأيت في عينيه الغضب، لذلك نظرت أرضًا لظله الذي اقترب مني وقال بنبرة صارمة:

- من يحتاج إلى التملق من عبد يمتلكه هو رجل ناقص، وأنا لست بـرجل ناقص أبدًا، يجب أن تعي هذا جيدًا وتحفظه كاسم سيدك.

- بكل تأكيد سيدي

ابتسم ابتسامة جانبية وأكمل بخطواته عائدًا إلى النافذة وقال أثناء ذلك:

- جيد، كن قليل الحديث كثير الأفعال، واجعل هذا درسك اليوم.

نظر متأملًا الإسطبل من خلف النافذة وقال بهدوء وجدية:

- لا أشعر بالأمان بداخل هذا الإسطبل الصغير مثل مدفئك السري، ليس بمكان آمن وسط الحظائر الصغيرة حوله، ولذلك أرغب في أن أتوسع وأشتري الأرض التي بجانب الإسطبل، هل تعرف مالكةا؟

- نعم، إنه السيد عوني المرتضى يملك الأرض التي تحيط بالإسطبل من الجهة الجنوبية والشرقية، وتعد مزرعة للمواشي ويزرع ثلثها برسيمًا وعلفًا غذاء لمواشيه وللتجارة به.

رفع السيد كروس حاجبه الكثيف إعجابًا وقال بنبرة خافتة:

- وما نقطة ضعف عوني هذا؟

- ماذا تقصد يا سيدي؟

حكّ بيده أسفل ذقنه ثم نظر لي:

- لكل شخص نقطة ضعف إذا امتلكتها تملكه، من الممكن أن تكون شخصًا عزيزًا عليه، حيوان أو طائر، أو شيء معنوي مثل الشرف أو مادي مثل المال، لأنني أحب عندما أتفاوض مع أحد، أن أتفاوض بصيغة الأمر، أجلس معه وأنا أمتلك روحه في يدي، لا أنتظر منه الرفض بل الخنوع التام، الخنوع المُتسّتر بالقبول والاقتناع.

أومأت برأسي متفهمًا وأنا عيني متسعة مبهورة بجبروته وشخصيته وأجبته متحمسًا:

- كان السيد عوني كثير الزواج لكن كانت لذريته لعنة ما، أبناؤه يُولدون مشوهين ثم يموتون بعد ذلك بليالٍ قليلة، حتى علم أن إحدى زوجاته السابقة التي طلقها بسبب عدم الإنجاب قامت بعمل سحر أسود له يصيب ذريته ويحرمه منها ومنذ سبع سنوات نجح في العثور على مكان السحر واستطاع الشيخ (البرديسي) شيخ وإمام قريتنا فكه ومن بعدها أنجب ولد وفتاة توأم، وهما كالجوهرتين بالنسبة له.

- جيد هذا يكفي، ومن الآن وحتى أمرك بشيء آخر، أضف إلى مهامك اليومية بالمنزل أن تجمع لي كل المعلومات عن تجارة السيد عوني هذا ومزرعته، ومن هم التجار الذين يتعامل معهم، وكيف احتفظ بالمزرعة وحجم التجارة الكبير هذا دون أن يستولي عليها جيش محمد المهدي، فلقد أثرت حماسي واستفزازي بقصته وأيقنت

أكثر رغبتني في امتلاك المزرعة، وأنا أريد أن أعلم كم سوف أجنبي من أملاكي القادمة قبل أن أخطوها.

بدأنا في عام 1900م ومز أكثر من ثلاثة شهور منه وأنا ملتزم بما أمرني به أقمت صداقات كثيرة مع رعاة لدى تجار المواشي، وبعض الواشين هذا بالإضافة لصداقتي بمساعد الجزار الذي يعمل بالمزرعة وكنت أقابل السيد كروس يوميًا بالليل في مكتبه وأخبره بما توصلت له، حتى جاءت ليلة وأخبرني:

- اكتب بصداقتك الجديدة دون أن تسألهم، اجعلهم هم من يسألونك عني الآن وأخبرهم عن ثرائي وقوتي وعلاقتي القوية بالجيش الإنجليزي، والأهم في هذه المرحلة أن تراقب منزل عوني جيدًا، وتذكر ما حدث مع حمدون الذي كان يتبعك دون أن تشعر به، يجب أن تكون حذرًا لكل خطوة تخطوها مثل القط، صائب النظر مثل الصقر، تختفي كالهرباء.

أومات برأسي طاعة ومن الليلة التالية بدأت مراقبتي لمنزل السيد عوني ومز أكثر من ثلاثة أسابيع أخبرته خلالها بما توصلت له، حتى جاء صباح يوم وجدت السيد كروس يرتدي بدلة أنيقة جدًا ويظهر عليه الحماس، طلب مني أن أعد له الشاي وبالفعل أعدته وشربه وأشار لي آمرًا:

- ارتد زيًا مناسبًا وأعد عربتي وانتظرني بالخارج حالًا.

هرولت ونفذت أمره وأخرجت عربته وفرسه المميز ليسحب العربته وما إن ركبها حتى أشار لي أن أصعد معه، فعلت ما أمرني به حتى وصلنا مزرعة السيد عوني ووصلنا إلى مجلسه وكان يجلس

أرضًا مدخّنًا الشيشة، سمين الجسد بعض الشيء، أصلع وذات لحية خفيفة، ما إن رأى السيد كروس حاول أن ينهض احترامًا له لكنه لم يستطع إلا عندما ساعده اثنان من مساعديه، ومدّ يده مرحّبًا على السيد كروس وقال بلغة إنجليزية ضعيفة:

- أهلا بك جاري العزيز.

- أهلا بك أرغب في الحديث معك على انفراد وسوف يبقى صديق هنا لكي يساعدنا في الترجمة مئّي ولك، جيد هذا؟

(بما أني المترجم بين السيدين فسوف يكون الحوار التالي بينهما مباشرة باللغة العربية

مع توضيح ما سار من أحداث وردود أفعال أثناء هذا الحوار)

اتسعت عينا السيد عوني وظهر عليه الضيق لكنه قبل بالأمر وجلس أرضًا في مكانه مرّة أخرى، ونظر السيد كروس حوله فسحبت مقعدًا صغيرًا للسيد كروس من الخارج وجلس عليه ورأيت ابتسامة جانبية ساخرة من السيد عوني على فعلتي وقال السيد كروس بكل جدية وهدوء:

- أرغب في شراء مزرعتك الآن، وثق تمامًا أنك إذا رفضت طلبي فسوف تخسر شيئًا آخر ليس ماديًا.

وفجأة سمعنا صرخة قوية قادمة من منزل السيد عوني.

\*\*\*

## هالة

استخدم قادة المجموعات أسلوب التحذير حتى يسلم المتلصص أو السارق هذا نفسه، لكن لم تمر ثانيتان حتى تَصَلَّب قائد المجموعة الأولى مكانه وخلفه الجميع، ليظهر البث لأحدهم الذي كشف عما جعله يتوقف بهذا الشكل، لتكون المفاجأة؛ بقايا لحم متعفن، هنا سمع صوت ضربة قوية وظهر ضي نور قادم من الجهة الأخرى لهذا المكان، قال أحدهم أظن أنه السارق يحاول الهرب، فتحرك الجميع نحو هذا الضوء ليجدوه دَرَجًا آخر لأعلى في نهايته باب مفتوح للخارج، صعد الجميع خوفًا أو هربًا أو الاثنين، ليجدوا أنفسهم بالفعل خارج القصر وبالتحديد في البهو الخلفي منه، لكن كانت المفاجأة هي وجود شاب يرتدي عباءة سوداء اللون يقف صامثًا يضع يده عند خصره وكأنه يقف متحدثًا، يغطي غطاء الرأس الفضفاض معظم وجهه الذي غطاه الظلام، فضوء القمر خلفه لا يستطيع كشف شيء منه، ما إن مرت لحظات الصدمة الأولى حتى أنارت أسنانه البيضاء معلنة عن ابتسامة ساخرة:

- أرجو أن تكونوا قد استمتعتم بتلك الليلة المخيفة، كل ما تم من أحداث فيها هو من صنعي أنا وفريقي لكي يعيش الجميع تلك التجربة المجنونة، والتي أثبتت شيئًا واحدًا أن كل ما أثير من قصص مخيفة حول هذا القصر ماهي إلا كذبة وخرافة ليس لها أصل، إذا عدتم للداخل سوف تكتشفون أن البقايا لحم القطط والتي ذكرها حسنين في حلقة عدسة بالفعل أن فرحة ابنته كانت تتناولها هي مجرد قطع لأرنب متعفنة وليست لقطة، وأظن أنها سرقت من

أمها التي كانت تحاول أن تظليه بعد أن سلخته، أما سبب الدماء المتساقطة من فمها -كما قال ووصفها حسنين- كان هذا بسبب فقدانها لسنّة لبنية من أسنانها، وهذا ما جعلها تبصق دمًا عند دخول والدها خلفها فظن إنها كانت تأكله، ويمكنكم البحث بجانب أشلاء الأرنب سوف تجدون السنّة ما زالت هناك.

وبالطبع ما زاد عن ذلك هو من خيال والدها الذي يخاف من هذا المنزل منذ صغره، ومن هذا الخوف الزائد ما أربع ابنته فرحة وأثر عليها نفسيًا خوفًا من عقاب والديها لسرقة الأرنب واللعب في هذا المكان المحرم عليها هي وأخواتها ليس أكثر، وأظن هذا ما أدركه الشيخ فتحي الحناوي عند دخوله هذا القبو، واستطاع أن يفك أزمة الفتاة قليلًا، فقد أخبرها أن تبسم لوالدها عندما يخرجان وتنادي عليه وسوف يغفر لها ما فعلته ولن يعاقبها، وأظن أن تلك الطريقة نجحت بالفعل، وأود أن أشكره لأنه أخبرني بكل تلك الأمور عندما قابلته أول أمس تحضيرًا لهذه الأمسية، أتمنى أن تكون أمسية ممتعة عليكم وعلى كل من كان يتابعنا، وأعتذر إذا ضايقت أنا وفريقي أحدكم، فتلك هي الطريقة الوحيدة التي سوف تجعلكم يتابعون البث للنهاية، وهذا هو مقصدنا، الوصول للحقيقة، شكرًا لكم.

ما إن أنهى هذا الشخص حديثه هذا ليتقدم نحوهم وهو يرجع غطاء رأسه للخلف ليظهر وتكون المفاجأة أنه قائد المجموعة الخامسة الذي ادعى الإغماء، في تلك اللحظة تملّك هالة إحساس بالفرحة العارمة بمبات موقفها وردّ مكانتها ومصادقية برنامجها، لكنها قفزت فزعًا قفزتها الأخيرة في تلك الليلة المرعبة وذلك بسبب جرس الباب الذي رنّ على حين غفلة، فتوجهت متوجسة من

سيطرق بابها بعد منتصف الليل، قالت وهي تقترب من الباب:

- مَنْ بالخارج؟

ولكن لم تنصت لمجيب، دنت من عين الباب لترى مَنْ بالخارج لكن للأسف لم تجد أحدًا، ففتحت الباب دون أن تفك رِتاَج سلسلة الباب حتى تستطيع أن تفتحه قليلًا وهي في وضع آمن أكثر، لكنها لم تجد أحدًا يقف، تجرأت وفتحت رِتاَج سلسلة الباب، تعثرت أقدامها بشيء بالأسفل، فنظرت لتجده باقة كبيرة من الزهور من وردة النادرة دبل ديلايت "Double Delight" التي تتميز باللون الأبيض من الداخل وتدرج الحواف للون الأحمر المبهج وبها ورقة مثبتة، مدت يديها وفتحتها لتجد مكتوب فيها "مبروك يا ملكة مملكتي"، ما إن أنهتها حتى أنيرت عيناها وأسنانها بابتسامات عدة، وفجأة سمعت حركة محرك سيارة على الجانب الآخر من الطريق تتحرك بسرعة بعيدًا، فلمعت عيناها وحضنت باقة الزهور بقوة.

تباينت ردود الأفعال بعد تلك الليلة الغريبة وما كان فيها من أحداث وصدمة النهاية التي كانت تحت قيادة مجموعة الشباب الذين أسسوا تلك الدعوة، لكن كانت معظم الآراء تمقل كفة هالة كميّزًا وثبرئ ساحتها عما نالته من انتقادات واتهامات خلال الفترة السابقة وكان أكبر مكاسب ما حدث هو ثبات اقدم هالة أمام السيد ماهر مدير القناة، وهذا ما جعلها تستحق بعض الامتيازات التي زادت من جودة برنامجها وساهم في ارتفاع نسبة مشاهدته مما نتج عنه تسابق المعلنين على القناة ليكونوا رعاة لهذا البرنامج، ورغم كل تلك المكاسب إلا أن ما كان يشغل تفكير هالة هو رشيد هذا الشخص

الذي اقترح حياتها دون استئذان ليكون هو المنقذ الوحيد أمامها، استطاع بكلمات بسيطة ساحرة ونظرات عميقة مريحة أن يقتنص قلبها من جسدها، ورغم كل هذا اختفى؛ لم يتصل بها ولا مرة واحدة، لكن كانت تتفاجأ بباقة زهور تستقر على مكتبها كل صباح، باقة تشبه تمامًا تلك الباقة التي وجدتها أمام باب منزلها يوم كشف سر قصر صديق عوني على العامة، باقة زهور لا تنقص زهرة ولا تزيد زهرة جميعهن متشابهات، باقة زهور يومية دون اسم أو رسالة، وهذا ما جعلها تسأل نفسها بين الحين والآخر قائلة في تذمر:

- أنا أعرف أنها من رشيد لكن أين هو؟ لماذا غاب بهذا الشكل بدون أي مقدمات؟ كيف استطاع أن يخطف قلبي بتلك السرعة؟ وكأنني لست أنا، استطاع أن يطيح بسيادتي على قلبي دون أدنى استئذان، أين أنت؟

ظل هذا الحال حتى مر ما يقرب من عامًا كامل دون أي اتصال من رشيد أو مقابلة، وبرغم نجاحات هالة المتتالية إلا أنه كان بقلبها غصة صغيرة مغطاة باستياء متقلب كل حين وآخر، لم تكن سعادتها كاملة، حاولت كثيرًا أن تتناسى لكن كانت أضعف من ذلك بالكثير، حتى جاء يوم وفتحت باب مكتبها لتجد علبة صغيرة سوداء وعليها رباط باللون الوردي، تقدمت نحو مكتبها مستغربة ومسكت العلبة لتجدها خفيفة جدًا حاولت هزها لكنها لم تسمع أو تشعر بحركة أو صوت داخلها مما أثار فضولها بشكل غريب، خرجت من مكتبها ونادت على ساعي القناة الذي جاء مسرعًا بوجه مبتسم أدخلته مكتبها وأشارت نحو العلبة وسألته بجدية:

- مَن وضع هذه العلبة هنا؟

- أنا يا سيدتي جاء صباح اليوم عامل توصيل الطلبات وأخبرني أن معه شيئًا خاصًا بسيادتك وأخبرته أنك لا تأتين الآن فطلب مني أن أضعها على مكتبك، وهذا ما فعلته.

أشارت له غاضبة أن يخرج وذهبت وأحضرت مقصًا وفتحت العلبة لتجدها فارغة إلا من بطاقة سوداء عليها رمز كودي (QR Code) مربع الشكل وعلى الجهة الأخرى صورة لرأس أسد باللون الذهبي وأسفله مستطيل أبيض كتب فيه عبارة صغيرة تقول (موعدك غدًا الساعة الثانية عشرة ظهرًا)، ظلت هالة لحظات تنظر لهذه البطاقة العجيبة، مسحت بكاميرا هاتفها الرمز الكودي لتجده موقعًا لمؤسسة عالمية تدعى (هاردلي) لديها أنشطة كثيرة ومترجم للغات عالمية، وبعد البحث المطول بالموقع وصلت أن لها مقرًا بالقاهرة، كتبت العنوان وكلها فضول لمعرفة الغرض من هذه المقابلة والأهم ما الذي تحتاجه منها مؤسسة ضخمة مثلها؟

\*\*\*

## طارق

نظر رامي إلى طارق وعلى وجهه علامات الصدمة ممزوجة بالتوتر حتى أوماً طارق له جانباً وهو يضع الحقيبة النسائية والحذاء على الطاولة أمام رامي، مما دفع رامي أن يقترب منه وقال وهو يرسم ابتسامة تثم على القلق:

- هي مجرد علاقة عابرة، وعندما علمت أنك ضابط شرطة، انتابني الخوف من أن يثبت وجودها معي فطلبت منها أن تختبئ في الطابق العلوي، فأنا خاطب ابنة عمي ومعلومة مثل هذه قد تفسد حياتي.

- ولكن هذا ليس بتحقيق رسمي أنا أرغب فقط في سؤال من كان في المجمع وقت الحادث، فهل يمكنك أن تطلب منها النزول كي أسألها بنفسني؟

أوماً رامي برأسه موافقاً واقترب من الدرج ونادى بصوت عالٍ وواضح:

- فريدة، انزلي الضابط قد علم بوجودك.

لحظات بسيطة وظهرت فتاة أنيقة لكن يملكها الخوف والإحراج، وما إن اقتربت من رامي حتى جلست بجانبه وتعلقت في ذراعه، لاحظ طارق هذا فأظهر ابتسامة وسألها بوجه حاد:

- لا يوجد داعٍ للخوف الذي يظهر عليك سوف أسألك سؤالين وأرحل.

اومات فريدة بتفهمها وعندما لاحظ طارق هذا سألها بهدوء:

- لقد علمت من السيد رامي أنكما في علاقة غير رسمية، منذ متى وأنتِ تقيمين هنا؟

ظهر عليها القلق ونظرت إلى رامي وكأنها تسأله بعينيها فأوماً برأسه مطمئناً، واعتدلت في جلستها ونظرت لطارق وأجابته في خوف وبنبرة مرتعشة:

- أنا لست مقيمة هنا، أحياناً تأتي ساعات وأحياناً يوماً أو يومين ليس أكثر، ودائماً يفضح وجودي الجار المجنون بسبب حقه وغيرته من سيارتي الفارهة، حتى إنه خدشها بمفتاحه ذات مرة، هل تتخيل كم السواد في قلبه؟

- أنا رجل واقعي لا أتخيل، أين كنت بالأمس؟

أجابته بعقّة:

- كنت في منزلي.

- ألم تكوني مع السيد رامي في حفلة عيد ميلاد صديقه؟

سألها طارق مباغتاً وظهرت عليها علامات الدهشة من السؤال وفضحت عيناها جهلها بالأمر وهي تنظر لرامي الذي نظر لها متوتراً، نظرت لطارق وأجابته بتردد:

- لا لم أكن معه في هذا الحفل.

تمعن طارق النظر لهما ولاحظ فيهما شيئاً غير طبيعي، نهض وقال وهو يتجه نحو الباب:

- غير مسموح بالخروج من المجمع حتى ينتهي التحقيق، وآسف إذا كان زيارتي الخفيفة تلك سوف تسبب أي مشكلة بينكما، وأتمنى أن تكون زيارتكما القادمة لمكتبي أفضل.

التفت طارق ناظرًا لهما ثم غادر منزلهما وعبر أمام بوابة المجمع ولاحظ تزاحم الأهالي والصحفيين هناك، وصل للجهة الأخرى والمنزل الرابع والذي كتب لافتة على بابه (منزل ويليام) وكتب بجوارها رقم (5)، استغرب طارق هذا الشيء قليلًا لأنه يتذكر جيدًا أنه لم يمر على المنزل رقم (4) لكن لم يشغل باله به كثيرًا، ما إن اقترب طارق من الباب حتى فوجئ بنباح كلبين بالحديقة الداخلية للمنزل، كان صوتهما مزعجًا جدًا، حتى ظهر رجل من الداخل أسكتهما بكلمة واحدة صارمة واقترب من الباب ونظر إلى طارق من خلف أسوار الباب الحديدية وسأله طارق بكل جدية:

- هل أنت السيد ويليام؟

- نعم، من أنت؟

عزّفه طارق بنفسه، وحينها أسرع ويليام وفتح البوابة وأدخله إلى المنزل وسط زمجرة مكتومة من كلابه، ولاحظ طارق من اللحظات الأولى أنه منزل متكدس بالأثاث والتحف والتماثيل وأشار له ويليام أن يجلس، وقبل أن يجلس طارق ظهرت سيدة واقتربت وسألت ويليام في ضيق هامة:

- لم تخبرني أنك تنتظر قدوم ضيوف وسط ما نحن فيه.

نظر لها ويليام في حرج وأشار نحو طارق وقال بنبرة فيها تنبيه:

- إنه السيد طارق المحقق في قضية جارنا السيد جعفر.

تنهدت ووضعت يدها على وجهها فجلست وجلس على يد المقعد زوجها وهو يربت على كتفها، قالت وهي تنظر إلى طارق:

- لا تعلم كم أتمنى أن يمر اليوم بسرعة وتنتهي غمة هذا الرجل فلقد أتعبنا في حياته ولم تكن وفاته بالشئ العادي حتى نستيقظ على خبر كهذا.

سألها طارق وهو يرسم التعاطف معها بإيماء رأسه:

- ألهذا الحد كنت متضايقة من وجوده في المجمع؟

- لك أن تتخيل رجل كهذا من المفترض أنه كان يعمل في جهة دبلوماسية يضع عقله بعقل كلابي ويرغب في ان يقتنص من طبيعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض لي أثناء تربيضي بهم يوميًا، حتى حاول في مرّة أن يقتلهم، أليس كذلك يا ويليام؟

نظر له طارق متفاجئًا حتى أردف وهو يربت على زوجته:

- نعم يا حبيبتي إيفون حدث ذلك، منذ ثلاثة أسابيع كنت أقف بجوار النافذة المطلّة على الحديقة ولاحظت اقتراب شخص من الباب وفي يده صحن، خرجت له مسرعًا لأجده كان يحاول أن يرمي بداخل الحديقة قطعة من اللحم النيء، وعندما لاحظ قدومي خبأ الصحن وعاد إلى منزله سريعًا.

أوماً طارق برأسه متفهمًا ثم نظر للسيد ويليام وسأله بجدية:

- أين كنت بالأمس ليلاً؟

- كنا في الكنيسة نحضر نصف إكليل لقريبتى ثم حضرنا الاحتفال بها وعدنا ليلاً فيما يقرب الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

أجابه ويليام بكثير من الثقة ثم نظر طارق لهما وسألهما وهو يراقب ويليام:

- هل شعرتما بأي شيء غريب حدث ليلاً بالمجمع أثناء عودتكما أو بعدها؟

أومأت إيفون برأسها نافية وصمت ويليام مفكراً لحظات ثم أوماً بالنفي، نهض طارق لكي يغادر ونهض ويليام لكي يسلم عليه وما إن مد يده وسلم عليه طارق حتى وضع طارق يده اليسرى على ساعده وأداره قليلاً للخارج لتظهر خدوش بسيطة حديثة، نظر له طارق وسأله متشككاً:

- ما سبب هذه الجروح سيد ويليام؟

نظر له ويليام متردداً ولاحظ طارق استغراب زوجته إيفون ونظرتها له حتى أجاب بشيء من الثقة:

- كنت أطعم أحد الكلاب ورغب أن يلعب معي فخدشني تلك الخدوش البسيطة.

- متى؟

تفاجأ ويليام بسؤال إيفون المستغربة التي نهضت ودنت منه، حاول رسم ابتسامة وهو يربت على يدها، وقال وهو ينظر في عينيها:



- بالأمس بعد ان عدنا ليلاً يا حبيبتي.

- تمام، بعد عودتكما للمنزل هل خرج أحدكما للمنزل لأي ظرف قبل معرفتكم بالجريمة؟

نظرت إيفون إلى ويليام ثم عادا الاثنان إلى طارق وأجابه ويليام:

- لا ذهبنا إلى النوم، أليس كذلك حبيبتي.

- نعم.. نعم.

قالتها إيفون بكثير من التردد الذي لاحظته طارق وأخبرهم قبل أن يغادر أن يلزموا المنزل حتى يحين انتهاء التحقيق، وأوصله للخارج ويليام حتى يبعد الكلاب عنه، وما إن غادر طارق وعاد ويليام وأغلق بابه حتى وقف طارق على بُعد خطوتين وأشعل سيجارة أخرى وانتبه إلى صوت شجار صادر من منزل ويليام لكن نباح الكلاب عليه استطاع أن يُشوّش عليه مما دفعه غاضباً لأن يتحرك للمنزل الخامس لكن لاحظ أن رضا حارس البوابة يشير له من داخل سيارة الشرطة يطلب التحدث معه، فأشار طارق للعسكري أن يخرجه ويحضره له، وبالفعل نُقِذ العسكري ما ظُلب منه وجاء برضا له وقال طارق وعلى ملامحه علامات الضيق:

- ماذا تريد يا رضا؟ لدي ما يكفيني؟

- آسف حضرة الضابط ولكنني أعلم من القاتل.

## الفصل الثامن

### حنين

كانت الحيرة تتملك وجه كريم لأن الاحتمالين المبنيين على هذه النتيجة قاسيان على وضع هالة، نظر لحنين قليلاً وقال لها في تردد:

- أنا لا أصدق أن هالة تكون قد فعلت تلك الجريمة، لقد عملت معها سنوات وأعرف طبعها كثيرًا حتى مع سوء حالتها النفسية كما علمت في الفترة الأخيرة إلا أنني على ثقة في إحساسي ومعدن الشخص الذي تعاملت معه ولذلك أنا لست مقتنعة بالاحتمال الأول، ومائل أكثر للاحتمال الثاني أن تكون قد فقدت التسجيلات أو سُرقت منها.

نظرت له حنين ولوت شفيتها وأوضحت ملامحها عدم الاقتناع فردت عليه بجدية:

- إذا كان للأمر علاقة بالنفس البشرية فالمشاعر أضعف من أن تكون حكمًا عليها، النفس البشرية من أعقد الأمور ومتقلبة جدًا لكن يجب أن يكون لتقلبها أسباب منطقية ودوافع حقيقية ولذلك فالاحتمال الأول بالنسبة لي قائم حتى أقابل هالة وأصل لتشخيص جيد عن حالتها، لأن هذا في الأول والآخر أساس دراستي العلمية، هذا ولا تنس الأدلة التي استند عليها الضابط في اتهام هالة والتي سوف أطلع عليها قريبًا.

نهضت حنين ومالت برأسها مسلّمة عليه وغادرت المقهى، وقبل أن تشير إلى سيارة الأجرة سمعت صوتًا خلفها قائلاً بحماس:

- أنا لدي حل يمكنني أن أجربه.

التفت لتجد كريم قد تبعها واقفاً بشيء من الحماس، أومأت برأسها وسألته متشككة:

- ما هو؟

- أحاول أن أدخل على نظام المراقبة وإذا كانت هالة لم تغيّر كلمة السر سوف نعلم هل ما زال فعالاً أم تم إيقافه؟ ثانيًا هل ما زالت التسجيلات عليه أم تم مسحها؟

نظرت له حنين ورسمت ابتسامة خفيفة، وقالت في خبث:

- مازلت تحاول أن تثبت الاحتمال الثاني؟

- نعم.

قالها كريم بكل سرعة وثقة فأجابته حنين في ود:

- كانت هالة سعيدة الحظ بزمالتك لها، والتي أظن أنها لم تقف حد الزمالة عندك.

ظهرت على كريم ملامح الصدمة، لم يستطع أن يرد عليها لأنها أشارت لسيارة أجرة وغادرت وتركته واقفاً في صدمته والحقيقة التي لا يعترف بها.

قضت حنين ليلتها في منزل والدها تحاول أن تخلد للنوم لكنها لم تنعم بنوم هادئ بسبب الأرق والتفكير في قضية هالة، استيقظت في النهاية واستعدت للخروج وبالفعل خرجت من منزلها ونظرت لمنزل السيدة سهام فلم تجدها بالحديقة، أشارت لسيارة أجرة وذهبت لمقر المديرية وصعدت لمكتب الضابط عمر وأدخلها حارس

مكتبه بعد إبلاغه بوصولها، وما إن دخلت نهض عمر من مكانه مرحبًا:

- أهلا أستاذة حنين تفضلي.

- أشكرك، لن أعطل سيادتك سوف آخذ التصريح وأغادر سريعًا.

حاول عمر أن يثنىها عن الرحيل سريعًا لكنها أصرت مما دفع لعمر أن يعطيها التصريح لكن قال وهو يمد يده به لها:

- مهما كان انطباعك عني أنا أو زوجتي هيلين فثقي تمامًا أننا سوف نفعل أي شيء من أجل إظهار حق هالة وتحت أمرك في أي مساعدة، فهالة بمثابة أخت لي مثل ما هي أخت إلى هيلين، ثقي في هذا واجعلي الأفعال بيننا تحدث.

ابتسمت حنين له وشعرت بالإحراج من أسلوبه الودود رغم أسلوبها الحاد معه بالأمس أمام زوجته هيلين، لكن يظهر لها أنه أعقل منها وذات أخلاق، غادرت مكتبه وذهبت للمصحة النفسية التابعة لسجن النساء وانتظرت في مكتب صغير فيها طاولة ومقعدين، ونافذة مغلقة بسلك معدني مَجْدُول مُفْرَغ يدخل منه الهواء والضوء، لحظات من الانتظار وفتح الباب ودخلت شرطية من السجن وخلفها ممرضة تستند عليها سيدة نحيفة تبرز عظامها من أسفل بشرتها البيضاء التي تشف عروقها في وجهها وساعديها، ساعدتها الممرضة على الجلوس وغادرت المكتب وظلت الشرطية بجوار الباب، لم تستوعب حنين في البداية أن السيدة التي تجلس أمامها هي أختها هالة، تملكها الصمت وهي تتأمل شعرها الذي أصبح قصيرًا، رأسها منحنية وكأنها تتابع شيئًا على الطاولة وتميل يمينًا

ويسارًا ببطء لكن بشكل منتظم، يداها ثوضعان على سطح الطاولة مقابلتين لبعضهما تلامس الإبهام بالإبهام ثم السبابة بالسبابة وتكمل بهذا التتابع ثم تعيده بشكل عكسي، عادت حنين برأسها للخلف ونظرت أسفل الطاولة ولاحظت أن قدمي هالة متشابكتان حول بعضهما وتستند على أصابع قدميها وترفع كعبها قليلًا بنمط ثابت، اعتدلت حنين في جلستها وأخذت نفسًا عميقًا ونقرت على الطاولة بسبابتها كتنبيه لهالة، لكن هالة لم تتوقف عاداتها مرّة أخرى وكانت نفس النتيجة، حتى كررتها مرّة ثالثة ونادت عليها:

- هالة.

توقفت هالة عما تفعله وتصلبت ثواني ثم رفعت عينيها لأعلى قليلًا وبدأت تتأمل حنين، ثم بدأت عيناها تتسعان وتلمعان وكأنها لم تلاحظها عند دخولها وكان هذا أول إثبات بوجودها أمامها، ظهر عليها أنها تحاول أن تبتسم لكن تخونها شفاتها وترتعشان، نظرت في عين حنين ونتج عن هذه النظرة دمعان تساقطتا من عينيها، وكأنها غير مصدقة أن حنين أمامها فمدت يدها نحو حنين، وقالت بنبرة مرتعشة خافتة: (حنين) ومعلها فعلت حنين واقتربت بيدها منها ولمستها وقبضت على يدها وربت عليها وقالت حنين وهي تبتسم لها:

- لا تقلقي أنا هنا بجانبك.

ابتسمت هالة وأومات برأسها متفهمة، وقالت بنبرة مرتعشة خافتة:

- أنا.. أقتل.. لا..

أدركت حينئذ أنها تحاول أن تخبرها بشيء لكن إدراكها العقلي لتكوين جملة سليمة لم يصبح في أفضل حالة، ربت حينئذ على يديها لكي تطمئننها لكن هالة شعرت أنها لا تفهمها وهذا أثر بشكل سلبي عليها حتى تملكنتها رعشة بسيطة وأصبحت تميل بوجهها قليلاً وتبكي، فنهضت حينئذ واقتربت من هالة كي تحتضنها كي تتوقف عن البكاء لكن تفاجأت بالشرطية تقول وهي تشير لها بكف يديها:

- ممنوع الاقتراب أستاذة.

- لكنها أختي وأرغب فقط في احتضانها ليس إلا.

توما الشرطية بالرفض وتردف:

- آسفة هذه هي التعليمات سيدتي ويجب أن تلتزم بها وتتعاوني معي في تنفيذها.

- كما تربيها فهي تبكي وأنا لقد تم تفتيشي وليس معي شيء قد أعطيه لها، أو شيء قد يؤذيني أو يؤذيها تأكدي من ذلك، حضن بسيط وسوف أعود مكاني.

اقتربت منها حينئذ تستعطفها لكن كانت الشرطية صارمة، لكنها تفاجأت بأن الشرطية اتسعت عيناها ودفعتها جانباً وتحركت نحو هالة التي استغلت انشغالها ونهضت وتوجهت نحو النافذة، ما إن قبضت الشرطية على ذراع هالة حتى التفتت لها ونظرت إلى حينئذ وأشارت لها بيديها شكل كاميرا التصوير وقالت بنبرة مرتعشة خافتة:

- صورة.

- ترغبين في التقاط صورة لك؟

قالتها حنين متسائلة لتومئ هالة برأسها إيجابًا، أمسكت حقيبتها لتخرج هاتفها لكنها تذكرت أنها تركته بالأمن، فمالت بيديها أنها تمسك كاميرا ورجعت خطوة للخلف، ووقفت هالة ووضعت سبابة يديها اليمنى على خدها ومالت عليه وابتسمت ابتسامة مرتعشة، وما إن انتهت جذبتها الشرطية نحو الباب، فلحقت بها حنين ومدت يدها لتسلم عليها، لكن جذبتها هالة بشدة كي تحتضنها وهمست في أذنها:

- الهى..صر

\*\*\*

## صديق

انتبه السيد عوني للصراخ القادم من منزله، عقد حاجبيه ثم نهض من مكانه وقال بشيء من التوتر:  
- سوف أعود لك.

أوما السيد كروس برأسه وهو يبتسم، وتحرك السيد عوني وخلفه رجاله وتبعتهم بنظري حتى اقتربت سيدة من السيد عوني وهي تبكي وتصرخ وقالت له إن ابنته مفقودة منذ أكثر من ساعة وكانت تظنها تلعب هنا أو هناك كعادتها كل يوم، لكن بعد بحث طويل لم تعثر عليها، وما كان من السيد عوني إلا أنه طلب من رجاله أن ينتشروا في كل مكان بحثًا عنها، ظل هذا الوضع وقد قاربنا على الظهر أي مر أكثر من ثلاث ساعات، وفي تلك اللحظة نظر السيد كروس في ساعته ووضعها مرة أخرى في جيبه ونظر لي وقال وهو يشير نحو منزل السيد عوني:

- اذهب هناك وأخبر عوني أنني أعرض عرضي مرة أخيرة، سوف أنتظره عشر دقائق أخرى فقط.

نظر لي وأوما برأسه أن أنصرف، فذهبت سريعًا لمنزل السيد عوني فلم أجده هناك بحثت عنه حتى أخبرني أحدهم على مكانه فذهبت له وأخبرته بنص رسالة السيد كروس، ما إن سمعها حتى ظل مفكرًا وبدأ وجهه يزداد حمرة وعرقًا واتسعت عينه وهو ينظر لي، حتى قبض على تلابيب قميصي وسحبني خلفه حتى وصل للمجلس ورماني أرضًا وكنت أسعل بسبب قبضته التي خنقتني بشدة، نظر لي

السيد كروس الذي كان جالسًا وقال بنبرة جادة:

- كيف تفعل هكذا برسول مئي؟ جاء ليعرض عليك عرضًا يغنيك بالمال.

صمت لحظات وأردف بعد أن ترجمت:

- وتكتمل عائلتك مرّة أخرى.

انتفخت عضلات السيد عوني وزادت أنفاسه سرعة وحاول أن يقترب من السيد كروس الذي مازال يدخن غليونيه بهدوء وقبل أن يدنو منه أكثر أشار له السيد كروس بكف يده أن يتوقف وبالفعل توقف مكانه، مد السيد كروس يده في جيب معطفه وأخرج ورقة وأشار نحو مكان فارغ في أسفلها بغليونيه وهو ينظر في عين السيد عوني التي أصبحت تشع غضبًا:

- ضع ختمك هنا، وسوف ينتهي كل شيء.

أخذت الورقة وأعطيتها للسيد عوني الذي كان يجز على أسنانه من الحنق وكان رجاله من حوله يشعرون بشيء خاطئ يحدث لكن لا يفهمون ورغم ذلك مشهرين سلاحهم لنا وقد قرأتها وعلمت أنها تنازل بملكية المزرعة وما عليها من السيد عوني إلى السيد كروس، ظل السيد عوني يفكر قليلًا ثم أمسك بالشيشة وألقى بها بعيدة كي ينفث عن غضبه وأخرج من جيبه الختم وختم على الورقة ورمها في وجهي وتقدم نحو السيد كروس الذي لم يعطه فرصة كي يدنو منه أكثر ورفع سبابته محذرًا:

- لن تكتمل الصفقة إلا بعد أن تغادروا المزرعة، أمامكم ساعة

واحدة لذلك.

كنت أرتعب خوفًا مقتربًا من السيد كروس مُحتميًا فيه بعد أن رأيت مدى الحنق والغضب في عين السيد عوني، سمعنا هنا صوت أحصنة عدة ودخل علينا أحد رجال السيد عوني مرعوبًا وهمس في أذنه، قبض السيد عوني على يده غلاً وإذ فجأة يدخل ضابط إنجليزي ومعه قوات من الجيش الإنجليزي بوجه صارم، وما إن رأى السيد كروس حتى أعطاه التحية العسكرية وسأله في حماس:

- هل الأمور تسير بشكل جيد معك هنا أيها اللورد كروس، لقد جئنا حسب طلبك؟

- أشكرك على سرعة استجابتك لي.

أوما السيد كروس برأسه شاكرًا ونهض من جلسته ومد يده نحوي كي أعطيه الورقة وقال بعد أن أخذها مني:

- لقد تنازل السيد عوني عن مزرعته لي بكل حب ولقد منحته ساعة كاملة كي يغادرها بكل هدوء.

- بكل تأكيد سوف ينفذون أمرك.

قالها الضابط الإنجليزي وهو ينظر للسيد عوني بكل تحدٍّ، والآخر يرغب في أن يفجر غضبه فيّ لكنه تمالك أعصابه وخرج بكل غضب وصاح في رجاله أن يجمعوا أغراضهم ويتركوا المزرعة في أسرع وقت. سادت الدهشة والصدمة والصمت عليهم لكنهم تحركوا فزعًا بعد أن صرخ فيهم مَرَّة أخرى، كانت تمر دقائق تلك الساعة بصعوبة وأنا أرى نظرات الكسرة في عيون رجال ونساء السيد عوني

ونظرات الغل والحقْد والغضب للقوة الإنجليزية والسيد كروس وطالّتي أيضًا هذه النظرات واحتسبوني في نفس الكفة، انتهت الساعة وخرج الجميع حاملين ما استطاعوا حمله، ووقفوا على حدود باب المزرعة، في تلك اللحظة اقترب السيد كروس من السيد عوني بخطوات ثابتة وغرور ودنا من أذنه وهمس فيها بشيء، رفع السيد عوني يده بعدها كي يضربه ولكننا سمعنا صوت طلقة نارية تطايرت بعدها الدماء.

كان الصمت هو سيد الموقف فلقد كان مصدر صوت الطلقة النارية القادمة من سلاح الضابط الإنجليزي الذي كان يشهر سلاحه نحو السيد عوني وجماعته، ومصدر الدم المتطاير هو يد السيد عوني التي رُفعت لكي تضرب السيد كروس ففقدَ منها إصبعًا وما إن شعر بذلك حتى أنزلها وقبض على الجرح في غضب وظل ينظر للسيد كروس بتحدٍّ وحنق، وقاطع ذلك صوت الضابط الإنجليزي عندما قال صائحًا في الجميع:

- هذا تحذير بسيط لأي غبي يظن أنه يمكن أن يتناول على أسياده الإنجليز أو أي فرد منها، المزرعة من الآن في حمايتي وحماية الجيش الإنجليزي وأتمنى ألا يأتي لي من السيد كروس شكوى من أي فرد منكم فسوف يكون عقابه هو وعائلته على ما أذنبه.

أثناء ترجمتي قوله وكنت أول مرّة أشعر بقوة هذه الكلمات وكأنني أنا من يلفظها، عندما كنت أقولها وأنظر في عيون جماعة السيد عوني أو الأهالي التي تجمعت كان الخوف هو المسيطر على رعشة

أعينهم جميعًا، علمت حينها أن السيطرة والسيادة والنفوذ لهم سحر يجب أن أنوله في يوم من الأيام، فوجئت بعد أن أنهيت أن السيد كروس رفع يده، وقال بنبرة عالية وحادة:

- أشكر السيد وايلز في حرصه على حماية المواطنين الانجليزيين أمثالي وسط أهالي قرية طيبة مثلكم وأنا على ثقة بأنهم سوف يلتزمون بالأوامر، فأنا مجرد مالك جديد للمزرعة أما عن...

توقف عن الحديث والتفت للسيد عوني المتألم بنزيف يديه لكنه تمالك اعصابه، وحاول أن يظهر صلابته، ثم نظر لجماعته ورجاله وقال السيد كروس بنبرة صارمة:

- من كان يعمل في المزرعة ويرغب في أن يحتفظ بقوت يومه فأنا موافق أن يعود الآن إلى عمله وسوف تظل بوابة المزرعة مفتوحة لمدة دقيقة واحدة وبعدها سوف تُغلق وحينها لن يدخلها أحد منكم مستقبلاً وقد أضاع تلك الفرصة للأبد.

نظرت لهم وأنا أترجم ما قاله، وحاولت أن أؤديه بنفس الصرامة والشدة التي تميز بها، وما إن انتهيت حتى عاد لداخل المزرعة ومعه الضابط وقوته، وكانت العواني تمر والجميع بالخارج ينظرون لبعض في خوف وتخاذل، لحظات وبدأ العاملون يدخلون المزرعة واحدًا تلو الآخر بأقدام تتحسس خطواتها من السرعة ورؤوسهم في الأرض، انتهت المدة وأشار الضابط لرجاله أن يغلقوا البوابة على من بداخلها وتبقى بالخارج السيد عوني وأسرته فقط، وفرغ الشارع من الأهالي واستدار منكسرًا وهو يضع يده التي تنزف تحت إبطه وباليدين الأخرى يمسك ذراع ابنه وخلفه أسرته الصغيرة مطأطئين رؤوسهم

مغادرين.

\*\*\*

## هالة

أمسكت هالة هاتفها واتصلت بالرقم الموجود على الموقع،  
وانتظرت قليلاً حتى سمعت صوت فتاة قائلة في حماس:

- مؤسسة هاردلي أهلاً بك، معك فاتن، هل أساعدك في شيء؟

تنحنحت هالة في توتر وردت في توجس:

- أنا هالة فاضل المذيعة وصلني اليوم صباحاً علبة في دعوة  
لمقابلة غداً الساعة 12 ظهرًا، هل يوجد عندك تفسير لذلك؟

- أولاً أهلاً وسهلاً بك تشرفت بمعرفة حضرتك، ثانيًا بالطبع لدي  
سيدتي وكنت أنتظر مكالمتك منذ الصباح؟

قالتها تلك الفتاة في حماس حتى تزيد القلق بداخل هالة التي  
سألتها باستغراب:

- تنتظرين مكالمتي لماذا؟

- أنتظر مكالمتك لكي أؤكد موعد مقابلتك الشخصية مع رئيس  
مجلس إدارة الشركة، وذلك لأمر هام جدًا لا يستدعي التأخير كما  
أخبرني سيادته بذلك، فهل الموعد مناسب لسيادتك؟

لم تعط تلك الفتاة فرصة لهالة لكي تتشاور مع عقلها حتى،  
وأخبرتها في جدية:

- يناسبني الموعد لا مشكلة.

- جيد جدًا، نحن في انتظار تشريفك لنا.

أغلقت هالة هاتفها ثم شردت مرّة أخرى في تلك البطاقة الغريبة التي تخفي سرّاً غريباً يجب أن تعرفه، اقتحم هذا الشرود طرق باب مكتبها ليدخل من خلاله السيد ماهر بشوش الوجه يقترب من مكتبها في حماس:

- أين ضرباتك القوية الجمهور والمعلنون ينتظرون ضربة قوية قريبة منك.

تجيب باقتضاب ودون اكترات:

- قريباً قريباً، أنا أعمل على ذلك، لا تقلق سيدي.

- أرحت قلبي كثيراً، أنا كنت متأكداً من ذلك، فأنا مازلت أثق في فتاتي بطلاة الشاشة الجريئة، أنا في مكربي إذا أردت شيئاً.

قالها قبل أن يغادر مكتبها مشيراً لها بقبضة يده محميس إياها، وهي لم تبادله رد فعل يوازن تلك الحماسة، ما كان منها سوى أنها أومأت برأسها عدة مرات دون أن تلفظ بكلمة له، كان الفضول هو رفيقها تلك الليلة حتى استيقظت بالصباح وذهبت إلى القناة وانتظرت حتى جاءت الساعة الحادية عشرة صباحاً وجمعت أغراضها وخرجت من القناة متجهة نحو مقر الشركة التي كتبت عنوانها بالأمس، تأخرت أكثر بسبب عدم وجود مكان فارغ لتترك فيه سيارتها، وهذا ما جعلها تتركها بعيداً بعض الشيء عن مقر الشركة وما إن بدأت في السير لها حتى لاحظت دخول رجل يشبه الشيخ فتحي الحناوي لنفس المبنى حاولت أن تسرع في خطواتها قليلاً حتى تلحق به، وما إن وصلت لمدخل المبنى حتى وجدت فرد الأمن يقف مبتسماً لها، سألته عن الشيخ فتحي الذي سبقها بدخوله

لكنه أخبرها بأنه لم يدخل أحد المبنى منذ عشر دقائق سواها، وحاول أن يهمل هذا الموضوع ويتغزل فيها بأنه أحد معجبين بالبرنامج ورغب في التحدث معها أكثر بسبب موهبته في الغناء، لكنها نظرت له في تربص وغضب ولم تجيبه وتركته دون أن تعيره انتباهًا، ونظرت للوحة التي بجواره والمعلق عليها لافتات بأسماء الشركات بالمبنى وأرقام الشقق الخاصة بهم ورقم الطابق لها، وبالفعل عمرت على لافتة مؤسسة هاردلي بالطابق السادس، لكن قبل أن تضغط على زر المصعد جاءت لها خاطرة فأمسكت هاتفها وخاطبت كريم مساعدتها:

- ألو، كيفك يا كريم هل يمكنك أن تصل لرقم الشيخ فتحي الحناوي من الإعداد من فضلك، وترسله لي في رسالة على هاتفي في أسرع وقت.

- أنا بالفعل مع مجدي الفعد نتشاور بخصوص الحلقة القادمة، ثوانٍ وسوف أرسله حالًا.

قالها كريم لهالة التي ضغطت على زر المصعد طالبة إياه، وصل ودخلته وهي تزفر زفرة طويلة، وضغطت على رقم ستة وصعد بها وفتح بابه وجلست على أحد المقاعد بغرفة الاستقبال في الشركة بعد أن عزفت نفسها لموظفة الاستقبال بالخارج، جلست في صمت شاردة في شعار الشركة الكبير المضيء والبارز من الحائط أمامها، كادت أن تقرر العودة لكن الفضول بداخلها كان له اليد العليا في إكمال ما جاءت من أجله، ظهرت أمامها فتاة طويلة أنيقة وجميلة المظهر انفرج وجهها بالبشاشة:

- أهلاً وسهلاً أستاذة هالة فاضل، رئيس مجلس الإدارة ينتظر حضرتك بالداخل، تفضلي معي.

أومات هالة برأسها ترحيباً وهي تبسم قليلاً ونهضت وتبعثها حتى وصلت لمكتب رئيس مجلس الإدارة كان هناك مكتب ضخم يجلس عليه رجل أبيض البشرة، عيناه واسعتان وبارزتان يحتل اللون الأحمر حدودها بشكل كبير مما يجعلها مخيفة بعض الشيء، يكسو رأسه بشعر مستعار أسود أوضح شيخوخته أكثر من أن يبرز شبابه المزيف، وكان الفضل في فضح ذلك يعود لشعر حاجبيه الأبيض الخفيف كثيلاً والتجاعيد المستوطنة أسفل عينيه، كان ينظر لهالة وهو يخرج دخان سيجاره الكوبي الكبير في تفحص دقيق، وهي بدورها حاولت أن ترسم الثقة في خطواتها حتى وصلت لقرب مكتبه فنهض من مكانه منتصباً وقال وهو يتسم مرحباً:

- الشركة تشرفت بوجودك اليوم سيدتي بكل تأكيد، أهلاً وسهلاً أستاذة هالة معك سمير أبو العزم رئيس مجلس الإدارة.

- شاكراً جداً ل حضرتك، وبالتأكيد هذا شرف لي أيضاً.

قالت هالة محاولة التماسك قليلاً فنبرة صوته لم ترحها لكنها أرادت أن تصل لهدف تلك الزيارة من الأساس، وهذا ما دفعها لسؤالها بدون أي مقدمات في قليل من الحدة:

- هل يمكنني معرفة سبب إرسال تلك البطاقة لمكتبي؟

قالت هالة وهي تمسك البطاقة مشيرة له بها، والذي بدوره نظر لها مبتسماً وجلس مرة أخرى على مقعده وأعاد إشعال سيجارته

بقداحته الذهبية التي لمع بريقها في عين هالة التي تراقبه منتظرة الإجابة على سؤالها، زفر بدخان الكثيف وقال وهو يشير لها بيده أن تجلس:

- تفضلي بالجلوس أولاً وسوف أخبرك بكل ما تريدينه.

- ها قد جلست هل من الممكن أن تجيب الآن؟

قالتها وهي تجلس في صرامة، لكن هذا لم يؤثر على سمير بشيء، ظلّ يدخلن سيجارته ويزفر دخانه في هدوء وعيناه الجاحظتان تراقبان هالة حتى لاحظ انفعالها القادم فباغتها بقوله باقتضاب:

- الإجابة هي السيد رشيد عثمان.

فزعتها نغمة رسالة قد وصلت لهاتفها، فتحتها لتجد رسالة أفزعها، كانت قادمة من كريم:

- آسف، الشيخ فتحي توفي منذ ما يقرب من عام بعد بث الشباب من قصر عوني بيوم واحد.

\*\*\*

## طارق

نظر طارق إلى رضا محدقًا في عينيه وسأله متشككًا:

- مَنْ؟

تلقت رضا من حوله ودنا من طارق وقال بنبرة مرتعشة:

- لقد خرجت من السيارة أمام خاطر متألمًا على أنني سوف أطلب منك أن أقضي حاجتي بسبب أنني مريض بالسكر ولذلك دع العسكري يتبعني إلى الحمام المجاور لغرفة الحراسة وتأتي سيادتكم من الطريق الآخر، وهناك سوف أخبرك بكل شيء هذا فقط حفاظًا على حياتي.

نظر طارق إلى رضا ولمح بنظره سيارة الشرطة ولاحظ أن خاطر يراقبهما، مما دفعه لكي يوافق على طلبه وأشار للعسكري وقال بنبرة عالية أمرًا:

- خذه إلى الحمام وعد به إلى السيارة سريعًا.

ألقى العسكري التحية على طارق وأخذ رضا إلى الحمام، وتحرك طارق في الطريق المعاكس كما أرشده رضا وقابله أمام باب الحمام في جهة لن يراها أحد وطلب من العسكري أن يبتعد خطوات قليلة ونظر إلى رضا مشيرًا بكفي يديه المبسوطتين وقال وهو يميل برأسه:

- هل تريد مكانًا أفضل من ذلك لكي تخبرني بما لديك؟

أومأ رضا برأسه راضيًا وقال بنبرة جادة:

- خاطر يا باشا هو الذي قتل السيد جعفر، لا أحد غيره.

- ولماذا تتهمه بهذا الاتهام الخطير؟ ما دليلك على هذا؟

مسح العرق من على جبينه ونظر إلى طارق وأجابه:

- لقد تشاجر خاطر مع السيد جعفر شجارًا كلاميًا تصاعد للسباب وانتهى بصفع السيد جعفر خاطر على وجهه صفعة قوية أمام الجميع، وحينها كان رد خاطر واضحًا عندما وجه حديثه للسيد جعفر قائلاً (إذا كنت في مكان آخر غير هنا كنت ستكون ميتًا ولن أرحم من يدي) وتم فصله ثلاثة أيام ولم يعد إلا عندما توسط السيد رشيد بينهما وأجبره على الاعتذار له، لكن لم يغد خاطر كسابق عهده في العمل كان دائمًا مشغولًا بمواعيد السيد جعفر متى غادر؟ ومتى عاد؟ حتى في غيبة السيد جعفر الأسبوعية التي واطب عليها في الفترة الأخيرة كان واضحًا على خاطر الفضول لمعرفة المعلومات الأكثر عنه.

كان قد أنهى طارق سيجارته وبدأ في إشعال واحدة أخرى وهو يسأل رضا مستفسرًا:

- تقصد أنه أصبح يتبعه بشكل ملحوظ؟

- نعم سيدي، كان يرغب خاطر في الانتقام بلا شك.

أوما طارق برأسه متفهمًا ثم سأله بجدية:

- هل تعرف سبب هذا الشجار من الأساس؟

مال رضا برأسه وقال بنبرة يملؤها الضيق:

- نعم سيدي، هناك علاقة بين خاطر ونجيبة خادمة السيد رشيد وقد رأهما في وضع مُخلٍ وعندما غضب وصاح في خاطر لم يرق هذا له، ورغم أن السيد جعفر لم يذكر السبب علنًا أمام المتجمعين حينها، لكن خاطر زاد ثورته وتناول على السيد جعفر معتمدًا على مرضه النفسي وأن الجميع يعلم أنه كثير المتاعب وافتعال المشاكل، وأظن أن صفقة السيد جعفر جاءت انتقامًا من خاطر لتطاوله عليه برغم أنه ستره ولم يفضح أمره، لكن خاطر قلبه أسود ولم ينسَ الصفعة أو يدرك سببها حتى.

نظر طارق لأعلى وأفرغ دخان سيجارته ثم وضع يده الثانية على كتف رضا وسأله في حيرة:

- إذا لم يفضح السيد جعفر أمر خاطر وستر عليه، فكيف علمت أنت به؟

نظر له رضا مستغربًا وجاوب بتردد:

- أخبرني بذلك خاطر يا سيدي لم يقل ما كان يفعله بشكل كامل، لكنني كنت على دراية مسبقة بعلاقته مع نجيبة لأنها كانت واضحة من تصرفاتهما أن بينهما شيئًا.

- جيد يا رضا لكن يبقى سؤال أخير، كيف لخاطر أن يقتل السيد جعفر وهو كان معك في نفس فترة الحراسة الليلية؟

التفت رضا حوله ودنا أكثر من طارق وقال بنبرة يملؤها الخوف:

- لأنه غادر وتركني أكثر من ساعة ونصف وهذه أشياء نفعلها أحيانًا فيما بيننا إذا كان لدى أيّ منا التزام ما، ويغطي كل منا الآخر،

ولقد فعلها خاطر بلا شك سيدي.

أوما طارق برأسه مفكرًا ثم ربت على كتف رضا وأشار للعسكري أن يعيده للسيارة، ثم تحرك وعاد من نفس الطريق الذي ذهب به وعاد للمنزل الخامس والذي كتب على لافتته الصغيرة (منزل الطبيب بكري) ولاحظ أن الرقم فوق اللافتة (6)، رن جرس الباب لحظات وظهر أمامه من خلف سياج الباب شاب في متوسط العمر ذو لحية ذقن مميزة وعوينات دائرية واسعة، ظهر عليه الضيق وقبل أن يسأله سبقه طارق وعرف نفسه لكن كان رده جافًا وهو يفتح له الباب ويشير له بالدخول:

- أخيرًا يمكننا أن نتحدث مع أحد منكم.

دخل طارق المنزل ووجده مرتبًا بعناية ولاحظ سيدة تجلس على الأريكة يظهر عليها القلق مرتدية ملابس الخروج وبجانبها حقيبتها، ما إن رأت طارق رسمت ابتسامة زائفة ونظرت للجانب الآخر، حاول طارق أن يخف من حدة الموقف قائلاً بنبرة هادئة:

- أشعر أنني جئت في وقت غير مناسب اعذرني على ذلك، فهذا هو عملي لكن لا تقلقوا لن أطيل عليكم في الأسئلة إنه مجرد تحقيق مبدئي بسيط، فهل نبدأ بالتعرف عليكما.

- أنا (بكري) طبيب أسنان وهذه هي زوجتي (شهد) طبيبة أسنان مثلي نعمل معيدين في إحدى الجامعات الخاصة.

وضح على شهد الضيق من كلماته الأخيرة وزفرت اعتراضًا ولاحظ طارق هذا مما دفع بكري لكي يسبقه ويجيبه على فضوله:

- آسف شهد متضايقه من حبسنا هنا في منزلنا ونحن لدينا محاضرات الآن وكنا في وضع محرج لكي نعتذر نحن الاثنان لإدارة الجامعة عن غيابنا الطارئ بهذا الشكل.

انفجرت هنا شهد وقالت بنبرة غاضبة:

- كل هذا من أجل هذا المعتوه الذي يستحق أن يحرق حيًا، وكأنه متعمد أن يحرق دمي سواء كان حيًا أو ميتًا، لعنة الله عليه.  
- اهدهني عزيزتي.

قالها بكري وهو يتقدم نحوها كي يربت عليها أن تهدأ، لكن طارق لم يكتفٍ وأراد المزيد فسألها بكثير من الهدوء متصنع المؤازرة:  
- ماذا فعل لكل هذا السيد جعفر؟

- إنه رجل مختل، عندما لاحظنا أنه شخص مُنفر في تعامله مع جيرانا في المجمع وحتى العاملين فيه وأنا وبكري قررنا أن نتجنبه، لكن شخصًا مثل هذا يرغب في أن يضايق الجميع، لقد استغللت الحديقة وزرعت فيها بستانًا صغيرًا من الزهور الجميلة والنادرة، والطبيعي أن تتناقل عليها الفراشات والنحل وما يشبه ذلك، لكن هذا الرجل المخبول جاء لي حتى باب المنزل وصاح في أن زوجته ثريا التي لا تتعامل مع أحد أو صادفت مرّة وتكلمت معها مصابة بحساسية من لدغة النحل ويمكن أن تموت، حاولت أن أهده لكن أسلوب أجبرني على إنهاء المناقشة، لكنه لم يكتفٍ بذلك هددني بأنه لن يسمح بوجود مثل تلك الحشرات مرّة قادمة، وبعد أن هدأت فكرت أن من اللائق أن أراعي صحة جيراني وكلمت شركة كي

تضع شيئًا يطرد النحل والحشرات الطائرة من الحديقة، وجاءت بعد يومين لكنني تفاجأت بأن الزهور ذبلت وماتت وعلمت بعد ذلك أن التربة الطينية تحتوي على جازولين، لقد فعلها هذا المعتوه ولم أستطع أن أثبتها عليه بسبب عدم وجود كاميرات بداخل المجمع، هل تظن أن بعد هذا سوف أشفق عليه أو أحزن لوفاته لا أبدًا بالعكس أنا أرغب في معرفة هوية القاتل لكي أقدم له مكافأة على ما فعله من إنجاز، لأنه أراح العالم من شخص مختل مثله.

## الفصل التاسع

### حنين

لم تكن زيارة حنين لهالة بالشيء الهين عليها، حاولت أن تتمالك أعصابها أثناء زيارتها لكن ما إن وصلت منزل والدها وانهارت بالبكاء فلم تتخيل أن تصل هالة التي تركتها بأفضل صورة رغم الاختلاف معها لكنها كانت جسد ينبض بالحياة وليس جسد تنسلت الحياة منه، ظلت مكانها لم تفعل شيئًا لم ترد على مكالمات القادمة حتى غفت مكانها لكن لم يكن نومها مريحًا حتى زارتها الكوابيس وكان آخرها كابوس فيه هالة بالصورة التي رأتها في المصححة وهي مسجونة معها في غرفة بلا باب وتحفر بحجر مسنن على الحائط اقتربت منها حنين وسألها بقلق:

- ماذا تفعلين؟

تجاهلتها ولم تلتفت حتى لها فاقتربت منها حنين قليلًا وقالت وهي تلتفت حولها:

- هالة، أنا خائفة اتركي ما تفعلينه واحضنيني.

تجاهلتها هالة للمرة الثانية مما دفع حنين لكي تقترب أكثر من هالة وتسألها بنبرة مرتعشة:

- أنا أحتاج إليك هل تسمعيني؟

مدّت حنين يدها وأمسكت كتف هالة فالتفت لها سريعًا بعين غاضبة وصاحت فيها قائلة بنبرة مفزعة:

- الهيصـر.

نهضت حنين من غفوتها مفزوعة، لكنها قررت أنها لن تستسلم وسوف تفعل ما تستطيع لكي تصل للحقيقة أيًا كانت، حتى تعود وضميرها لا يعاتبها أنها خذلت أو خذلت ثقة أختها التي استنجدت بها وأرسلت في طلبها لمساعدتها، قامت بعمل فنجان قهوة كبير بالشكولاتة وجلست تقرأ بتركيز نسخة من التشخيص المبدئي للطبيب المتابع لحالة هالة والذي كتبه بعد جلسته الأولى يوم وصلها للمصحة، ورغم أنه لم يكن بالأمر الهين لكنها استطاعت أن تقنعه وتأخذ منه نسخة بعد أن عرّفته عن تخصصها الدراسي وعملها في الخارج وأنها سوف تبحث خلف الحقيقة معه مهما كانت، وكان أبرز ما جاء في هذا التقرير أن هالة مصابة بالإدمان لأحد العقاقير المخدرة، ودمها يحتوي على نسبة كبيرة منه، وله أعراض كثيرة منها الهلاوس البصرية، تراخي الأعصاب والعضلات، جفاف في الدم، الهالات السوداء أسفل العين وجحوظها، الإدراك البطيء في لغة التواصل سواء الحسية أو اللفظية، هذا غير العصبية وعدم الثقة في من حولها، من الممكن أن يصل تصرفاتها لنوبات غضب وانفعال غير منضبطة، وأدركت أن هذا التشخيص لو تم إثباته في نهاية مدة فحصها سوف يدين هالة بلا شك، لأنها من الممكن أن تكون الفاعلة لكن التشخيص وحده لا يكفي، هو أداة إثبات للفعل وليس دليلًا عليه، ولذلك كانت يجب أن تعلم الأدلة التي جعلت ضابط المباحث يتأكد أن هالة هي الجانية لهذه الجريمة.

ولذلك أخذت بنصيحة الضابط عمر عندما أخبرها أنها يجب أن تتواصل مع المحامي المسئول عن القضية والمكلف من زوجها

رشيد، لم ترغب في اللجوء إلى كريم في مساعدتها في هذا الأمر وقررت أن تعتمد على نفسها وقامت بالبحث عن زوج هالة رشيد عثمان هذا، حتى توصلت لمعلومات عن مقر شركته بالقاهرة وأرقام هاتفها، ومن خلالها قامت بالاتصال به وبعد الكشف عن هويتها أنها أخت هالة زوجة السيد رشيد استطاعت أن تترك رقم هاتفها على وعد بأنه سوف يتواصل فور إنجائه الاجتماع الذي هو بصدده في تلك اللحظة، مرت عشرون دقيقة وتفاجأت بمكالمة من رقم غريب مميز فقبلت الاتصال وفتحت المكالمة التي جرت بهذا الشكل:

- ألو.. الأستاذة حنين معي؟

- نعم أنا من معي؟

جاءها الرد بكثير من الحماس:

- أهلاً وسهلاً بعودتك، كم أنا سعيداً أنك هنا في مصر، يجب أن نتقابل في أقرب وقت مناسب معك.

- أنا اتصلت بك كي أقابلك في الأساس، ولذلك فهل اليوم الساعة السادسة مناسبة مناسب معك؟

لحظات من التفكير ثم أجاب بحماس:

- جيد جداً، سوف أرسل لك رابطاً بإحداثيات منزل هالة وسوف أنتظرك، لا تتأخري.

- أنا لا أتأخر ثق في ذلك.

قالتها بنبرة حاسمة فهي كوّنت إحساساً نحو رشيد بعدم الراحة

له بعدما علمت من كريم عن نظام المراقبة الذي وضعته هالة في منزلها، ولذلك استغربت الحماس والحفاوة التي وجدتتها في نبذة صوته لكنها ظلت مصرة على إحساسها ولن يؤثر عليها هذا، أعدت نفسها لمقابلته والذي حقسها أكثر في هذه المقابلة أنها سوف تتم في منزل هالة والذي أثار فضولها لرؤيته كثيرًا بعد وصف كريم له، خرجت من باب منزلها ورمت بعينيها نحو حديقة منزل السيدة سهام لكنها لم ترها على غير العادة، نظرت في ساعتها لتجد أن ليس أمامها وقت كثير على موعدها فقررت عندما تنتهي من مقابلتها سوف تزور السيدة سهام لكي تطمئن عليها، جاءتها سيارة الأجرة التي طلبتها وركبتها، وبعد دقائق ليست بقليلة وصلت لبوابة مجمع كبير كُتب على لافتة كبيرة بجوار البوابة (হারদلي هاوس)، لكنها تفاجأت بتوقف السيارة وتقدم فرد أمن طويل بعض الشيء ووجهه حاد الملامح يطلب من السائق أن ينزل زجاج سيارته بيديه، ونفذ السائق طلبه فانحنى قليلًا ورمى عينيه بداخل السيارة متفحصًا إياها وقال بنبرة جادة:

- كيف أساعدك؟

- تريد السيدة التي معي الدخول بعد إذنك.

نظر إلى حنين وسألها:

- من ترغبين في مقابلته سيدتي؟

- السيد رشيد عثمان.

نظر لها متفحصًا وكأنه يعرفها وقال وهو يضرب بيده على جسم

السيارة محدثًا السائق:

- منزل السيد رشيد هو المنزل الكبير الذي يقع في الوسط أنزل السيدة واخرج مباشرة.

أوما السائق له ودخل المجمع وتوقف أمام أفضل المنازل وأكبرهم فعلاً، وما إن نزلت من السيارة حتى تفحصت المجمع بشكل تصميمه النصف دائري، ثم التفتت جانباً ونظرت للمنزل الذي يحتضن مسرح الجريمة وكم هو قريب من منزل هالة، ما أشعرها بالانزعاج والغرابة أنها لاحظت أن باقي المنازل الخمس غير منزل الجار المقتول، في كل منزل منهم ينظر لها رجل ويحدق فيها من خلف النوافذ بدون أي تعبير يذكر وجوه صلبة. لم يقطع هذا سوى صوت منادٍ باسمها قادم من خلفها، فزعت وقفزت من مكانها.

\*\*\*

## صديق

كانت ليلة غريبة عليّ، لم ألمس القوة والجبروت والسلطة عن قرب من قبل مثل هذا الحد، وفي ليلة وضحاها أصبح السيد كروس يملك أكبر مزرعة مواشي في قريتنا ومحيط القرى التي حولنا، وأصبح لديه العديد من عمال المزرعة الذين علموا منذ اليوم الأول أن زمن السيد عوني قد ولى وهم الآن في زمن السيد كروس وتحت رحمته وبين قبضته، وجود حراسة من الجيش الإنجليزي للمزرعة بالإضافة لما حدث مع السيد عوني وأسرته كان له تأثير الذعر والخوف في أعين الأهالي، ورغم كل هذا كان الفضول سوف يقتلني لمعرفة كيف استطاع السيد كروس السيطرة على السيد عوني بهذا الشكل حتى إنه لم يستطع أن يفعل شيئًا، وفي الفترة الأخيرة أصبحت الذراع اليمنى للسيد كروس ومترجمه وشعرت بأنه يمنحني الكثير من الثقة؛ لذلك استغللت يومًا كان صافي البال ويقرأ كتابًا جديدًا بعنوان (روبنسون كروزو) للكاتب الإنجليزي دانيال ديفو، دخان غليونه يتطاير مع الكلمات التي يقرأها، وقفت أمامه لحظات مترددًا ثم عزفت عن قراري وتحركت مغادرًا لكني تفاجأت أنه ينادي عليّ يستوقفني بنبرة هادئة:

- صديق، أخبرني ماذا تريد؟

تلجلجت لحظات ثم دنوت منه قائلًا بتلعثم:

- آسف سيدي إذا أزعجتك بقدمي، جئت طامعًا في أجابتك على

سؤال، لقد أطاح الفضول بكل جبال الركوز والهدوء.

- ما هو السؤال العجيب الذي جعلك بهذا الكم من الخرف؟

ملث برأسي معتذرًا وأجبتة بحماس:

- ما السر وراء سيطرتك على السيد عوني وقبوله التنازل عن المزرعة بهذه السهولة؟

- كنت أتوقع أنك أدركت ما حدث لكن من الطبيعي لشخص يمتلك مستوى ذكائك مثل الباقيين ألا يدرك ما الحدث.

نهض وتحرك نحو النافذة وهو يقول بجدية:

- عندما علمت أن نقطة ضعفه أبنائه وبناءً على المعلومات التي أخبرتني بها من مراقبتك له، استطعت أن أختطف الفتاة وأذهب له أكون موجودًا أثناء بحته عنها وأجعله يدرك أن اختفائها هو سبب وجودي عنده ولذلك أخبرته عند مغادرتي لن يخسر مالي فقط بل شيئًا آخر وكنت أقصد هنا ابنته، وهو أدرك ذلك وخاف أن يتعرض لي بسبب ما أخبرتك أن تنقله على مسامع الأهالي لما لديه من نفوذ وعلاقات بالجيش الإنجليزي وكانت الضربة القاضية عندما أرسلت خطابًا للسيد وايلز قبل أن أتوجه لعوني هذا، حتى يلحق بي ويكون داعمًا لي وهذا ما حدث في النهاية كما خططت.

ظهرت على ملامحي معالم الانبهار والإعجاب بعقلية السيد كروس المليئة بالدهاء والشر، خليط غريب في شخص أغرب، دفعني الفضول لكي أسأله فقلت في جدية:

- هل عندما همست في أذنه أخبرته بمكان الفتاة ولذلك حاول أن يعثر عليك ونال ما ناله من السيد وايلز ليغادر في النهاية دون

مقاومة ليلحق بابنته؟

ضحك السيد كروس ضحكات عالية وكانت هذه المرة الأولى التي أراه يضحك بهذه الطريقة ثم تقدم نحوي ووضع يده على كتفي وقال بعينين تلمعان ووجه مبتسم:

- كلما أتذكر هذه اللحظة لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك، فلقد كان يظن هذا الغبي أنه في مستوإي كي يتفاوض بتنازله عن مزرعته مقابل حياة ابنته؟ الغبي كان يظن هذا.

- إذا عما كان التفاوض بالنسبة لك؟

ضحك مرّة أخرى وضرب بساعده خصره من السعادة ثم أجابني:

- لقد همست له في أذنه بلغة عربية ركيكة كي يفهمني وقلت "الفتاة ماتت.. الولد.. طلقه.. موت" الغبي حاول أن يتعرض لي فوجد طلقه أطارت إصبع يده فخاف على ما تبقى له من نقطة ضعفه وعلم حجمه الطبيعي أمامي وغادر مثل الأتان التي تجر جحشها بعد أن اغتصبها حصان، وأنا ليس كأبي حصان يا صديق.

تصلبت في مكاني من روعة ما سمعت قمة القسوة والتشفي والمكر والقوة في بضع كلمات أثلجت فضولي بشكل لم أكن أتخيله، نظرت لسيد كروس بعينين تلمعان من الإعجاب كم أرغب أن أكون مثله في كل شيء غروره وذكائه ودمويته وسلطته وعلمه، لاحظت أنه تحرك نحو الكتاب الذي كان يقرأه وانحنى ورفع أمامي وقال بكثير من الحماس:

- أتعلم أن هذا الكتاب هو الذي جعلني أترك إنجلترا بمحض إرادتي

وأسعى لكي أقيم هنا؟

سألته بكثير من الفضول:

- عن ماذا يحكي هذا الكتاب سيدي.

- إنها رواية من الأدب الإنجليزي اسمها (روبينسون كروزو) للكاتب دانيال ديفو، تروي عن رجل منبوذ بنفس الاسم يسوقه القدر أن يعيش على جزيرة نائية ما يقرب من ثماني وعشرين عامًا واجه فيها الكثير من الصعوبات واللعنات ورغم ذلك عاش، وأنا رغبت أن أكون مثله في جزيرته ولكني سوف أكون السيد فيها، وسوف يذكرني التاريخ معلما ذكر اسمه والمزرعة هي كانت البداية فقط أنا أرغب أن أعود لإنجلترا مثل كروزو؛ شخصًا مختلفًا لكن ذا قوة ونفوذ.

رغم إضاءة الشموع الخافتة إلا أنني رأيت لمعة عينيه من شدة حماسه في حديثه هذا وهنا أدركت أن من أهم أسرار سيدي هي القراءة، ولذلك سألته بجدية:

- هل تسمح لي بأن أقرأ من المكتبة؟

نظر لي مستغربًا ثم أومأ برأسه موافقًا وقال وهو يشير نحو المكتبة:

- ليست جميع الكتب لي هناك من تركها المالك السابق يمكنك أن تبدأ فيها.

ثم أشار نحو الجانب الأيسر من المكتبة وقال بنبرة حادة:

- أما هؤلاء فهم عائدين لي وسوف أعطيك منها الكتب التي لن

أقرأها ثانيًا، فلا تنسَ أني إذا اعتبرتكَ مساعدتي الخاص هذا لا يعطيك الحق أن تجبرني على تحمّل رائحة عرقك في كتاب سوف أقرأه.

عدت خطوة للوراء وانحنيت برأسي وقلت بنبرة هادئة:

- ما تمنحه لي كرم كبير ويكفي بالتأكيد.

عاد وجلس على مقعده المميز بكبرياء ثم تنهّد وقال بحماس:

- قلت لك من قبل إنني لا أحب التملق، اصمت أكثر تفوز، أشعر أننا يجب أن نعد حفلة بمناسبة امتلاكنا للمزرعة في نهاية الأسبوع القادم، ما رأيك؟

- جيد جدًا.. فكرة عظيمة..

اتسعت عيناه غضبًا فاستوعبت ما كنت سوف أرتكبه والتزمت الصمت، وعندما لاحظ صمتي أومأ برأسه راضيًا ثم أكمل:

- حفلة لا تقل عن حفلة استقبالي، والأهم من ذلك من سوف يحيون هذه الحفلة وهذا هو دورك الآن، أريد منك أن تدخل المنازل التي أخبرتني عنها سابقًا التي تدير المومسات والراقصات وتجمع معلومات عنهم بحجة الحفلات التي سوف تقام بمنزلي طوال العام، وأنني رجل إنجليزي ثري يهوى الحفلات الراقصة الصاخبة.

اقترب مني ووضع يديه على ذراعي وقال وهو يربت عليهم مبتسمًا:

- أأست مثلي اشتقت لجسد مومس لتفرغ فيه شهوتك الدموية.

\*\*\*

## هالة

وقعت صدى تلك الكلمات على أذن هالة كصدمة كانت تتوقعها، فزاد فضولها لمعرفة المزيد فسألته بشيء من التوتر المتستر وراء استغرابها المزيف:

- من رشيد عتمان هذا؟ أرجو التوضيح من فضلك.

أنيرت جبهته استغرابًا وكأنه لم يتوقع تلك الإجابة منها فعاد برأسه للخلف قليلًا:

- ألا تعرفين من هو رشيد عتمان عن حق؟!

- نعم، وما الغريب في ذلك، من هو؟ وماذا يريد مني؟ بل ماذا تريدان مني أنتما الاثنين؟ هيّا أجبني.

ظهرت علامات الدهشة على ملامح سمير بشكل كبير وكأنه ضدم من رد فعل هالة، وهذا ما جعله أكثر ليونة عما كان، وترك سيجاره جانبًا، ثم أشار بيديه لهالة أن تنتظر لحظات ثم إستدار بكرسيه يسارًا وأمسك ورقة ثم عاد مرّة أخرى لمكتبه وقال وهو يعطي تلك الورقة إلى هالة:

- أنا لا أعرف ماذا أقول، كنت أتوقع معرفتك بالسيد رشيد عتمان مما جعله يشتري لك منزلًا كبيرًا في إحدى المجمعات السكنية الجديدة الصغيرة التي تقوم شركتنا ببنائها وتم كتابة هذا المنزل باسمك، وتم ذلك من خلال محاميه فأنا لم أثل شرف مقابلة رجل أعمال كبير مثل السيد رشيد عتمان بعد، وتم الاتفاق والتوقيع منذ ستة أشهر على ما أظن، وتم التعهد أن نبغك بهذا الخبر حينما يكون

المنزل جاهزًا بالكامل، على أن تستلمي المفتاح بيدك هنا، وبالأمس أنهينا كل الأمور الخاصة به، وأبلغنا محاميه وهو بدوره أخبرنا أن نقوم بإرسال بطاقة الشركة على مكتبك، وكان واثقًا من أنك سوف تتواصل معنا لتعرفي تلك المفاجأة.

نظر لها وزاد توتره وأردف:

- أنا الآن لا أعرف ماذا أفعل، سواء أنتِ تعرفين السيد رشيد أم لا هذا المنزل أصبح ملكك وباسمك من الآن، يجب أن تستلميه مئًا ولكِ مطلق الحرية بعد ذلك في أن تفعلي فيه ما تريدين.

كانت هالة تنصت لتلك الكلمات لكنها في حالة ثبات زمني فلقد أصبحت تقول لنفسها: يا له من مجنون، فَعَلَ غريب لشخص أغرب، أين هذا الذي يدعى رشيد الذي جعلني على حافة الجنون مثله؟ مثله ماذا؟ هو أكثر مئًا بكثير.

ظَلَّ وجه هالة ثابتًا لا يعطي أي تعبيرات واضحة غير الصدمة مع جحوظ العينين، وهذا ما جعل سمير يردف متسائلًا:

- أستاذة هالة؟ أستاذة هالة ما رأيك فيما قلته؟

تنبعت لندائه وعادت من شرودها قائلة بنبرة مترددة:

- وما هو المطلوب مئًا الآن في مثل تلك الحالة؟

أومأ برأسه يمينًا وهو يجيب قاطعًا:

- أن تأتي معي تستلمي منزلك ليس إلا.

قالت في تردد وكأنها غير مصدقة ما تقول:

- متى؟

- الآن بالطبع، فأنتِ عميلتي المميّزة اليوم ولا يوجد عندي أفضل منك هيّا بنا.

قالها وهو ينهض من مكتبه متجهًا نحو الباب ثم وقف ينتظر هالة وهو يهندم ملابسه، نهضت هي بشعور مختلط من القلق والسعادة والدهشة والاستغراب، وتقدمت نحو سمير الذي أفسح لها المجال لكي تتقدمه، وسارت أمامه حتى وصلت لمدخل المبنى، وهنا أمر سمير رجل الأمن أن يحضر سيارته من المَرَّاب والذي هرول بالفعل ليخبر السائق بإحضارها أمام باب المبنى، قام سمير بفتح الباب لها، وجلس هو بجانبها وأمر السائق أن يذهب على المجمع السكني الجديد، ثم استدار وابتسم لهالة التي لم تفق من صدمتها حتى، ظلت تتأمل الطريق شاردة من زجاج النافذة تهرب من دخان سيجارة سمير، حتى لاحظت دخول السيارة منطقة تكاد تعرف منها أماكن قليلة وكأنها تعرفها، منطقة دخلتها من فترة، حتى توقفت السيارة ونزل السائق ليفتح الباب لسمير، ثم هرول ليفتح الباب لهالة التي بدورها نزلت تراقب المكان من حولها، حتى لاحظت سورا طويلاً من غصون الشجر تتوسطه بوابة كبيرة تعلوها لافتة بيضاء كُتب عليها باللون الأحمر "هاردلي هاوس" وتحتها بخط صغير "قصر صديق عوني باشا سابقاً".

ظلت هالة صامتة لم تحرك طرفاً وهي تقرأ بعينيها حروف تلك اللافتة عدة مرات، كانت غير مستوعبة هل تلك صدفة ما أم فعلاً مقصودة؟ ومن وراء كل هذا؟ ولماذا؟ لم ينجح عقلها المصدوم في

إجابة كل تلك الأسئلة؟ حتى كسر شرودها قول السيد سمير وهو  
يشيح لها بيديه كي تنتبه لإدعاءاته:

- سيدتي، أنتِ لم تري إبداعًا بعد حتى تتوقفي تأملًا هكذا فما  
سوف ترينه بالداخل إبداع من نوع آخر، صدقيني هيّا بنا.

أومات برأسها وهي تتبعه ودخان سيجارته يتطاير خلفه ويحضر  
وجهها غصباً فثنحيه جانباً، أما عيناها فما زالتا تعيدان قراءة اللافتة  
غير مصدقة ما تراه، وما إن أشار لرجال الأمن على البوابة الحديدية  
الكبيرة حتى فتحت على مصراعيها لتكشف ما تستره من جمال  
الطبيعة الاستثنائي، اختبأت أشعة الشمس بسبب مجموعة أشجار  
تناسقت بجانب بعضها على جانبي ممر المدخل، تحتضن بداخلها  
أعداداً كثيرة من أنواع الطيور المختلفة، أكمل سمير تقدمه بداخل  
هذا الممر وهو يراقب عيني هالة اللتين امتزجت نظراتهما بين  
الدهشة والإعجاب، وقد زاد بريقهما ووهجهما أكثر، ما إن عبرته  
حتى ظهر أمامها سبعة منازل على خط دائري، كانت تصميمها على  
الطراز اليوناني القديم، سارت هالة مسلوبة الإرادة خلف سمير حتى  
وصلت للمنزل الأكبر في المنتصف، والذي خلفه حَقام سباحة يتلأأ  
بريق انعكاس أشعة الشمس على سطحه.

ما إن وصل سمير عند الدَرَج الذي ينتصف المنزل الكبير فتوقف  
وانتظر اقتراب هالة التي أصبحت تتلفت حولها وهي تتفحص  
هذا المنظر، لدرجة أنها اصطدمت به عن غير قصد فابتعدت خجلاً  
وتأسفاً، وهنا مَدَّ سمير يده نحوها والسعادة تحتل ملامحه، ومن  
يديه تتدلى حلقة مفاتيح ذهبية بها مفتاح واحد وقلادة ذهبية، ثم

قال بغرور:

- هذا هو منزلك، تفضلي.

ردّت عليه في تلعثم شديد وحرص يتلون باحمرار وجنتيها:

- منزلي؟!!

\*\*\*

## طارق

لاحظ بكري انفعال زوجته شهد وشعر أن ما تقوله قد يضعها في شبهة، وكلما حاول أن يلمح لها بيديه أو بعينه كانت ترفض أن تستجيب وترغب في تفريغ غضبها المدفون من السيد جعفر وما إن انتهت نظر لها طارق وسألها بنبرة هادئة:

- هل يمكن أن توصفا لي يومكما بالأمس حتى الآن؟

- لا شيء جديد، يومنا المعتاد للأسف انتهينا من العيادة الساعة العاشرة مساءً وصلنا منزلنا في غضون نصف ساعة أو أزيد قليلاً، تناولنا وجبة العشاء ونمنا قبل منتصف الليل واستيقظنا على صفارات سيارات الشرطة والجلبة التي حدثت بعدها بسبب مقتل المختل وتم حبسنا بعدها حتى قدومك لنا.

كان هذا رد شهد بأسلوب مستنكر واضح، التفت طارق نحو بكري وسأله بنبرة متشككة:

- ألم يخرج أحدكم لجلب شيء ما وتخونه الذاكرة الآن؟

ردّ بكري بكثير من الثقة:

- لا يا سيدي ليس من عادتنا أن نخرج ليلاً، إذا وصلنا للمنزل فهذا معناه شيء واحد أن اليوم قد انتهى ويجب الخلود للنوم، انشغالنا بين المحاضرات والمشفى العام والعيادة الخاصة يجبرنا على هذا الروتين حضرة الضابط

- أفهم من ذلك أنكما لا تتذكران أنكما سمعتما أو لاحظتما شيئاً

غريبًا في المجمع حدثت ليلة أمس؟

هز الاثنان رأسيهما يمينًا ويسارًا بالرفض وهنا نهض طارق وتحرك نحو الباب وأخبرهما أنها سوف يظلان هكذا لحين انتهاء التحقيقات المبدئية، نهض خلفه بكري كي يسلم عليه ويوصله إلى الخارج.

تحرك طارق من بعده إلى المنزل الأخير وكتب عليه لافتة باسم (مصطفى عنبه) وفوق اللافتة كُتب رقم (9)، استغرب طارق والتفت خلفه وراجع أرقام المنازل التي تبدأ من منزل السيد جعفر الضحية ليجد أنهم لا يسرون بالتسلسل الرقمي وكأن هناك منازل قد حذفت والغريب أن منزل السيد الرشيد بلا رقم من الأساس، شعر أن هذا الأمر أخذ من تفكيره أكثر مما يلزم ويجب أن يعود مرة أخرى ليكمل تحقيقه، وقبل أن يرن جرس الباب وجد باب المنزل الخارجي مفتوحًا فدفعه ودخل بحرص ولاحظ أن الحديقة بها مظلات تغطي معظمها ومثلها الأسوار مغطاة بأسلوب ما بحيث لا تُكشف الحديقة على غير عادة باقي المنازل التي مرّ عليها بالمجمع الغريب هذا، وما إن وصل لباب المنزل الداخلي ضغط على زر الجرس مرتين وانتظر لكن لم يرد أحد، رنّ مرةً ثالثة سمع بعدها صوت طرق وسقوط شيء وبعدها صرخة ألم ذكورية، طرق الباب وهو يسأل بحدة:

- أنا ضابط المباحث طارق أباطة أرغب سؤال السيد مصطفى.

سمع طرق وزجاجات تتصادم، لحظات من الانتظار حتى فتح الباب شاب عاري نصفه العلوي لا يرتدي سوى سرواله مستند بجانبه على الباب وبرأس تتمايل للأمام قال وهو ينظر لطارق:

- أنا الطبيب مصطفى عنبه مُرني كيف أساعدك؟

كان لسانه ثقیلاً وتلفظه للكلمات ليس بالشيء الموزون، وبسبب رائحته علم طارق أنه أمام شخص في حالة شكر ومن الممكن أن تكون فرصة جيدة لأخذ معلومات؛ لذلك أشار طارق نحو الداخل وهو يقول له:

- جيد هذا الشعور، إذا من الأفضل أن نتحدث في الداخل.

فكر لحظات مصطفى ثم أشار له بالدخول لكن توازنه اختل مما دفع طارق لكي يلحق به وأمسك ذراعه قبل أن يقع أرضاً، وما إن دخل طارق حتى لاحظ أن البيت غير مرتب والصالون يمتلئ بزجاجات المشروبات الكحولية الفارغة والأكواب، لاحظ مصطفى أن منظر الطاولة والزجاجات استوقف طارق وجذب انتباهه مما دفعه لكي يسحب مفرش طاولة السفرة ويرميه على طاولة الصالون، كي يغطي هذا المشهد ورمى جسده على الأريكة وهو يقول لطارق بلسان ثقیل وعينين ضيقتين:

- تستطيع أن تجلس الآن حضرة الضابط، البيت نظيف وظاهر.

ابتسم طارق ويجلس بجواره وسأله بكثير من الجدية:

- لقد أخبرتني عند الباب أنك طبيب، في أي تخصص أنت؟

- ليس تخصصي طبيباً بالمعنى المعروف أنا طبيب استشاري علاقات زوجية.

قالها ثم ضحك وتقهقه مما أثار فضول طارق فسأله مستفسراً:

- ما سبب ضحكك دكتور مصطفى؟

- المضحك في الأمر أنني أعمل استشاري علاقات زوجية كي أوفق بين الزوجين حتى يعيشا حياة زوجية سليمة قوية متشابكة، وأنا على النقيض في حياتي الزوجية زوجتي هايدي تركتني وتركت منزلي منذ أسبوع، بسبب هذا المعتوه المهووس بالتجسس والتلصص ومراقبة الآخرين.

نظر له طارق مستغربًا ومال برأسه وهو يسأله:

- من تقصد؟

رفع مصطفى يده وأشار بسبابته نحو النافذة والتي يظهر من خلفها المنزل المقابل له وأجابه:

- صاحب هذا المنزل.

مال برأسه طارق ونظر إلى أي منزل أشار وهنا أدرك أنه يشير لمنزل الضحية السيد جعفر، قال وهو يلتفت له:

- لكن مالك هذا المنزل قُتل ليلاً هل تعلم ذلك؟

- نعم علمت وفرحت جدًا وأنتظر حتى الظهر لأذهب وأخبر هايدي زوجتي بهذا الخبر السعيد كي تعود لمنزلنا فلقد اشتقت لها كثيرًا، حتى إنها جاءت بالأمس ليلاً لكن لم تتحمل حتى سواد الليل وغادرت الفجر مزة أخرى، هل تعلم شيئًا حضرة الضابط؟

أشار لطارق أن يقترب ومال برأسه نحو طارق وقال هامسًا بأسلوب غير متزن:

- أخاف أذهب لها وأخبرها تصدمني وتعترف أنها القاتلة، فلقد

أقسمت أمامي في رغبتها في قتله.

- ولماذا كل الغضب والحقد من رجل في الستين من عمره؟

أوما مصطفى حزناً وحاول أن ينهض مرتين ونجح في الثالثة ثم أجابه وهو يشير نحو النوافذ:

- هايدي تظن أن جعفر هذا يراقبها من منزله، وأنها لا تشعر بالراحة له ولا نظراته لها، وكانت تخبرني أنها رآته عدة مرات وهو يراقبها بنظارات معظمة خلف نافذته وهذا ما دفعها لكي تغلق النوافذ وتغطي الحديقة والأسوار وأصابها الجنون والريبة من كل شيء، وهذا الشيء بعكس طبيعتي فأنا أحب أن أرى السماء وأتنفس الهواء وأجلس في الحديقة وأستمتع بالطبيعة، فلا يصح أن أدفع ذلك المبلغ الكبير في هذا المنزل وفي النهاية أشعر أنني أعيش في سجن، لم تتحمل مناقشتي وغادرت المنزل وتركتني.

- أين كنت ليلة أمس؟

ردّ مصطفى ذراعيه وقال وهو يدور حول نفسه:

- أنا لم أبارح منزلي منذ يومين أو ثلاثة لا أذكر، تركت النوافذ بدون ستائر، أشرب وأستمتع بالحياة والهواء والطبيعة.

- هل لاحظت أي شيء حدث بالأمس؟

نظر لأعلى مفكراً ثم أجابه:

- لا شيء محدد لكن كلاب السيدة إيفون كانوا ينبحون كثيراً.

أوما طارق متفهماً وأشار له شاكراً ثم غادر المنزل، ونظر وراءه

للمجمع متفحصًا إياه بعد أن دخل جميع منازلهم من الداخل وعلم أنه أمام قضية تحتاج تركيزًا وذكاء، وأخرج من جيبه ورقة وقلماً وبدأ في تدوين ملاحظاته عن كل منزل وكل فرد قابله سواء مُلاك للمنازل أو عاملين له ويتبقى فقط حبشي مساعد الضحية ومن اكتشف الجريمة وأبلغ الشرطة وهذا يجب زيارته في المشفى، والشخص الآخر هو زوجة الضحية المختفية ووجد صورة لرأسها مبتورة في جيب الضحية، وبعد مراجعة أسئلته للجميع لاحظ أن هناك سؤالاً لم يسأله لجار السيد جعفر؛ الكابتن عصام؛ لذلك توجه نحو منزله، وما إن اقترب من بابه وقبل أن يضرب الجرس وجد السيدة نوسا تفتح الباب وهي تحمل حقيبة كبيرة للملابس ويظهر عليها المغادرة، قفزت فزعًا عندما رأت طارق الذي سألها بنبرة ساخنة:

- إلى أين ذاهبة يا سيدة نوسا بتلك الحقيبة؟

## الفصل العاشر

### حنين

التفت حنين لتجد السيد رشيد يقف فاتحاً الباب بوجه بشوش، قال وهو يضع يده اليمنى على صدره:

- آسف إذا افزعتك، لقد كنت قُرب الباب منتظرًا قدومك، وما إن سمعت صوت محرك سيارة يتوقف أمام منزلي ففتحت الباب ليس إلا.

- لا بأس.

أشار لها بيده أن تدخل المنزل، تبتعت حنين رغبته ودخلت المنزل ونظرت حولها متأملة جمال المنزل من أثاث وتحف وسرعان ما بدأ رشيد ترحيبه وهو يشير لها نحو الصالون، خرجت نجيبة من المطبخ بوجه مبتسم واقتربت منهما فقال رشيد وهو يشير لنجيبة:

- نفذي ما تأمرك به السيدة حنين إنها شقيقة السيدة هالة.

- حقًا، جميلة مثلها ما شاء الله، ماذا أعد لك؟

جلست حنين وهي تشير لها وتجيئها:

- يكفي فنجان قهوة بالشوكولاتة لو متوفر.

أومات نجيبة برأسها مؤكدة واتجهت نحو المطبخ، استدارت حنين وهي تتأمل المنزل حتى قاطعها رشيد الذي جلس في المقعد المقابل لها وسألها بكثير من التودد:

- متى وصلتِ مصر؟

- منذ أيام قليلة فقط.

مال برأسه وقال بنبرة هادئة:

- أفضل شيء فعلته هو عودتك إلى مصر لقد كنت أجهل ماذا أفعل، حالة هالة تدهورت بشكل كبير، ورغم أنني كنت بجانبها كثيرًا لكنني أظن أنها كانت ترغب في وجود شخص مثلك، أنت لا تعلمين كم أحب هالة وأعشقها وإذا رغبت في نجمة من السماء سوف تكون بين راحة يديها في ثواني، استقررت في مصر وتركت العالم من أجلها، أنا الشخص الذي تحوّل من معجب بها يراها من قارة أخرى إلى عاشق مُتيم بها يذوب من نظرة عين منها.

- وكيف تعشقها كما تقول وتتركها تصل للحالة التي وصلتها في النهاية؟

قالتها حنين بنبرة حادة وصرامة حاول أن يتجنب النظر لها ثم سألها في حزن:

- هل رأيتها؟

- نعم قمت بزيارتها في المصحة، لكنني أؤكد لك أن من قابلتها هناك ليست هالة أختي التي أعرفها، كيف تركتها تصل لهذا الحد؟

دخلت في تلك اللحظة نجيبة ووضعت فنجان القهوة وانتظرها رشيد أن تتركهم حتى يجيبها، دنا منها وجلس على الأريكة بجانبها وقال منكسرًا:

- أقسم لك إني لم أتركها لحظة والجميع يعلمون كم أحب هالة وكم حاولت أن أجعلها تتجنب ما وصلت له، للأسف منذ حلقتها التي أذاعتها منذ عدة سنوات وكانت عن قصر ملعون أثبتت فيها خرافة هذه اللعنة، وهالة صدقت أنها لعنت بسبب إثباتها هذا، وتتوهم أنها ترى أشخاصًا متوفين وظلت حالتها تسوء شيئًا فشيئًا من تناول المهدئ بشكل طبيعي إلى إدمانه، حتى وصلت للشيء الملعون الذي جعل جمال حبيبتي يتأكل بشكل مخيف.

قالها وأخرج من جيبه علبة دواء صغيرة عليها لاصق أبيض بها كبسولات دوائية ورفعها لأعلى أمام حنين وقال بعين لامعة وكثيرة من الحزن:

- إنه هذا الشيء الذي أوهمتني أنه نوع من المهدئات.

أمسكت حنين العلبة وحاولت أن تفحصها وقالت متشككة:

- ولكنها ليست تابعة لأي شركة ولا مكتوب عليها شيء.

- أدركت ذلك عندما لاحظت تدهورها وأخذت كبسولة منها دون أن تعلم وطلبت فحصها وعلمت أنها تحتوي على نوع من المواد المخدرة والتي تسبب الهلاوس وتدهور الحالة المزاجية.

بدأت عين رشيد تلمع من الدموع وقال وهو يحاول أن يتمالك نفسه:

- حاولت منعها كثيرًا صدقيني لكن كانت النتيجة نوبات غضب وصراخ لا تنتهي.

- ولماذا لم تضعها في مصحة نفسية كي تتعالج من هذه الكارثة؟

مسح بيده دموع عينه وأجابها:

- هل تتوقعين كان سهلاً علي أن أراها بهذه الحالة أمامي، شيء ملعون ينهش جمالها وصحتها كل يوم عن اليوم الذي قبله، حاولت أن أقنعها بدخول مصحة لكنها كانت تتوسل لي ألا أفعل ذلك فقرار مثل هذا سوف يدمر مستقبلها الإعلامي وسوف تصبح وصمة عار في تاريخها، وأنا للأسف كنت ضعيفاً أمام توسلها، أعلم أنك يجب أن تلوميني على خنوعي وضعفي لكن حبي لها وتلبية طلبها وراحتها كانا أغلى عندي من أي شيء، أتحمل المسؤولية لا أنكر ولكني أحبها أكثر من أي شخص على هذا الكوكب وأراهن على ذلك بكل ما أملك.

نظرت له حنين بإحساس متناقض تحاول أن تلتزم في شكها فيه وإحساسها بالتعاطف معه وتصديقه، لمست في حديته بعض المنطق لكنه في نفس الوقت يعير الشكوك ولذلك اتخذت قراراً أن تنهي السبب التي جاءت من أجله هذه المقابلة، نظرت له وقالت بجدية:

- أريد منك خدمة بسيطة؟

- تحت أمرك أي شيء.

أومات برأسها شكراً وأردفت:

- أرغب أن تطلب من المحامي المسؤول عن قضية هالة أن يرسل لي ملف القضية أريد أن أقرأها وأدرسها جيداً لعلني أجد شيئاً.

- بكل ترحاب سوف أخبره أن يرسل الملف لك وإذا رغبت في مقابلته ومناقشته سيكون هذا جيداً.

أشارت بسبابتها مؤكدة وهي تجيبه:

- بكل تأكيد سوف يحدث هذا.

- ولكن هل تسمح لي أن أدعوك كي تنقلي إقامتك إلى هنا فهذا في الأساس منزل هالة وليس منزلي، لكن أن تكوني في مصر وتقيمين في فندق ومنزل أختك موجود هذا لا يجوز، سأكون أنا الضيف هنا.

هزت حنين رأسها رافضة ورسمت ابتسامة خفيف وأجابت:

- أشكرك، لكني لا أقيم في فندق بل في منزل والدي يمكنه أن يرسل الملف إليه.

ظهرت على رشيد ملامح الاستغراب وسألها مستفسراً:

- غريبة لقد أخبرتني هالة أن سبب الخلاف بينكما هو احتفاظ هالة به وأنت رفضت أن تدخله وأقسمت على ذلك حتى إنك تركتي نسخة مفتاحك لكي تعبتي قرارك.

رسمت هالة ابتسامة مزيفة وأجابته:

- أنت تعرف طيش المراهقة وعناده لكن الزمن يجعلك أعقل بكل تأكيد وكنت أحتفظ بنسخة احتياطية لكن أعدك بأنني سوف آتي إلى هنا لإكمال دراسة حالة هالة والبيئة المحيطة بها، فأنا لن أتخلي عن هالة، لا تقلق.

- جيد جدًا، أسعدتني كلماتك وثقتك.

نهضت حنين لكي تغادر تبعها رشيد وفتح الباب لتجد سيارة فارهة سوداء تنتظر، وقال بغرور:

- لقد أمرت عندما علمت بمقابلتك أن تنتظرك سيارة لتوصلك أي مكان ترغبين فيه.

أومأت شاكرة وذهبت للسيارة، وبعد أن فتح السائق باب السيارة لها، تفاجأت برشيد يسألها:

- كيف علمت بموضوع هالة بعد مرور ستة أشهر، وأنت لم تتواصلي معها منذ سنوات؟

\*\*\*

## صديق

مرّ ما يقرب من ستة أعوام وأصبحنا في عام 1906م وأصبح للسيد كروس شأن عظيم في السودان بسبب تجارته في المواشي واللحوم وامتلك مزرعتين بالإضافة إلى مزرعة عوني واتسعت تجارته حتى وصلت لمصر وإنجلترا، ونلث شرفه وكرمه الكثير، فلقد أصبح لي شأن عظيم بصفتي مساعد السيد كروس وأصبحت أرتدي لباسًا إنجليزيًا أنيقًا، الجميع أصبحوا يعرفونني ويعلمون درجة قربي من السيد وحاشيته الإنجليزية، وبالتالي كنت أعامل معاملة السيد ولأن إقامتنا كانت في مزرعة عوني أصبحت الأهالي تسميني صديق عوني نسبة لمزرعة عوني التي أصبحت بين يدي، لا أنكر أن الاسم لم يغضبني فهو على كل حال أفضل بكثير من أن أنتسب لاسم والدي الأغا؛ لأن نُسبي الآن يعود إلى سلطة وليس إلى دم دنس وهذا بالتأكيد شيء عظيم لي، كانت الحياة مثالية بشيء كبير، وكلما اشتاق سيدي لشهوة القتل، كان يطلب منّي أن نبدأ في الإعداد بحفلة تنتهي الليلة التي تليها بقتل مومس عاهرة، أفرغ أنا وسيدي شهوتنا، ومن ككرة دخولي تلك البيوت ومعرفة شكانها ومراقبتهم ومعرفة تحركاتهم، أصبحت أخطف المومس وهي في طريقها إلى المنزل ونقيم عليها حفلتنا أنا وسيدي، بذلك نكون استمتعنا دون أن نلجأ لإعداد حفلة خاصة، وحتى نقطع أيّ شكّ يبادر أيّ شخص ويفكر في ربط الحفلات التي يقيمها سيدي واختفاء المومسات، وقد قتلنا في تلك الفترة ما يقرب من إحدى عشرة سيدة، ولم تتحرك الشرطة بحثًا عن اختفائهن، فالبلاد مليئة بمصائب أكبر من وفاة مومسات بجثث غير مكتملة ومقطّعة ومشوهة وموزعة في بقاع

كان للسيد كروس الفضل في أنه سمح لي بساعة كل ليلة وساعتين يوم العطلة من أجل قراءة الكتب والروايات من المكتبة، وهذا فتح أمامي الكثير من العوالم والحيوات الكثيرة في بلاد عدة، وفي يوم كنت أقرأ فيه وكان يوم عطلة وسيدي في غرفته نائم، تفاجأت بأحد الخدم جاء لي وأخبرني بأن هناك شخصًا يرغب في مقابلي ويلج على ذلك، لا أنكر أنني استغربت من هذا السائل عني في هذا الوقت المتأخر، تركت الكتاب وتحركت نحو البوابة ووصلت للحرس وسألتهم عن هذا السائل لأجد شخصًا هزيلًا يقف جانبًا مستترًا في ظلال البوابة وما إن رأيته فاقترب مني بعين متسعة يتفحصني بذهول وقال بتلعثم:

- لا أصدق ما أراه أنت صديق.

لم أعرفه فسألته متشككًا:

- نعم ومن أنت؟

قال بسعادة:

- أنا (ميمون) أخوك.

لم أصدق أنه أخي ميمون فلقد كبر وتغيرت ملامحه كثيرًا نحت الشقا فيه الكثير ونهش الفقر من جسده الأكثر، حاول أن يحتضني ولكنني منعتة، فهو لا يعلم كم تكلفة ما ارتديه كي يتسخ بلمسه القذر، أشرت للحرس أنه سوف يدخل معي ولكنهم طلبوا أن يترك متاعه بالخارج، وقد علمت منه أنه يعمل ساقى ماء، أشرت له أن

يتبعني حتى وصلت به إلى غرفتي وطلبت له الطعام والفاكهة والماء، وما إن رآهم أمامه وجلس وغاص فيهم بنهم وشراسة، لم أصبر كثيرًا وسألته واحترمت ذكائي وفطنته:

- ماذا تريد يا ميمون؟

ابتسم والطعام في فمه وقال بسخرية:

- أرغب أن أنعم معك في النعيم فقد تعبت من عملي كساقى ماء تشققت قدماه من السير بين النجوع والقرى والأسواق، العمل الذي أجبرت عليه بعد أن رحلت من بعدك وتركت المنزل وتوغلت في البلاد وسرق مئتي الزمن الكثير ودارت الأيام لأعود لقريتنا وأعلم أنك أصبحت سيدًا فيها، سيدًا يخافه الأهالي ويحترمه أثرياء القوم، سيد اسمه صديق عوني، هل تتخيل أن أعرف أن أخي أصبح كل هذا ولا أقرب منه لكي ينتشلي من وحل العامة لصف البشر؟ أليس من الغباء أن أترك هذا يا أخي صديق؟

أسلوبه لم ينل إعجابي من أين له بهذا الحق كي يتحدث بهذه الجرأة فكان ردي حادًا وصارمًا:

- أنا لم أصبح سيدًا لأنني أخوك أو من عائلة أبيك الأغا أو من عائلة أمك العاهرة، أنا أصبحت سيدًا بمجهودي وتعبي وقربي من السيد كروس وليس من حق أي شخص مهما كان أن يقلل من ذلك أو يطمع فيه دون أن يبذل أي مجهود فيه

انحنيت قليلًا ونظرت له بعين صارمة وقلت بنبرة حادة:

- ليس هناك مكان لك هنا يا ميمون تنتهي من طعامك وشرابك

وتغادر فورًا، وحاول أن تنسى أن لك أخًا يدعى صديق، لأن صديق الذي تعرفه مات يوم خروجه من منزلكم، أنا شخص غيره اسمه صديق عَوني وحيد لا يرغب في أن يكون له أخ ولا عائلة ولا أصل مشوّه.

ضحك وتعالّت قهقهته ثم ملأ فمه بالطعام وأجاب:

- لن أتحرك من هنا يا صديق عَوني إلا عندما أنال منك الثمن.

- ثمن ماذا؟

شرب كوب ماء وأجابه بجدية:

- ثمن سكوتي.

نظرت له بعين غاضبة وهو بدأ يأكل بهدوء واستمتع أكثر وأردف:

- منذ عدة أعوام قليلة على ما أظن قمرك لم يكن مكتملاً هذا اليوم فلم يكن الحظ معك بشكل كافٍ.

وضع إصبعه بداخل فمه يسلك شيئًا بين أسنانه وابتسم ابتسامة ساخرة وأكمل بهدوء:

- فقد رأيتك وأنت تقتل أختنا جليلة بكل برود وعدت مكانك وخلدت إلى النوم بكل هدوء.

صدمني لا أنكر وغصب عني جلست مكاني بجانبه أستمع بوجه صلب وهو يردف:

- كنت حينها صغيرًا خائفًا وبعد اجتماعك بنا صباحًا وإعلانك بأنك ستغادر المنزل ولن تعود، ظننت أنك سوف تأتي ليلاً كي تقتلني،

لذلك قررت أن أترك المنزل والقرية، وأثناء تلك السنوات كان هذا الأمر يشغل بالي، وتجمعت الخيوط أمامي وظهر هلال الحقيقة وأدركت أن الهدوء الذي قتلت به جليلة يمكنه بسهولة أن يقتل سنابل وقبلها والدتنا.

شرب كوبًا من الماء حتى أفرغ الإناء الذي أمامه وتجشأ وأكمل بهدوء مستفز:

- كنت ثعلبًا يرتدي زي الغنم تنام وتأكل معنا وتقتل من تريد بكل هدوء، وأنا مدرك أنك بالذكاء الكافي الذي يمكنه أن يضمني لحاشية هذا اللورد الإنجليزي وأنعم معك بنعيمه ولن تتركني أعود للفقر والذل والمهانة بخارج أسوار هذا المزرعة.

أنهى كلامه وابتسم ابتسامة جانبية ثم أمسك تفاحة وقضم منها قضة واحدة كبيرة ملأ بها فمه. لم أنتظر كثيرًا نهضت مسرعًا وانقضضت عليه وأمسكت فكه وأطبقت عليه وأغلقتة وباليدي الأخرى أغلقت فتحة أنفه قابضًا عليها بقوة، انحسر الطعام في حلقه واحمر وجهه وانتفخ كحبة الطماطم، ولم يستطع أن يبلع أو يتنفس أو يصرخ، تحركت قدماه وكأنه يركض على الأرض محاولًا أن يفلت من قبضتي لكن لم يظل ركضه كثيرًا لحظات وتراخت أطرافه عدلت جلسته، ثم أسقطت وجهه في صحن الطعام، وجلست أمامه أتنفس بهدوء حتى استعد لما هو قادم، وما إن مرت عدة دقائق قليلة ذهبت نحو الطاولة وأمسكت جسد ميمون من الخلف ورأسه طاحت على كتفه وصرخت:

- ماء اجلبوا الماء حالًا، لقد اختنق أخي من الطعام.

كررت حتى جاء الخادم ورأى هلعي على أخي فقذفت في وجهه  
إناء الماء وصرخت فيه أمرًا:

- املأه بالماء يا غبي، أخي يموت.. أخي يموت.

\*\*\*

## هالة

قالت هالة كلمتها وكأنها تكاد تلفظ حروف الكلمة، مدت يديها وهي ترتعش خجلًا، أمسكت برفق منه المفتاح فبسط ذراعه الأيسر نحو المنزل داعيًا لها أن تصعد الدّرج ورأسه ينحني قليلًا، ما إن رأت ذلك حتى أومأت برأسها مبتسمة وأعادت خصلة شعرها خلف أذنها خجلًا وصعدت الدّرج في نشوة غريبة، ليظهر أمامها الباب وهنا وقف سمير متفأخرًا قائلاً بعد أن أفرغ دخان سيجاره الكوبي:

- الآن انتهى دوري كما تم الاتفاق مسبقًا مع محامي السيد رشيد، وهو أن أسلمك مفتاح المنزل أمام الباب، وذلك بعد أن نترجل على أقدامنا من أول البوابة حتى نصل هنا لكي تتألمي كل هذا الإبداع زويّدًا رويّدًا وليس سريعًا بالسيارة، وأتمنى أن تكون الحفلة التي ستقام هنا أمام حَقّام السباحة يوم الاثنين القادم تنال إعجابك بإذن الله، فهي على شرفك في الأساس، وهي احتفال الشركة باستكمال تسليم المنازل لفلألكها، والانتهاء من هذا المجمع السكني الأول من نوعه في مصر.

دارت بعينيها على المكان الفسيح أمامها ثم قالت في توجس:

- هل من الممكن أن أسأل سؤالًا يزداد إلحاحًا منذ أن وطأت قدمي خارج سيارتك؟

ابتسم سمير وهو يهز رأسه ثم أجاب بلطف:

- اعلم ما هو السؤال وسوف أجيبك، نعم هذا هو المكان السابق لقصر صديق عَوني باشا الذي قمتَ منذ عام تقريبًا بتسجيل حلقة

برنامجك هنا، وبفضل تلك الحلقة علمت بمقدار هذا المكان وكيفية استغلاله، وهذا ما دفعني لشرائه من الورثة، ولا أكذب عليك كانت لتلك الحلقة الفضل أيضًا في شرائي لهذا المنزل بسعر بخس، وبعد شرائه تم هدم القصر القديم واستغلال مساحته الشاسعة لتشييد مجمع سكني صغير في وسط البلد دون عناء الاستثمار في الصحراء البعيدة وما ينتج عليها من مخاطر وخسائر كبيرة، وتم تسليم المنازل الصغيرة منذ ما يقرب من أربعة شهور تقريبًا، وتم تأخير تسليم هذا المنزل حتى ننتهي من طلبات السيد بشير والتي رغب أن تكون متواجدة بالمنزل هذا، برغم أنه كان أول العملاء الذين اشتروا بهذا المجمع، لكن هذا طلب العميل ونحن في خدمة عملائنا أيًا ما كانت.

أنهى كلماته وبدأ في نزول الدّرج ليلحق بسيارته التي وصلت أمام القصر أثناء حديثه، وقبل أن ترد عليه استدار وباغتها بقوله وكأنه تذكر شيئًا ما:

- لا تنسي حفلتنا يوم الاثنين فسوف تتعرفين على جيرانك، فهم سكان جزيرتك.

ضحك ضحكات عالية وهو يدلف بداخل سيارته التي ما إن أغلق بابها حتى أسرع السائق بالحركة، لكنها لاحظت وكأن هناك أحدًا آخر بالسيارة، كان يجلس بجواره شخص لا يحدثه، شخص تعرفه ورأته من قبل، ما إن ابتعدت السيارة عنها حتى لاحظت أن هذا الشخص التفت لها وعيناه ترمقانها غضبًا، فقالت فزعًا:

- الشيخ فتحي الحناوي؟! لا يمكن هذا.

قضت هالة في بيتها الجديد أبهر أربع ليالٍ في عمرها، فلقد كان البيت من الداخل آية في الجمال من الأثاث واللوح والتحف والتناسق فيما بينهم، وضع الصالون الكلاسيكي المميز بلونه الذهبي، وفي الجهة المقابلة لوحة كبيرة تعود في تفاصيلها للتراث الروماني لم تفهم معناها لكنها كانت متوافقة مع تناسق الغرفة، ويتواجد أيضًا في هذا الطابق المطبخ وغرفة مكتب صغيرة، وفي الأعلى توجد الغرف تماثل الأثاث فيهم، والطابق الأخير لغرفتها الكبيرة المميزة وجدرانها الزجاجية والمناظر الخلابة خلفها.

لم يكن لهذا الجمال إلا أن يضيف النشوة والسعادة على هالة التي تستعد لحضور الحفلة التي بدأت بالفعل من نصف ساعة في الساحة الخارجية للمجمع حول حَقَام السباحة التي تزينت خصيصًا لهذا اليوم، أكملت هالة زينتها وارتدت فستانًا أحمر أنيقًا تتلأل الفصوص البيضاء كاللؤلؤ عليه، وقبل أن تفتح الباب توجهت نحو الزهريّة المزينة بالصدف لتقبل باقة (Double Delight) التي أصبحت تأتي لها على المنزل صباحًا كل يوم منذ أن سكنته بدلًا من مكتبها، رحيقها المميز تستنشقه وتشعر بعدها أنها تحيا حياة جديدة بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى.

فتحت الباب لتعلو الموسيقى الصاخبة التي تملأ المكان، وتتراقص في عينيها الإضاءات المبهجة ذات الألوان المختلفة من عدة زوايا، ما إن نزلت الدرج حتى ظهرت الفتاة التي قابلتها في شركة هاردلي وقادتها لمكتب سمير بحكم وظيفتها كمديرة لمكتبه ودنت منها وقالت وهي تصافحها في ود:

- كم أنت جميلة اليوم، أنا صافي مديرة مكتب السيد سمير هل تتذكريني؟

رَدَّت هالة في ذوق مبتسمة:

- بالطبع أتذكرك يا صافي، وأشكرك على مجاملتك اللطيفة.

- السيد سمير ينتظر قدومك منذ بداية الحفل، أو بالأحرى يمكنني القول الجميع ينتظرك ولهم في ذلك كل الحق، ولقد كلفني السيد سمير بأن أنتظرك أمام منزلك وأن أستقبلك فور نزولك.

قالتها صافي وهي تشير لها بيديها أن تسير معها، وبالفعل تبعتها هالة وهي تقابل نظرات الترحيب والسعادة من جميع الأشخاص التي مرت بهم، حتى وصلت إلى الطاولة التي يجلس عليها السيد سمير ببدلته السوداء الأنيقة، وما إن رآها قادمة حتى زفر بدخان سيجاره الكوبي وهو ينهض في سعادة حتى دنت منه فقال مرحبًا:

- أهلاً بنجمة الحفل، وبذلك الأناقة تستحقين لقب ملكة هذا المجمع عن جدارة وبدون منافسة.

أنهى تلك الكلمات، وما إن مدت هالة يديها لكي تصافحه في سعادة حتى دنا هو بشفاه وباغتها بتقبيلها قبلة طويلة وهو ناظر لعينيها بنظرة شعرت بعدم براءتها، وهذا ما دفعها لسحب يديها من أسفل شفاه، فعاد وانتصب من انحنائه ووجهه ينير بابتسامة استفزتها كثيرًا، فقررت أن تذهب وتجلس بعيدًا عن تلك الطاولة، لكن ما إن استدارت حتى وجدت من أمسك بذراعها فالتفت لتجده رجلًا ستينيًا يقبض على ذراعها وهو يقول مبتسمًا:

- أين تذهبين يا ملكة المجمع؟ ألن تحبي أن تتعرفي على جيرائك الجدد؟

رمقته هالة بنظرة غضب ودنت منه، وقالت في حدة وهي تسحب يديها من قبضته:

- يكفيني أني تعرفت على أولهم وعلمت أنه قليل الذوق.

فترك ذراعها وابتسم فنظرت له باستحقار وابتعدت عنه، لكنه سمعت صوته من خلفها يحدثها بنبرة ساخرة:

- أضيفي لهذه المعلومة أني أقرب جار لك واسمي جعفر فهمي، أعلم أنك لن تنسيه.

\*\*\*

## طارق

نظرت له نوسا بعين متسعة وتصلبت مكانها وردت بكثير من التلجلج:

- لقد هاتفتني والدتي وطلبت مني الحضور لأنها مريضة وتحتاج لي كي أساعدها.

نظر طارق لحقيبة السفر التي لديها ثم عاد ونظر لها وقال ساخرًا:

- وهل تسكن والدتك في كينيا كي تعدي لزيارتها كل هذه الحقيبة؟

- لا لكن الجو العام في المجمع في ظل الأحداث الحالية ليست بيئة جيدة للعيش فقد امتلأ المكان حولنا بطاقة سلبية كبيرة سوف تؤثر على صحتنا النفسية والجسدية.

أشار بيده نحو باب منزلها وقال بصرامة:

- هذا ليس وقتًا لمثل هذه التفاهات، عودي لمنزلك سيدتي، فلن يخرج أحد من المجمع إلا عندما ننهى عملنا هنا.

أومأت برأسها موافقة بخوف وعادت نحو باب منزلها والتفت لتجد طارق ما زال واقفًا منتظرًا دخولها، وهي تتلکع أثناء بحثها عن المفتاح وما إن وضعت في الباب وفتحته حتى تفاجأت بأن طارق قادم من خلفها وقائلًا:

- أين الكابتن عصام الذي تركك تفعلين ذلك؟

التفت له وحاولت غلق الباب مرّة أخرى وتلعنمت في ردها مما أثار الشك في قلب طارق وقال أمرًا:

- هل تسمحين أن تفتحي الباب وتطلبي الكابتن عصام فأنا أرغب في الحديث معه.

نظر لها بعين متسعة غاضبة أثارت الخوف في قلبها ودفعت الباب بيد مرتعشة، وما إن فتحته حتى ظهر الكابتن عصام راقداً أرضاً لا يتحرك وفي تلك اللحظة جلست نوسا أرضاً وانهارت باكية وقالت بنبرة مرتعشة:

- سوف أعترف لك بكل شيء.

أشار طارق بيده نحو عصام وسألها مستفسراً:

- هل قتلتِه؟

نظرت له مفزوعة وأجابته بثقة:

- لا بل أعطيته مخدراً فقط كي أستطيع أن أخرج دون أن يمنعني.

أمسك طارق جهاز اللاسلكي الذي بحوزته وطلب منهم استدعاء سيارة إسعاف لفيلا كابتن عصام، ثم نظر إلى نوسا وطلب منها أن تنهض وتجلس على الأريكة، نفذت طلبه وهي ترتعش وتبكي، وسألها بجدية:

- لماذا تحاولين الهرب؟ أخبريني بكل شيء؟

أومأت برأسها وأجابته بنبرة مرتعشة:

- منذ ما يقرب من ستة أشهر تقريباً رأيت السيدة ثريا زوجة السيدة جعفر في الحديقة ولفت نظري عُقد مميز جداً كانت ترتديه، ومن يومها لم يخرج من بالي، حتى بدأ السيد جعفر عادته

الأسبوعية أن يغيب ثلاثة أيام من كل أسبوع، بعد مراقبة المنزل من نوافذ منزلي استطعت أن أحدد نقطة يمكنني أن أتسلل منها لمنزل السيد جعفر وبالفعل استغللت غيابه الأسبوعي ودخلت منزله وسرقت العقد، لكن بعد عودته بيوم، تفاجأت به يطرق بابي مبتسماً ودون أي مقدمات مَدَّ كَفَّ يده نحوي وطلب العقد مني، ضُدمت لمعرفة السرقة بهذه السرعة نبرته الحادة وملامحه الصارمة جعلتني أرتعب في مكاني ولم أستطع أن أنفي ادعاءه، لكنني تصلبت في مكاني.

حاولت مسح دموعها ثم أردفت:

- لكنه لم يكتفِ بحديثه أخرج هاتفه ورفعهُ أمامي عيني ورأيت نفسي في فيديو مسجل بغرفة نومه وأنا أفتح خزانة ملابس زوجته وأسرق منها العقد، لم يكن أمامي سوى أنني صعدت لغرفتي وأعطيته العقد وأنا منكسرة، لكنه أمسك يدي وقبض عليها بعنف.

نظرت نحو عصام وبلعت ريقها وأكملت في حرج:

- وأخبرني أن إرجاع العقد له فهذا حقه، أما العقاب عن ذلك مقابل أن يحذف الفيديو هو أن أسلم له نفسي ولكنني رفضت وظلَّ يهددني بأن يفضح أمري وأنا كنت أماطل معه حتى أجد من يسرق منه الهاتف لكن الآن هو توفى وبالتأكيد سوف تفتشون هاتفه وسري سوف يفضح لذلك حاولت الهرب، ووضعت المخدر في كوب العصير لعصام حتى أستطيع المغادرة في هدوء، هذا كل ما في الأمر.

كان طارق ينصت لها ويفكر في شيء آخر وما إن انتهت طلب عبر جهاز اللاسلكي المساعدة لحظات وجاء اثنان من العساكر وطلب

منهما طارق أن يظلا مكانهما يحتجزان نوسا في منزلها ولا تغادره إلا بأمره، وعند خروجه من المنزل كانت سيارة الإسعاف قد وصلت، تحرك طارق بخطوات مسرعة وعاد لمنزل السيد جعفر وقابل أيمن الذي كان يجمع الأكياس البلاستيكية التي بها الأحراز والأدلة في حقيبته الخاصة ما إن رأى طارق اقترب منه متسائلًا:

- كيف كان التحقيق الميداني؟

أجابه طارق وهو ينظر للسقف بالأخص الزوايا:

- ازداد الأمر تعقيدًا بشكل لا تتصوره حتى آخر خمس دقائق.

رفع أيمن حاجبيه وأثارت كلمات طارق فضوله فسأله مستفسرًا:

- ما الذي حدث في آخر خمس دقائق؟

أشار طارق في أحد أركان العلوية بالسقف بسبابته وقال متحمسًا:

- هناك نظام مراقبة بالكاميرات داخل المنزل.

نظر أيمن لأعلى ليتفاجأ بوجود كاميرا بالفعل متسترة خلف إحدى الحليات المخصصة للإضاءة. تحرك طارق متحمسًا وتبعه أيمن نحو المكتب مسرح الجريمة ونظر طارق حوله ثم سأله:

- بالتأكيد كان يتابع هذا النظام من خلال هاتفه، أين هاتفه؟

- معي لا تقلق.

ذهب أيمن لحقيبة الأدلة وأخرج الحافظة البلاستيكية الخاصة بهاتف الضحية وارتدى طارق القفازات المطاطية وأخرج الهاتف وذهب للضحية وحاول عدة مرات فتح الهاتف ببصمة الإصبع لم

يفتح وساعده أيمن في تثبيت وجهه لفتح الهاتف ببصمة ووجهه وبالفعل فتح لكن لم يلحق طارق أن يسعد لأنه تفاجأ بأن الجهاز أصبح يقوم بأشياء غريبة يفتح تطبيقات ويمسح ملفات بشكل سريع وهو يحاول أن يمنع هذه الأمور لكن لم يجد سوى أن يغلق الهاتف تمامًا وأعطاه بيأس لأيمن الذي سأله عما حدث فأجابه بضيق:

- ما حدث شيء من اثنين؛ أن جعفر مفعّل تدمير الملفات ذاتيًا وحذفها قبل وفاته وهذا يُعَبِّت أنه كان على علم بأنه سوف يُقتل أو مُهدد بذلك، والثاني أن هاتفه تم قرصنته من شخص ما وكان ينتظر أن يُفتح الجهاز لكي يسيطر عليه ويحذف ما عليه وأنا أهديته تلك الهدية بسبب استعجالي في حل هذه القضية.

- نحن في كل الأحوال كنا سنحلل ونُفَرِّغ محتويات الهاتف، كل شيء يمكن استرجاعه لا تقلق لكنه يأخذ بعض الوقت، لكن أمامنا حلًا آخر في أمر الكاميرات هذا وهو الرجوع للأصل.

كانت ملامح طارق يعتليها الغضب حتى سمع كلمات أيمن الأخيرة فسأله متشككًا:

- ماذا تعني؟

- أكيد بالبحث الجيد سوف نعرّض على وحدة التشغيل لهذا النظام الرقمي.

اتسعت حدقة عين طارق حماسًا وتحرك بحثًا عن هذه الوحدة في كل جزء في المنزل حتى عثر عليها في غرفة التخزين الخلفية

للمنزل والتي بها عدة الصيانة وأدوات المساعدة وفي آخرها وحدة التشغيل الرقمي للكاميرات لكن بتفتيشها أصيب بصدمة، وحدة التخزين والتسجيل تم سرقتها.

## الفصل الحادي عشر

### حنين

التفت حنين إلى رشيد وتمالكت أعصابها وجاوبته بثقة:

- وهل يفرق معك كيف علمت بأمر هالة؟ على ما أظن أن الأهم أنني بجانبها الآن.

ابتسم رشيد وأوماً برأسه مؤكداً وقال بنبرة هادئة:

- بالطبع وجودك أكبر عونٍ لي ولهالة بالطبع، الأمر فقط أنك قادمة بعد مرور ستة أشهر من الحادث وهذا ما دفعني للسؤال فقط.

- أنا لا أدري ما أخبرتك به هالة عن علاقتنا في الفترة الأخيرة لكن فور أن علمت جئت لها ولم أتأخر عنها، أما كيف عرفت لا أظن أنه شيء يهكم أو يهم أي شخص آخر.

ابتسم لها وقال بهدوء:

- معك كل الحق، وأنا تحت أمرك في أي شيء، ولا تنسي أن بيت أختك مفتوحاً وينتظر ضيافتك في أي وقت.

- أكيد سوف يحدث هذا، شكراً ولا تنس أن تبلغ المحامي أنني أنتظر الملف ولن أتحرك من المنزل في انتظار استلامه.

قالت وهي تدخل السيارة في جدية مشيرة بسبابتها له، فردّ عليها وهو يومئ برأسه:

- بالتأكيد سوف يكون عندك اليوم لا تقلقي.

أغلق باب السيارة وأشار للسائق أن يتحرك وبالفعل نفذ أمره وغادرت حنين المجمع وهي تستعيد اللقاء من أوله حتى نهايته في محاولة لتقييم هذه الشخصية المريبة التي تتقلب بين عدة مشاعر في لحظات قليلة لكن سرعان ما قطع هذا التفكير رن هاتفها لتجد مكالمة قادمة من كريم، شعرت بأنها يجب أن تجيبه هذه المرة بعد تجاهل اتصالاته بسبب حالتها النفسية السيئة التي انتابتها بعد زيارة هالة، ضغطت على الموافقة على الهاتف وسمعت صوته بنبرة خائفة:

- مرحبًا، هل أنت بخير؟

- نعم، وآسفة لأنني لم أستطع أن أرد على اتصالاتك السابقة بسبب رغبتني في الانفصال عن العالم فترة زمنية أستعيد فيها طاقتي مرة أخرى، وها أنا عدت وكلي حماس.

قالت حنين بهدوء فردّ عليها كريم بكثير من الحماس:

- جيد لأنني توصلت لعدة معلومات كنت أرغب أن أبلغها لك، فهل يمكننا أن نتقابل؟

- لا أعرف لكن هل يمكن أن يكون غدًا صباحًا بالمقهى الذي تقابلنا فيه المرة السابقة.

وافق كريم وقد شعرت حنين أنها صدمته برفضها ولم تلخ أن تعرف ما لديه وهذا لأنها ترغب أن ترتب أفكارها وتركز اليوم في ملف القضية التي سوف تنتظره في منزلها، أوصلها السائق إلا منزل والدها، فرمت بنظرها نحو منزل السيدة سهام لكنها لم ترها، شعرت بالقلق نحوها وعبرت الطريق ودخلت حديقتها الجميلة وطرقت

الباب، لحظات وفتحت فتاة صغيرة فسألتها حنين باسمه:

- هل السيدة سهام موجودة؟

- نعم، تفضلي.

أشارت لها الفتاة بيديها بالدخول، فدخلت وظلت تنظر حولها على صور السيدة سهام في شبابها صور متنوعة معلقة على الحائط لها، وتذكرت أنها شاهدتها من قبل وهي صغيرة، عندما كانت تأتي لهذا المنزل لتلعب مع هالة في حضور والدتهما، لحظات وخرجت السيدة سهام من غرفتها وكان يظهر عليها التعب، اقتربت منها قائلة في لهفة:

- ما بك طمئيني؟ لم أرك منذ يومين كعادتك في الحديقة؟

- أصيبت بآلم بسيط في غضروف الرقبة ألزمني الفراش ليلتين، وها أنا الآن أحسن حال ولذلك طلبت دلال ابنة خادمتي السابقة كي تساعدني.

اقتربت منها وقبّلتها في رأسها وربت السيدة سهام على يديها في حنو وقالت لها ساخرة:

- لم أكن أعلم أن مازال لي معجبون يشعرون بغياي ويسألون عليّ، بالأخص من مملك أصابتهم العلاقات الفاسدة بالانطواء.

انحنى للأسفل وأردفت:

- شكرًا سيدتي الأميرة على كرمك الهائل ونزولك من قصر والدك السلطان للقاء ساحرة مثلي، كم أنت متواضعة

مالت حنين بظهرها نحو السيدة سهام وأمسكت بنطالها وكأنه فستان وحزّكت قدمها اليمنى بشكل دائري حتى أصبحت خلف اليسرى وقالت بهدوء:

- لا عليك، ليس هذا بأمر كبير أيتها الساحرة المسكينة.

- المسكينة، كم أنت مغرورة يا حنين.

قالتها وضحك الاثنان ثم أشارت لها أن تقف خلف المقعد وتدفعه:

- أخرجني للحديقة أريد أن أتنفس مرّة أخرى لقد اختنقت من هواء المنزل الرطب الكئيب.

نقّذت أمرها ودفعتها حنين إلى الخارج وما إن رأت حديقته حتى أشرق وجهها وابتسمت تجاعيده وكأنها طفل رأى أمه تلاعبه، تأملت حنين هذه اللحظات وجعلتها تبسم هي الأخرى ودخلت الراحة قلبها حتى التفتت لها السيدة سهام وكأنها تذكرت شيئاً ورفعت سبابتها وشردت تتذكر، ثم أشارت نحو المنزل وقالت بنبرة أمرة:

- هل يمكن أن تطلبي من دلال أن تحضر مجلة الكواكب العدد الذي بجوار وسادتي؟

- لا عليك سوف أحضره أنا.

تركتها حنين ودخلت المنزل ثم ذهبت لغرفتها لتتفاجأ بكم أعداد مجلة الكواكب المتراصة فوق بعض في أنحاء الغرف، الصور الترويجية لعدة أفلام قديمة من حقبة السبعينيات معلقة على الحائط كانت بطولة السيدة سهام معلقة الجدران الأربعة للغرفة وخزانة الملابس المفتوحة على مصراعها وتكشف عن اكتنازها

بفساتين نسائية قديمة لكنها مميزة جدًا لحقبة زمنية سابقة، أخذتها التفاصيل لحظات من الزمن حتى عادت لرشدها وتذكرت ما جاءت لإحضاره من هذه الغرفة، رأت عدد مجلة كواكب مستندًا على الوسادة، فأخذتها وعادت إلى السيدة سهام وما إن فتحتها السيدة سهام حتى قالت لها:

- أنا عادةً أقرأ العدد من عشرين إلى خمس وعشرين مرة ورغم كل هذه القراءات لا أستطيع أن أصل لفهم ما فعلته هالة في هذا العدد، ولماذا هذه الصفحات بالتحديد.

أثار ما قالته السيدة سهام فضول حنين فاقتربت منها ونظرت للمجلة في يديها لتجدها تشير بسبابتها نحو رقم الصفحة وقالت بتردد:

- كما ترين رسمت دائرة على رقم الصفحة بالأسفل وكررت هذا في ثلاث صفحات أخرى ليس لهم ترتيب معين وهم (5-6-19-32)، جعلتني أقرأ محتوى الصفحات المحددة مرات إضافية لكن لم أصل لشيء، لقد سئمت ألعابكم أنت وأختك هالة كنتوا تستمتعوا بوضع الألغاز والشفرات التي لا يفهمها أحدًا غيركم هل كنتما تدرسان في المدارس الحكومية أم إحدى مدارس الجواسيس الروسية، عشقتهم سلسلة روايات أجاثا كريستي وشارلوك هولمز وأفلام جيمس بوند، لم تكن فتاتان عاديتان منذ أن عرفتكما كنتما على حق مميزتين.

لم تكن حنين منصتة بشكل جيد لحديث السيدة سهام بل كانت تتصفح المجلة وتركز على الصفحات المحددة بعلامة هالة على أرقام الصفحات، لكنها لم تصل لشيء بعد لكنها على يقين أن هذا

الغز هو رسالة ما مثل لغز رسالتها على البريد الإلكتروني، نظرت للسيدة سهام التي لاحظت انشغال حنين فتوقفت عن حديث وظلت تراقبها وقالت لها بجدية:

- أنا أرغب في الاحتفاظ بهذا العدد هل يمكن أن تسمح لي بذلك؟

نظرت لها السيدة سهام وأبرزت شفاها اعتراضًا وقالت بنبرة حزينة:

- إنه لشيء عظيم بالنسبة لي أن أفزط في عدد خاص لكن سوف أسمح لك بذلك، لكن لأيام قليلة.

قبل أن تشكرها حنين قاطعها رنين هاتفها من رقم غريب، استغربت حنين وفتحت المكالمة:

- مرحبًا حنين، أنا عمر المنيأوي، يجب أن نتقابل غدًا، هناك من يراقبك، خذي حذرك.

\*\*\*

## صديق

مرت تلك الليلة وقد علم العاملون بالمزرعة أن أخي توفي بعد أن علق الطعام في فمه، وقررت دفنه بعد صلاة الفجر وعندما عدت كان قبل موعد استيقاظ السيد كروس بأكثر من ساعة وقفت أمام بابه أنتظره يستيقظ، وبالفعل فتح سيدي الباب وتفاجأ بوقوفي أمامه ولاحظ كعادته وفطنته أنني أرغب في قول شيء، فتنحنح ورفع نظره لي وقال بجدية متسائلاً:

- ماذا فعلت يا صديق أثناء نومي؟

- التزمت بأوامرك وتعليمك وهذا ما دفعني لكي أتصرف بناء عليهم، وما حدث بالأمس أنني تفاجأت بزيارة أخي ميمون ليلاً وعندما أدخلته وأكرمته وجدته جاء كي يهددني بأنه كان شاهداً على قتلي لأختي الصغرى ويساومني بأن أتوسط له عند سيادتك كي يعمل هنا.

أخرج غليونه وأشعله عدة مرات فتطاير الدخان أمامه وسألني متشككاً:

- وما كان ردك عليه؟

- ضاق صدري من صوته واستغللت أن الطعام في فمه وانقضت عليه وأغلقت فمه غصباً حتى مات، وصرخت بعدها كي ينقذني أحذ بشربة ماء لكن للأسف كان قد فارق الدنيا، وتم دفنه بعد صلاة الفجر، وجئت ركضاً حتى باب غرفتك وانتظرت حتى أكون أول من يخبرك بالقصة والحقيقة ولا تسمعها من أحد قبلي.

انحنيت برأسي ونظرت له فرأيت منه ابتسامة وأوماً برأسه راضيًا  
وقال وهو يشير بسبابته:

- ألم تفكر قليلًا قبل أن تنقذ قرارك هذا؟

- الشوكة في الحلق أذى كبير، إما أن تئنزع أو تبلع، وفي النزع ألم  
واحد وفي البلع عشرة.

قلت كلماتي ولاحظت الرضا في عين سيدي حتى وضع يده على  
كتفي وقال بحماس:

- أحسنت وتستحق ما دبرته لك.

- أنا عبدك المطيع سيدي.

تخطاني وتوجه نحو نافذة بجانبه ونظر من خلالها على المزرعة  
واستنشق الهواء بسعادة وقال وهو فارد ذراعه نحو المزرعة:

- آن الأوان أن تتسع سلطتي فلقد منحت مرحلة التأسيس سنوات  
كثيرة ولقد اكتفيت من هذه البلاد.

نظر للسماء وابتسم ثم أردف دون النظر لي:

- هناك طائر يا صديق لدينا في المملكة عجيب طالما شعرت أنني  
معله يسمى (Swifts) هذا الطائر من الطيور المهاجرة لا يلمس  
الأرض إلا شهرين فقط في العام، يطير عشرة أشهر يفعل ما يحلو له  
وهو طائر، يأكل ويشرب وهو طائر، ولا يلمس الأرض إلا لكي يتزوج  
ويتكاثر، هل لك أن تتخيل كم هذا عظيم لا يلمس الأرض غصباً أو  
مجبورًا بل ليرضي شهوته فقط.

- سبحان الله هذا الكائن معجزة ملك يا سيدي وأنت تعرفني،  
وتعلم أنني فعلاً أراك معجزة وليس تملقاً.

رفع كفّ يده كي أتوقف، ثم زفر دخان غليونه وقال وهو يتطاير  
لأعلى بنبرة أمرة:

- اذهب إلى اللورد وايلز واعلم منه متى سوف تبحر أقرب سفينة  
إلى إنجلترا.

- تحت أمرك سيدي.

التفت لكي أنفذ أمره فسمعت صوته يقول لي:

- وأخبره أن يضع اسمي على قائمة المسافرين، ولا تنس أن تضيف  
اسمك.

نظرت له مصدوماً وتصلبت مكاني ولساني تلجلج فاتسعت عيناه  
وأردف:

- ألم أقل لك إنك تستحق ما دبرته لك، نعم سوف ترافقني في  
رحلتي، هيّا اذهب.

حاولت أن أحافظ على وقاري أمام العاملين ولا أركض أو أصرخ  
فرحاً لكن كانت خطواتي سريعة لكن ليست أسرع من دقات قلبي  
التي تتراقص بداخل صدري، نعم كنت أغادر مع السيد كروس في  
رحلات قصيرة لمقابلة التجار أو لحفلات مع قادة الجيش لكن هذه  
رحلة طويلة في بلاد ما وراء البحار إنها أكبر وأقوى مملكة على  
وجه الأرض، وأعلمك من الآن أيتها المملكة أنني سوف أكون ضيفاً  
يأخذ أكثر من أن يعطي، ضيفاً لن تشعري به لكن سوف تُقدريه

جيدًا، لن أكون مواطنًا إنجليزيًا لكني سأكون أفضل ظلّ لمواطن إنجليزي.

كانت رحلتنا بعد عدة أيام قليلة وطأت قدمي لأول مرّة باخرة ضخمة سوف تبحر أيام وليالي لن أرى فيهم إلى اللون الأزرق في البحر والسماء، لكن كانت بشاعة ظلام الليل مهيبة وهو الوقت المفضّل لدى سيدي كي يجلس في الخلاء على سطح الباخرة، اقتربت منه وجلست أرضًا قال وهو يشير على المقعد بجواره:

- من الآن يجب أن تتعود أن تجلس هنا، عندما وطأت قدمك هنا فأنت لم تعد صديق الخادم المطيع، هذا الشخص لم يصبح له وجود يجب أن تنساه أنت من الآن يجب تُطبق ما تعلمته مني ومن الكتب التي قرأتها ومن إتقانك للغة الإنجليزية أنت من الآن مساعدي وشريكي السيد صديق عوني.

لم أجد ما أقوله لكن الصدمة أصابت كل عضلات جسدي، حتى أردف مسترسلًا:

- حتى لو بشكلٍ مزيف ولكني أرغب أن أفرض عليهم احترامك حتى لا تؤكل، نحن شعب طبقي ومغرور لأبعد حد وأنت بلون بشرتك هذا سوف تكون منبوذًا بلا شك لكن ما سوف يعطيك قيمة هما شيثان أولهما النفوذ وهو تقربك مني كقائد عسكري متقاعد وثانيهما الثروة التي تمتلكها من مزارع المواشي والتي من المفترض أنني شاركتك فيها ونجحنا في أن تصل تجارتنا إلى مصر وإنجلترا، هل هذا واضح؟

- نعم يا سيدي

اتسعت عيناه غضبًا وأعاد سؤاله بنبرة حادة أكثر:

- هل هذا واضح سيد صديق؟

- نعم واضح سيد كروس.

أوما برأسه راضيًا ونظر للسماء وأردف:

- خلال رحلتنا على الباخرة سوف أعلمك كيف تصبح سيّدًا إنجليزيًا من الداخل والخارج.

- سوف تجدني خير طالب عندك سيد كروس.

مال برأسه نحوي وابتسم، ومنذ اليوم التالي وبدأ السيد كروس يعلمني ويختبرني وأحيانًا أسعده وأحيانًا أغضبه وفي النهاية كان راضيًا حتى وصلت الباخرة الميناء، ورأيت أمامي الكثير من السيد كروس في أناقتهم وزيّهم ومثلهم النساء حتى الفقراء منهم ينعمون بشكل أفضل منّا بكل تأكيد ما يفرق هو الجو البارد القارس لعظام الجسد وليس جلده فحسب، الاستماع للغة الإنجليزية بنبرات ولكنات مختلفة من حولك وكأن أبطال الروايات الإنجليزية التي قرأتها خرجت كلها وتلتف حولي.

كان هناك من كان في استقبالنا رجل سمين بعض الشيء أكبر من السيد كروس بأعوام قليلة لكن يظهر عليه أن يحب السيد كروس من خلال إحتفائهم ببعض وقد عرفت أنه صديقه المقرب منذ الطفولة ويدعى السيد (نورث)، استقبلنا السيد نورث في منزله واستطعت أن أنفذ ما تعلمته من السيد كروس واجتزت الاختبار الأول واكتسبت احترام السيد نورث لكن لم أشعر بأنه يرتاح لي،

وهذا إحساس صحي بطبيعة الإنجليزي مثلما أخبرني السيد كروس أنهم ينظرون لك من خلف أنفهم المرتفعة، لكن كل هذا لم يشغل بالي أو بال السيد كروس وعلى شرف السيد كروس أقام السيد نورث حفلات كثيرة، استطاع من خلالها سيد كروس تعريفني على أكبر عدد من علية القوم وإزدادت علاقتي بهم على أني من أكبر تجار اللحوم والمواشي في أفريقيا وشريك وصديق السيد كروس، وقد علمت قصته الخفية أنه القائد العسكري الشهير الذي تقاعد بسبب إصابته بطلق ناري في ظهره، رغب بعدها بالتقاعد المبكر والرحيل خارج إنجلترا، وفي يوم جاء لي السيد كروس غرفتي بوجهها غاضبًا وقال بنبرة حادة:

- أرغب منك أن تستغل العلاقات التي كسبتها حتى الآن وتبدأ في جمع معلومات عن قاتل متسلسل للنساء شهير لم تقبض عليه الشرطة بعد، وقد أطلقوا عليه اسم (جاك السفاح).

\*\*\*

## هالة

حاولت هالة أن تتمالك أعصابها ولا تجعل هذا الجار البذيء يعكر صفو ذهنها أو يفسد حفلها الذي لم يبدأ بعد، تقدمت لها صافي وهي تمد يدها نحوها قائلة بوجه مبتسم:

- هيا يا ملكة الحفل يجب أن تتعرفي على جيرائك في هذا المجمع.

- أتمنى أن يكونوا أفضل من الرجل الجالس بالطاولة خلفي فلا أنكر أنه استفزني بما فيه الكفاية، رجل ثقيل الدم وقليل الذوق.

التفت صافي ولمحت السيد جعفر من خلف هالة وأجابتها مبتسمة وهي تسحب يدها لكي تتقدم معها نحو طاولة كبيرة:

- لا تقلقي، باقي جيرائك أصغر سنًا، وأثق أنهم سوف ينالون رضاك، ولا تعولي على جارك السيد جعفر فلقد كان يعمل في السابق بالخارجية لكنه عصبي المزاج بعض الشيء، ومن الممكن أن يكون اليوم ليس بمزاج جيد، أو في خلاف مع زوجته.

- وأين هذه السيدة العظيمة التي استطاعت أن تتحمل رجلًا مثله؟

التفت صافي حولها بحثًا عنها ثم دنت من هالة وهمست لها قائلة في سخرية:

- ليست بالحفل كالعادة، للأسف يمنع السيد جعفر السيدة ثريا زوجته من الاختلاط بأحد ولا يرحب بأحد في منزله، ويبرر ذلك بوصفها أنها انطوائية بطبعها ورغم أنها أصبحت حبيسة المنزل إلا

أنها تتحمل كل هذا وتتحمل تقلب مزاجه الحاد في النهاية، بالتأكيد هذا يعتبر حبًا لكن من نوع خاص.

- لا أعتقد ذلك، السجين لا يعشق سجنائه لكن سكوته يُبْزِرُ بشيئين ليس لهما ثالث، إما الرضا بالأمر الواقع أو الخوف من العقاب.

كانتا قد اقتربتا من الطاولة فنهض كل من يجلس حولها لكي يرحب ويسلم على هالة وبدأت صافي تعريفهم:

- ها هي المالكة الأخيرة الإعلامية هالة فاضل وهؤلاء هم سيدتي جيرانك بالمجمع وسوف تسعدون بحياتكم هنا بسبب تلك الخلطة الراقية من أفضل المهن والشخصيات، وفي البداية أحب أن أعرفك على كابتن عصام مدرب أحمال بإحدى الفرق وزوجته الرشيدة الجميلة الأولمبية المعروفة نوسا.

سلم عصام على هالة بعنف بعض الشيء ضاغظًا على يديها مظهرًا قوته وظهرت منه ابتسامة جانبية، بادلت هالة بابتسامة سريعة، ثم سحبت يديها من بين قبضة يده وسلمت على نوسا بابتسامة مشرقة وقالت مرحبة:

- لم أقابل من قبل بطلًا أولمبي فهذا بالتأكيد شرف كبير لي.

- أشكرك الشرف لي بكل تأكيد لكن دعيني أبدي إعجابي بنضارة بشرتك فلا تظهر الشاشة جمالك الطبيعي حقًا.

ما إن أنهت نوسا ردها حتى أومأت هالة شاكرة وتخطتهم سالي وهالة خلفها حتى أردفت:

- وهذا الثنائي هما السيد رامي مدير شركة التداول والأسهم

الاستعمارية وخطيبته فريدة الأنيقة دائئًا.

سلمت عليها هالة وقالت مازحة وهي تومئ برأسها:

- يمكنني أن أخاطر من أجل خبر أو سبق إعلامي، أما أن أخاطر بأموالي فهذا هو رعب بعينه ومجازفة انتحارية.

ابتسم رامي بعينه مغازلًا وأجابها:

- بدون المخاطرة لم تكن هنا الآن، وعلى الرغم أن المخاطرة هي آفة البشرية إلا أنها تُعتبر منقذها الأول من الانقراض.

أومأت هالة برأسها إعجابًا ثم نظرت إلى فريدة التي لم يظهر عليها الاهتمام بحديث رامي:

- أرى أن السيدة فريدة تشاركني نفس الخوف لكنها تهتم بأناقته بشكل أفضل مني بالتأكيد.

ابتسمت فريدة وردت بغرور:

- لن تصدقيني إذا أخبرتك أنني كنت قد نسيت موعد الحفل وجئت بدون استعداد حتى.

ظهر على هالة الاندهاش والإعجاب بتفاخر فريدة، ثم تخطتهم صافي ومن بعدها هالة وقالت:

- أما هذا الثنائي فهما السيد ويليام من أكبر تجار الاستيراد لخامات ومعدات التصنيع وزوجته إيفون طبيبة بيطرية، بل هي من أفضل الأطباء في هذا المجال لقد أنقذت كلبتي الصغيرة من الموت المحقق.

- لا تبالغي سيدة صافي، هذا مجرد عملي فقط وأنا أقوم به ليس أكثر ولا أقل.

قالت لها ثم منحتها ابتسامة فسلمت عليها هالة مرحبة:

- للأسف لا أتوقع أن يغلق عليّ باب غرفة وأنا معي كلب مهما كان صغيرًا، من الممكن أن تكون القطط أفضل، ولكنني أضعف من أن أتحمل مسؤولية حيوان ضعيف مثل القطة.

ضحك السيد ويليام وقال بسخرية:

- القطة ليست حيوانًا ضعيفًا لا تجعلني المظاهر البريئة تخدعك، الفرق بين الكلب والقطة أن الكلب يرى الإنسان وهو يمنحه الطعام والشراب والمسكن والرعاية، فيتعجب ويقول ما هذا الكرم بالتأكيد من يفعل معي كل هذا فهو إله ويجب أن أكون عبدًا مطيعًا له، أما القط عندما يرى الإنسان وهو يمنحه نفس الأشياء يقول بالتأكيد أنا إله كي يخدمني هذا العبد بهذا الشكل ولن أتنازل عن هذه المرتبة.

أومأت هالة إعجابًا برأي ويليام ثم تخطتهم هي وصافي التي قالت بحماس:

- والآن مع الثنائي الطبي والأكاديمي الدكتور بكري والدكتورة شهد أطباء أسنان ومعيدان بالجامعة.

تقدمت هالة وسلمت عليهما وقالت مازحة:

- تشرفت بمعرفتكما وتوقعا زيارتي المتكررة على عيادتكما فأنا لدي وسواس وخوف من مشاكل الأسنان وألمها وأحاول ألا أصل لتجربة ألم الأسنان وبالأخص العصب فلقد كانت لدي تجربة سيئة

معه ولا أرغب في تكرارها.

- شرف لنا بالتأكيد زيارتك لإعيادتنا، ونتمنى أن يصاب الجميع بهذا الوسواس.

نكزته في ذراعه زوجته شهد وقالت وهي تبسم:

- آسفة فزوجي بكري ليس جيدًا في المزاح.

أومات هالة متفهمة وهي تبسم لهما ثم تخطتهما ومعها صافي التي قالت بتوؤد:

- وهذا هو العنائي الأخير والأقرب إلى قلبي الأستاذ مصطفى خبير العلاقات الزوجية وزوجته الجميلة والرقيقة هايدي.

مدت هايدي وأعطت زهرة إلى هالة قائلة في هدوء مبتسمة:

- هذه الزهرة من بستانى الخاص زهرة جميلة مشرقة مثلك.

شعرت هالة بالألفة نحوها واقتربت منها واحضنتها شاكرة، نظر لهما مصطفى بإعجاب قائلاً:

- فعلاً كما قيل في السابق لكي تمتلك شيئاً في هذا العالم يجب أن تعلم كيف تفتح بابه وتختار مفتاحه الصحيح ومفتاح باب المرأة هو الزهور.

أومات هالة استحساناً لقول مصطفى وفي تلك اللحظة جذبت صافي يد هالة وهي تنظر في ساعتها وهالة تتبعها بخطوات شبه سريعة حتى وقفت في منتصف المكان وتركتها لتتفاجأ هالة بأن المجمع كله أنير بكشافات بيضاء في السماء بالإضافة لأنوار صغيرة

راقصة وفريق من عازفي الكمان اصطفوا صفين أمامها وفي آخر الصف ظهر رشيد ببدلة سوداء منمقة مبتسم جعل قلب هالة يتقافز فرحاً. تقدم نحوها بخطوات ثابتة على أنغام أوتار الكمان، حتى وصل لها واثكأ على ركبته وأخرج من جيبه علبة صغيرة وفتحها ليبرز منها خاتم الماس وسألها:

- هل تتزوجيني؟

نظرت له هالة ودمعت عيناها وأومأت برأسها موافقة لتنتقل الألعاب النارية من كل مكان في المجمع أنارت السماء، نهض رشيد وقبّل يدها وهي تنظر في عيون من حولها خجلاً لكنها لاحظت شخصاً يشبه كريم يقف بعيداً وسط الأشجار بجوار السور ويصوّب مسدسه نحوها.

\*\*\*

## طارق

ضاق صدر طارق بمعرفته سرقة وحدة التسجيل والتخزين وقال  
بنبرة غاضبة:

- واضح أن المجرم على دراية جيدة بالمنزل.

لم يستطع أن يتحمل وخرج كي يُنفث عن غضبه في سيجارة  
مشتعلة، أثناء تدخينه بدأ في التفكير بشكل مرتب وأدق أكثر ولذلك  
اتجه لمكتب الأمن بالمجمع وجلس أمام شاشات المراقبة وبدأ في  
مشاهدتهم قبل البلاغ بيوم كامل وبجانبه حارس البوابة إسماعيل  
والذي ينوب فقط في الفترة الصباحية ويتبادل معه رضا وخاطر  
في الفترة المسائية، وكان إسماعيل ينفذ أوامر طارق في تشغيل  
أو إيقاف أو زيادة أو تقليل سرعة التسجيلات على كل الشاشة، ثم  
بدأ طارق في تفقد الكاميرات في الوقت المتوقع لحدوث الجريمة  
وهو بعد منتصف الليل وما يقرب من الساعة الثانية ليلاً عدة  
مرات على المناطق التي تغطيها الكاميرات وهي البوابة الرئيسية  
والسور المحيط حول المجمع، ظل طارق أكثر من أربع ساعات يفرغ  
التسجيلات ووصل إلى عدة نتائج في النهاية، أولاً لم يدخل أي  
شخص غريب عن سكان المجمع والعاملين به ليلة الجريمة، وهذا  
يزيد من نسبة أن هوية القاتل لم تخرج منهم والجميع مشتبه فيهم  
وتحت دائرة الاتهام إلى إذا أثبتت الدلائل غير ذلك، ثانياً تتوافق  
حركة دخول وخروج السيارات من البوابة مع الاعترافات المبدئية  
لمالكي المجمع سواء قبل أو أثناء أو بعد الزمن المتوقع للجريمة،  
ثالثاً لم يتسلق أحد السور ودخل المجمع متسللاً فالقاتل عبر من

البوابة الرسمية الوحيدة للمجمع، رابعًا بالقرب من الساعة السابعة صباحًا فُصل المولد الكهربائي الخاص بغرفة التخزين الخاصة بالتسجيلات لمدة أربع دقائق حتى ذهب خاطر ورضا وتم نقله على المولد الاحتياطي وهذا شيء يحدث على فترات لكنه شيء اعتيادي وحدث في زمن بعيد عن زمن حدوث الجريمة بما يقرب من خمس ساعات.

طلب في حضور أيمن له وبالفعل جاء بعد دقائق بسيطة وقال له أمرًا:

- القاتل بنسبة كبيرة مازال بالمجمع أريد منك أن تأخذ بصمات كل الموجودين في المجمع مالكين أو غمالم، أي فرد يا أيمن، لقد أخبرتني سلفًا أنك عثرت على عينة دم جافة بجوار النافذة ولذلك لا تنس أن تأخذ عينات جميع الموجودين، الجميع أصبح أمامي مشتبهًا.

أشار له أيمن وقال مقاطعًا:

- لقد عثرت على نقطة دماء جديدة بجوار عتبة الباب الرئيسي، وعدة بصمات غريبة بالمكتب وغرفة النوم الرئيسية هذا بالإضافة لشيء غريب بعض الشيء.

نظر له طارق مستغربًا حتى أردف:

- في إحدى زوايا غرفة المكتب توجد صورة للسيد جعفر في إحدى الدول الآسيوية معلقة، لاحظت عليها آثار قطرات بول منثورة جافة، وعلى الأرضية أسفل اللوحة واضح أنها من شخص يكرهه.

رفع طارق حاجبيه ثم تنهّد وقال ساخراً:

- لا تتعجب فالسيد جعفر له كارهون عدة، وكأنه كان يستثمر حياته في كسب كراهية من حوله بشكل متعمّد غريب لا أنكر ذلك، ولذلك فنحن أمام مشتهين كثيرين ودوافعهم متوفرة ومختلفة لكنها تجتمع على كره السيد جعفر.

- والغريب أيضًا لا يوجد أي أثر لزوجته ثريا أو حتى هاتفها.

أشار له طارق أن ينصرف وهو يردف:

- تمام.. والآن حاول أن تنهي ما أمرتك به، وبالتأكيد أريد النتيجة في أقرب وقت ممكن، وأنا سوف أذهب الآن إلى المشفى لمقابلة السيد حبشي الشاهد الأول على الجريمة وأول من أبلغ عنها لعلّي أصل معه لشيء مفيد.

أمسك طارق جهازه اللاسلكي وقال متحدثًا من خلاله:

- أريد تكثيف البحث عن زوجة الضحية اجمعوا معلومات عنها، سأبلغ المديرية لتبدأ البحث عنها أيضًا من خلال التوصل لأقربائها هذا بالإضافة لتتبع هاتفها المفقود.

تركه طارق وقاد سيارته حتى وصل للمشفى الذي به حبشي ومن خلال الاستقبال علم رقم غرفته وقبل أن يدخل عليه سأل الطبيب عن حالته وعلم أنه انخفاض حاد في نسبة السكر في الدم أدت إلى فقدانه الوعي، شكره طارق بعد أن تأكد أن يمكنه التحدث معه، ودخل الغرفة ليجد عم حبشي؛ رجل خمسيني نحيف الجسد ما إن لاحظ دخوله اعتدل في جلسته ونظر إلى طارق الذي قال بجدية:

- الحمد لله على سلامتك عم حبشي.

- الله يسلمك يا أستاذ، من سيادتك؟

اقترب منه طارق وسحب مقعدًا بجواره وجلس وهو يقول بهدوء:

- أنا الرائد طارق أباطة ضابط التحقيقات في جريمة قتل السيد جعفر، وأحتاج منك أن تساعدني ببعض المعلومات كما ساعدتنا وأبلغت عن الجريمة فور اكتشافك لها.

- أنا تحت أمرك في أي شيء المهم الوصول لِمَن فعل هذا الفعل الشنيع برجل يعرف الأصول وحقوق الغير مثل السيد جعفر.

نظر له طارق مستغربًا وقال بنبرة ملؤها السخرية:

- غريب فعلاً ما أسمعه أنت أول شخص أقابله اليوم ويقول شيئًا جيدًا عن السيد جعفر.

أوما حبشي برأسه حزنًا ثم أجابه بضيق:

- هذا ما يراه الناس لكن عندما ترى الأمر من زاوية أخرى فأفعال السيد جعفر التي كانت سبب شجاره مع من حوله هو رد فعل وليس فعلًا، رد فعل واعتراض على أفعال خاطئة من وجهة نظره، أن تكون جازًا لرجل متقاعد فاعلم أن الصوت المرتفع ليس به احترام للجار، أن تترك سيارتك في وسط الطريق ليس به احترام للجار، أن تربي حيوانًا بمنزلك مزعجًا بنباحه فهذا ليس فيه احترام للجار، أن تنظر لجارك باحتقار دائمًا هذا ليس به احترام للجار، أن تكون السبب في وجود حشرة يمكن أن تقتل جارك هذا ليس احترامًا للجار، أن تقتحم منزل جارك...

## يقاطعه طارق مكملاً:

- هذا ليس فيه احترامًا للجار، فهمت ما تقصده ويمكن هذا هو الوجه الآخر لنفس القصة، لكن هذا كان وجهة نظر السيد جعفر وأسلوب طلبه أو اعتراضه على أفعال جيرانه بالتأكيد أظهر صورة أخرى له، دعنا نترك هذا الآن وأخبرني أكثر عنك وعن علاقتك بالسيد جعفر.

- أنا أعرف السيد جعفر فهمي منذ أواخر السبعينيات، كان لدى والده مزرعة بقلوب وكنت أعمل سائقًا له بعد وفاة والدي الذي كان يعمل عندهم سائق أيضًا وكنت في خدمتهم حتى سافر السيد جعفر إلى إندونيسيا عام 1985 وبعدها بأحد عشر عام توفى والده وانقطع مصدر رزقي حتى عاد السيد جعفر في عام 2001 وعيَّني السائق الخاص له حتى تزوج السيدة ثريا في 2005 وهنا انتقلت لسائق خاص على سيارة زوجته ولقضاء طلباتها الأسبوعية لأنه كان يغار ويخاف عليها جدًا، وهو أصبح يقود سيارته وظلّ هذا الأمر حتى فترة قريبة، وفي يوم تفاجأت بان السيد جعفر يعفيني من وظيفة سائق زوجته الخاص على أن أمر عليه كل أول أسبوع كي أجلب له طلبات المنزل وفي مقابل ذلك سوف يمنحني راتبي كما هو، لم أعرف السبب حينها لكن ظننت أنه من الممكن من شدة حبه لزوجته يكون غار عليها مني، لكن أيغار بعد كل هذه السنين؟ لم أشغل بالي أن أسأله فأنا أعلم طبعه جيدًا لا يجيد النقاش مثلما يجيد السباب، ويمكن أن أخسر راتبي وأنا كبير في السن وغير متزوج ولا يوجد من يعلنوني فكتمت الأمر في صدري وقلت نعم

تحت أمرك.

نظر له طارق متفهمًا ثم سأله مستفسرًا:

- هل تعلم أننا لم نجد أي أثر لزوجته ثريا بالمنزل؟ هل تعرف أين ذهبت؟ أو أين تكون؟

نظر حبشي له وضاقت ملامحه صدمة وشرد قليلًا ثم قال بتردد:

- يا حضرة الضابط أنا لم أر السيدة ثريا منذ أن أعفاني السيد جعفر عن العمل أي ما يقرب من ستة أشهر.

## الفصل الثاني عشر

### حنين

صارت حنين متخبطة بين لغز صفحات المجلة التي وضعتها هالة في المجلة ومكالمة الضابط عمر الذي أخبرها بأنها مراقبة من شخص مجهول ويجب أن تقابله غدًا في منزله، استأذنت الرحيل من السيدة سهام وفي يدها المجلة، عبرت الطريق وهي تلتفت حولها يمينًا ويسارًا، دخلت منزلها سريعًا وأغلقت النوافذ والستائر وتأكدت من غلق الباب جيدًا، ثم جلست ونظرت لعدد المجلة أمامها وأدركت أن هالة كانت مخططة لكل شيء تفعله رغم سوء حالتها، بدأت من رسالتها المشفرة على موقع الجامعة ثم هذا العدد الذي كانت تظن أن دوره توقف عند احتفاظه بمفتاح المنزل لأنها تعلم أن حنين قد رمت في وجهها المفتاح في شجارهما الأخير قبل هجرة حنين لهولندا وأنها لا تمتلك نسخة منه، ليكون العدد هو اللغز الثالث بترميز أرقام صفحات معينة بداخل العدد واللغز الأخير ما قامت بحرقه في حمام غرفتها، ظل التفكير والأرق يتصارعان بداخلها حتى سقطت رأسها مكانها ونامت.

استيقظت في الصباح بصداع أثقل رأسها طئًا، غسلت وجهها واستعدت لمقابلة كريم لكن لم تخرج من المنزل إلا بعد أن نظرت من النافذة تبحث هل هناك شخص غريبًا يقف أمام المنزل أو سيارة غريبة ينتظر سائقها بداخلها، انتابها الشك في الجميع لكنها صفت نفسها حتى تخرج من هذه الحالة فلن تستفيد منها سوى التشويش على تفكيرها، ارتدت النظارة الشمسية فمع هذا الصداع

لن تتحمل أشعة الشمس أمامها، وبالفعل خرجت وركبت سيارة الأجرة التي طلبتها عبر التطبيق والتي نقلتها إلى المقهى ودخلت لتجد أنها وصلت قبله فذهبت وجلست إلى الطاولة وطلبت دون أن تنتظره كوبَ قهوة بالشوكولاتة، لحظات ورأت كريم يدخل من الباب مبتسمًا، رفعت حاجبها من أسفل النظارة الشمسية، اقترب منها وقال وهو يشير نحو كوب القهوة الذي وصل قبله على الطاولة:

- ألم يمكنك أن تنتظريني حتى نتناول الإفطار قبل أن نحتسي القهوة؟

- من لديه صدام مثلي لا يرغب في شيء سوى الإنصات إلى الصمت ولكني جئت كي أنصت لك وعليه كان يجب أن أحتسي كوبًا كبيرًا من القهوة قبل أي شيء.

أشار لها كريم متفهمًا ثم التفت وطلب من الساقى فنجان قهوة وعاد ليقول إلى حنين:

- لا تقلقي لن أطيل عليك ولن أثقل صداك.

- أتمنى.

قالت حنين وهي مستندة بكوعها اليمين والكوب في يديها وهي سائدة رأسها عليه، أمسك كريم هاتفه واختار صورة منه وكبرها بحجم شاشة الهاتف ثم وضع الهاتف على الطاولة ودفعه ببطء نحو حنين التي نظرت لها لكنها لم تر الصورة بوضوح فرفعت النظارة لأعلى قليلًا وقالت متشككة:

- ما هذا؟

- إنها صورة رقمية لإعدادات نظام المراقبة بالكاميرات لمنزل هالة.  
ابتهج وجهها وسألته بحماس:

- حقًا استطعت أن تفتحه وماذا وجدت به؟ هل ما زالت  
التسجيلات عليه أم تم حذفها؟

- بالطبع حُذِّفَتْ، لكن لم تكن نقطة حذفها غريبة عليّ أو غير  
متوقعة عندما حاولت فتح نظام المراقبة مرّة أخرى، لكن كانت هناك  
نقطة أغرب.

وضح على وجه حنين الاستغراب وسألته مستفسرة:

- ما هي؟

- إن النظام توقف عن التسجيل بتاريخ يسبق تاريخ الجريمة  
بعلاثة أيام، ولم يتم تفعيل النظام حتى يومنا هذا، أي لا يوجد  
تسجيل يمكن أن نستخدمه لفهم ما حدث في منزل هالة يوم ارتكاب  
الجريمة وبالتالي خسرنا دليل براءتها.

تنظر له وتقاطعه قائلة:

- أو إدانتها.

ظهر عليه الضيق قليلاً لكنه حاول أن يغير الموضوع وسألها  
مستفسراً:

- لقد أخبرتك بما توصلت له منذ آخر مقابلة بيننا، هل وصلت  
لشيء جديد؟

- نعم جيد أنك ذكرتني، عند مقابلتي لرشيد بالأمس أخبرني عن

حلقة أجرتها هالة عن قصر ملعون وأن هالة صدقت أنها لعنت بسببه،  
هل يمكن أن ترسل لي كل ما لديك عن هذا الأمر؟

أوما برأسه متفهمًا وقال بحماس:

- لا تقلقي، كل ما يخص هذا بين يدي وغداً سوف أرسلهم لك.

نهضت من مكانها وقالت بجدية:

- اليوم سوف أرسلهم لي.

- اليوم أدركت أنك أخت هالة دمًا وفعلاً.

ابتسمت وتحركت وأشارت لسيارة أجرة، وطلبت منه أن يتوقف  
عند محل حلويات واشترت منه شيئًا ثم ركبت السيارة مرة أخرى  
وأوصلها لعنوان منزل الضابط عمر كما أرسله لها عمر، حاسبت  
السائق، وقبل أن تنزل من السيارة لمحت سيارة بزجاج مُعتم عبرت  
سيارة الأجرة وتوقفت بعدها بعدة أمتار تشبه سيارة كانت قد  
لمحتها عندما نظرت من النافذة قبل نزولها من المنزل وكانت تقف  
أمام منزلها، أخذت علبة الحلوى ونزلت سريعًا من السيارة وأسرعت  
خطواتها نحو السيارة لكنها تحركت سريعًا وهربت، دخلت المنزل  
ورنت الجرس ففتحت لها بعد لحظات هيلين بوجه جاد بعض  
الشيء وأشارت لها أن تتفضل بالدخول، ما إن دخلت حتى رأت  
عمر يقف بالصالون منتظرها فأعطت علبة الحلويات له وما إن رآها  
ابتسم وقال في حرج وهو يشير لها أن تجلس:

- آسف في طلبي منك بمكالمة أمس أن تقفي في طريقك لشراء  
علبة الحلويات حتى تظهر للشخص الذي يراقبك أنك ذاهبة في

زيارة بشكل طبيعي واختيار منزلي عن مكتبي لأن يمكنك زيارة صديقة هالة الوحيدة ويظهر كأمر طبيعي حتى نستطيع أن نتحدث بحرية.

- عندما فكرت في مكالمتك بالأمس أدركت شيئًا مهمًا؛ أنه لكي تعرف أن هناك من يراقبني ويتبع خطواتي، يجب أن تكون أنت في الأساس تراقبني حتى تصلك هذه المعلومة، وها أنا هنا منصتة لك وكلي آذان صاغية لأعرف السبب.

دخلت هيلين حاملة صينية عليها أكواب من العصير ووضعتها أمامهما وسلمت حنين كوبها ونظر عمر لهيلين مبتسمًا وقال بهدوء:

- إن ما حدث مع هالة لم يكن بالشيء الطبيعي وظهورك المفاجئ بعد الجريمة ب ستة أشهر جعلني أنا وهيلين نفكر أن بفرض أن هالة بريئة وهذا ما نؤمن به، اهتمامك وتتبعك للقضية فور وصولك سوف يجعل القاتل الحقيقي تحت ضغط وتوتر لذلك وضعت أحدًا من المخبربين لحمايتك إذا شعر بتعرضك لأي خطر، لأن حياتك تهمنا بكل تأكيد، فأنت لا تعلمين كم نعر هالة وغير مقتنعين بثماتها، وأثناء ذلك لاحظ المخبر وجود سيارة حمراء بزجاج معتم تراقبك وتتبع خطواتك من ثاني يوم وصولك.

نظرت له حنين وأخرجت هاتفها وظهر على شاشتها أرقام وحروف وقالت بعقّة:

- لاحظتها عندما وصلت هنا كانت تتبعني، لكنها هربت وأنا ألحقها وهذه رقم لوحتها.

- تم الكشف عنها وكانت لوحة مسروقة من سيارة بمواصفات أخرى تم الإبلاغ عنها.

أمسكت هيلين كوب العصير الخاص بها وقالت وهي تنظر إلى حنين بثقة:

- عندما سمعت من عمر الموضوع، وبالأخص مواصفات السيارة التي تراقبك تذكرت شيئًا غريبًا أن هناك شخصًا يمتلك سيارة بنفس هذه المواصفات وهو كريم مساعد هالة.

\*\*\*

## صديق

كان أمراً غريباً من السيد كروس لن أستطع أن أفهمه برغم كل السنين التي مرت علي وأنا بجواره لكن أحياناً لا أستطيع أن أفهمه أو أستوعب ما يرغب فيه، وأمر التحقيق خلف (جاك السفاح) هذا أمر لم أفهم المغزى منه، لكني لم أستطع أن أتفوه بحرف وأطعت أمره وبدأت فعلاً في التحرك والسؤال عن هذا السفاح الذي أربع إنجلترا سنوات، ولا أنكر أن ما توصلت له من معلومات عن طرق عامة الأهالي أو من المثقفين أو حتى رجال الأمن الذين عاصروه كانت معلومات شيقة فعلاً وغريبة ومثيرة، وبالفعل لم آخذ أكثر من عشرة أيام وعدت للسيد كروس وكان جالساً في شرفة منزله الجديد الذي نقل له بعد استضافة السيد نورث لنا منذ وصولنا، كان السيد كروس شاردًا يدخن غليونيه ببطء واستمتاع، دنوت منه وتنحنت حتى ينتبه لوجودي وحينها سألني دون النظر لي:

- لقد تركتك طيلة هذه الفترة ولم أسألك عن طلبي حتى لا أضغط عليك وتتعجل في جمع المعلومات، أنا أرغب في معرفة كل المعلومات عن هذا السفاح.

انحنيت وقلت بعقة:

- لقد جمعت عنه كل معلومة أو خبر، الحقائق والخرافات، أي جملة وضع فيها اسمه معي.

نظر لي بجانب عينيه وابتسم وقال وهو يومئ برأسه:

- جيد، أخبرني بكل ما توصلت له.

- اتفقت جميع المصادر على أن السبب وراء ظهور جاك السفاح هو كثرة النساء اللاتي يعملن في الدعارة وهذا ناتج عن هجرة الإيرلنديين واللاجئين اليهود وقد نتج عن هذا التضخم ظروف عمل وسكن سيئة وشاعت السرقة والإدمان على الكحول ولذلك دفع الفقر العديد من النساء إلى أعمال الدعارة.

نظر له كروس بضيق وقال بحدة:

- هذه معلومات أعرفها وعشت فيها ما الجديد؟

- أعلم لكنها كانت جديدة علي وأوضحت سبب ظهور جاك السفاح بشكل منطقي، لكنني سوف أخبرك بمعلومات أكثر دقة عنه، سجلت تحقيقات شرطة العاصمة إحدى عشرة جريمة قتل منفصلة، ابتداءً من 3 أبريل 1888 وحتى 13 فبراير 1891، إلا أن خمس جرائم من هذه الجرائم الإحدى عشرة، وهي معروفة باسم (الخمسة الكنسية)، يُعتقد اعتقادًا قويًا أنها من عمل جاك السفاح، وقد أشار معظم الخبراء إلى وجود جروح عميقة في الحلق، وتشوهات في الأعضاء التناسلية والبطن، وإزالة الأعضاء الداخلية، وتشويه الوجه هي سمات مميزة لأسلوب جاك السفاح.

ظهر على السيد كروس التفكير ثم سألني مستفسرًا:

- ومَن المحقق الذي عمل على هذه القضية؟

- يدعى المفتش (جوزيف هنري هيلسون) كان يخدم في شرطة العاصمة لندن، عندما أقدم جاك السفاح على قتل خمس نساء في وايت تشابل، شرقي لندن، في عام 1888، وبدأ التحقيق في

القضية والغريب أن هناك من ادعى أنه جاك السفاح وأرسل رسالة للشرطة بهذا الاسم لأول مرة ونشرت في الصحف وكان شابًا روسيًا يدعى (مايكل أوستروغ) لكن سجله الصحي جعل المفتش يستبعده لأنه كان نزيل لمصحة نفسية تابعة لسجن في فرنسا وعلم أنها خدعة من محتال يرغب في الشهرة ليس أكثر.

ابتسمت عندما تخيلت صورة المحقق ثم أردفت:

- ولقد أرسل جاك السفاح للمفتش هيلسون رسالة يتفاخر فيها جاك بقتله النساء الداعرات وسخر منه ووقعها باسم جاك السفاح وكأنه قد عجب به الاسم المزيف له.

- وهل تم الكشف عن هويته؟

أوما صديق بالرفض وأجابه:

- لا لم يعرف أحد حتى الآن من هو جاك السفاح، ولقد وصل عدد المشتبهين فيهم أكثر من مائة، هذا غير الرسائل للصحف والشرطة من رجال محتالين يعلنون أنهم هو، ورغم ذلك لم يصلوا لأي شيء وكأنه تبخر سيدي.

صفق بهدوء وببطء السيد كروس وعلى وجهه علامات الإعجاب وقال بسعادة:

- هذا الرجل فنان يستطيع أن يمحو القبح من اللوحات الجميلة حتى نرى حقيقة روعتها، هذا الرجل سوف يخلد اسمه، ولأننا فنانون مثله يجب أن ننشأ الشيء الذي يبحث ويحافظ ويساعد كل فنان على دوره في تنفيذ هدفه وإبداعه في التخلص من القبح

المسيطر على عالمنا.

نهض من جلسته واستند على سور الشرفة وأردف بحماس متأملاً  
منظر المدينة:

- هناك أسطورة خرجت من عصر روما القديمة عن رجل قوي يدعى (ماركوس اوتيلوس) كان يحب فتاة جميلة بجنون لكن أرهقته الديون وضاعت عليه الدنيا، أقنعتة حبيبته أن يتطوع كي يكون مجالد (مصارع أسود) ويسد ديونه ويحصل على المال الوفير، وبالفعل اقتنع وتطوع وحارب الأسود من أجلها وعندما عاد بالمال وجدها في أحضان رئيس المصارعين فقتلها وقتله، وباع روحه للشيطان في مقابل أن يعيش خالدًا كي يقتل جميع النساء العاهرات.

- أسطورة عظيمة حقًا.

التفت نحوي وأردف:

- وأنا أرغب أن أجعلها حقيقة سوف أؤسس أخوية سرية تسمى أخوية (اوتيلوس)، ينضم لها كل من يرغب في الانتقام من النساء الخائئات وبالأخص العاهرات منهن.

دنوت منه محرّجا وأشرت له كي يسمح لي بالكلام وبالفعل أوما برأسه لي فقلت بنبرة مترددة:

- لي اقتراح أتمنى أن تسمح لي بذكره؟

أوما بالموافقة وأردفت:

- أرجوك أن تسمح لي في مدحك هذه المرة ولا تغضب مني،

فهذا ليس تملقًا بل انبهارًا وإعجابًا، فكرة إنشاء أخوية سرية يكون الهدف منها الانتقام من المرأة الخائنة العاهرة تنفيذ عملي لأسطورة (أوتيلوس)، هذا هو الحلم والهدف الذي يجب أن نسعى إليه، وأن يكون منتشرًا في كل عالم، لذلك لدي اقتراح على الاسم، في اللغة العربية عندما ينقض الأسد على فريسته ويفترسها بعنف وقوة هذا الفعل يسمى (هَضْر) ولأن بطل أسطورتنا من العصر الروماني القديم وكان الحاكم حينها يلقب بالقيصر، فإقتراحي أن نختلق اسمًا وندمج بين الاثنين ويسمى (الهَيْصِر) بالحروف العربية ويكتب بالحروف الإنجليزية (Haesar) اسم ليس له أصل أو معنى في أي لغة، لكنه معروف بين أعضاء الأخوية حفاظًا على السرية بيننا.

نظر لي واتسعت عيناه وارتفع حاجباه الكفيفان ودنا مني وقال متحمسًا وهو يربت على ذراعي بقوة:

- اسم عبقرى واختيار موفق، كل يوم تثبت لي أن المرة الأولى التي رأيتك فيها شعرت حينها أنك سوف تكون مميزًا لي، لقد راهنت عليك لتكون رفيق دربي في حياتي الدموية السرية، والآن أشعر أنني قد ربحت الرهان، هيّا بنا لنؤسس أخوية الهَيْصِر السرية، الأخوية التي سوف تكون جحيم النساء على الأرض.

\*\*\*

## هالة

تفاجأت هالة برشيد يقبل يدها بعد أن وضع الخاتم في إصبعها فنظرت للأسفل له مشوشة قليلاً وعادت لتنظر لأعلى للمكان الذي رأت فيه كريم لتجده قد اختفى وكأنه لم يكن موجوداً بأساس، هي تدرك أن كريم معجباً بها لكنه ليس مجنوناً أن يفعل ذلك فهي لم توعده بشيء أو منحته أي اهتمام زائد هو مجرد زميل لها ليس أكثر ولن تسمح أن يكون أكثر من ذلك فطموحها أعلى منه بكثير، وبالتأكيد ما رآته هو شيء تخيلته بالخطأ مثلما أصبح يحدث معها في الفترة الأخيرة من خيالات بسيطة تظهر وتتلاشى أمامها، نهض رشيد أمامها وقطع شرودها بابتسامته وملامحه السعيدة والجميع من حوله يصفقون والألعاب النارية لم تهدأ انفجارها في السماء فلقد جعلت السماء فوقهم نهاراً، ما إن هدأت الألعاب النارية حتى التف فريق عازفي الكمان حولهم كدائرة كبيرة وعادت المدعويين على طاولتهم وبدأت الفرقة بعزف مقطوعة موسيقية هادئة يرقص عليها رشيد وهالة، وبدأ الثنائي الرقص يتمايلان بهدوء بإيقاع مضبوط مع المعزوفة وقال رشيد هامساً إليها:

- آسف على غيابي المفاجئ لكن كنت مجبوراً عليه حتى أستطيع أن أكون هنا اليوم وأطلبك للزواج.

- كان يمكن أن تخبرني وكنت سوف أنتظرك.

ضغط برفق على يديها وقال وهو ينظر في عينيها:

- قرار استقراري في مصر ونقل استثماراتي هنا قد يضعني في

موقف محرج مع المستثمرين وكان يجب أن يحدث هذا بشكل سري، وهذا القرار لم أكن أتخيل أنني قد أتخذه في حياتي لولا أن رأيتك وعشقت سحرك وجمالك، ومن الآن أصبحت ملكًا لك سيدتي، افعلي بي ما يحلو لك، هل تقبلين اعتذاري الآن؟

- الشيء الوحيد الذي كان يصبرني على غيابك وأناي مازلت في بالك هي باقة الزهور النادرة الجميلة التي كنت أجدها على مكتبي يوميًا، فلقد شفعت لك عندي.

نظر رشيد للسماء مغمضًا عينيه وقال بنبرة هادئة:

- الحمد لله هذه سماحة قلبك الكبير سيدتي ولذلك هل يمكنك أن تخبريني هل نالت هديتي إعجابك؟

وأشار بوجهه نحو منزلها الجديد ونظرت له وابتسمت وقالت بعين لامعة:

- هذه ليست هدية يا رشيد هذه حياة جديدة وأنا كنت أحتاجها بسبب رتابة وملل حياتي في الفترة الأخيرة وكأنها جاءت بطوق نجاة كي تقول لي هيا يمكنك أن تحيي مرة أخرى.

- جيد ويوم الخميس القادم سوف نوثق حياتنا الجديدة بزفافنا وهذا قرار ليس به نقاش.

نظرت له وابتسمت ثم أومأت برأسها بالموافقة وفي تلك اللحظة تنتهي المعزوفة الموسيقية فيقبل رشيد رأس هالة التي تزداد وجنتاها احمرارًا من الخجل، تنتهي الليلة وتعود هالة لمنزلها بعد أن ودعت رشيد، فصعدت إلى غرفتها والسعادة تغمرها والنشوة تجلت

بداخلها ووقفت أمام نافذتها التي تكشف المجمع بالكامل وتابعت جيرانها وكلّ يدخل منزله ومن يغلق أنواره ومن يتفقد حديقته حتى وصلت لمنزل السيد جعفر والذي كان يقف في نافذة مكتبه يمسك بكتاب في يده وعيناه ثابتتان على نافذة هالة فنظرت له باحتقار لكن لم يشح نظره عنها فأغلقت الستائر بغضب ولعنت بجاحته وقلة أدبه.

أقلت بجسدها على الفراش وهي تفكر فيما حدث وأن الزواج برشيد هو مجموعة من المكاسب أولها الثراء كزوج مليونير، والشهرة فلن يكون سوى داعم لها، والشلطة كشريك في القناة تستطيع أن تسخر الكثير في إنجاح حلمها الإعلامي، والرومانسية التي تعتبر أصغر المكاسب وتخرج منه بسيطة وقديمة ونوعًا ما، لكن وجودها يكفي كي تغلف هذه الزيجة بطابع روماني يليق بمظهر الاجتماعي الجديد. شردت قليلًا وهي تفكر في أن حدث مثل هذا يجب أن تكون أختها بجانبها وليست على علم به فقط، مهما كانت الخلافات بينهما أو مهما كانت حنين عنيدة لكن لا يمكن أن تعلم أنها تحتاج لها وترفض مساعدتها، ولا يوجد أكبر من زفافها كي تطلب مساعدتها، برغم هجرة حنين وفراقها إلا إنها ما زالت تحبها ولم تغضب مما فعلته ومقدرة ردة فعلها، فهي تعي أن احتفاظها بمنزل والدهما أمر غريب بالأخص بعد وفاة والدهما والتخلص من زوجة أبيهما السيئة وشراء نصيبها في المنزل، حتى يبقى المنزل لهما فقط فهالة كانت لا ترغب في خسارة الشيء الوحيد الباقي بينهما للأبد وهو المنزل الذي يمتلئ بالذكريات الجميلة عندما كانوا أسرة واحدة مكتملة قبل وفاة والدتهما.

نهضت سريعًا وحاولت أن تتصل بحنين وهي في حالة من التردد لكن وجدت الرقم الدولي الذي كان معها انتقلت ملكيته لشخص آخر غيرها منذ زمن، توصلت لرقم السكن الطلابي الذي كانت تسكن فيه لكنها علمت منهم أن حنين تركته منذ فترة طويلة، حاولت أن تصل لحساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي وجدتها مغلقة ولا تعلم هل لديها حسابات أخرى جديدة أم لا؟ ظلت عدة أيام تحاول لكنها فشلت وانتباها اليأس في النهاية.

مرت الأيام وتزوجت هالة برشيد وكان الزفاف مقصورًا على الأصدقاء والمعارف القليلة وقضت هالة أسعد أيام حياتها في شهر العسل الذي انتقلت فيه بين محافظات مصر السياحية وعادت أخيرًا لمنزلها في النهاية وكانت نجيبة في استقبالها فاستغربت هالة وجودها فقال رشيد:

- هذه هي نجيبة ستكون المسؤولة عن كل شيء في المنزل من تنظيف أو طعام وكل شيء، وستساعدك في أي أمر تطلبينه منها.  
- أنا في خدمة سيدتي هالة وتحت أمرها.

قالتها نجيبة واقتربت منها بهدوء وخجل فأجابتها هالة بود:  
- يمكن أن تقولي إنك تساعديني ولست تخدميني هذا أفضل لي ولك.  
- أشكرك سيدتي.

أومأت هالة برأسها راضية وتحركت بخطوات واثقة ثم دارت حول نفسها وجلست على الأريكة وهي تقول بحماس:

- كم افقدت هذا المنزل.

- بل هو من افقدك، لأنه لا يوجد شيء يعرفك ولا يفقدك.

حاول أن يقترب منها رشيد ليقبلها فدفعته بدلال وقالت وهي تشير نحو اللوحة الكبيرة للمصارع اليوناني، وقالت في غير رضا:

- هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أرَّح لوجوده في المنزل.

نظر لها رشيد وقال ضاحكًا:

- أنا مملك لم تتل إعجابي لكن لا أنكر أنها لائقة على الديكور العام ومكملة له بشكل جيد وهذا كان تصميم الشركة واختيارها للفرش والاثاث وأعتقد أنه معالي لك حبيبتي.

أومات برأسها موافقة ثم قالت بنبرة هادئة:

- سوف أصعد لأعلى أريح جسدي قليلاً من السفر هل سوف تأتي؟

- للأسف يجب أن أذهب، لدي اجتماع مهم لكن أوعدك حبيبتي لن أتأخر.

قبلها رشيد سريعًا وغادر وصعدت هالة غرفتها ودخلت خلفها نجية حاملة حقيبتها وأشارت لها هالة أن تتركها وقالت بود:

- اتركيها الآن هنا، فأنا أرغب في النوم بشدة وعندما أستيقظ سنفعل ما يحلو لنا.

انحنت نجية مستأذنة المغادر وتركت هالة في غرفتها التي ذهبت إلى مرآة الزينة وخلعت الحلق والسوار ووضعتهما على سطحه وفي طريقها للفراش لمحت شيئًا غريبًا من النافذة دفعها الفضول أن

تنحرف عن طريقها وتذهب وترى ما جذب انتباهها لتجد أن في نافذة الغرفة العليا من منزل السيد جعفر تقف سيدة ترتدي فستانًا أسود بشعر ذهبي داكن يسيطر على ملامحها الحزن والهالات السوداء أسفل عينيها، كانت تقف ناظرة لنافذة هالة ما إن رأتها هالة حتى رفعت يديها برفق ولوحت بيديها لها ببطء وهي تبتسم لها، نظرت لها السيدة لحظات ثم دمعت عيناها وهي ترسم ابتسامة مرتعشة لا تكتمل وكانت ترفع يديها هي الأخرى لأعلى لكنها التفت للخلف مرة واحدة ونظرت إلى هالة بعينين متسعيتين يملأهما الخوف ثم أغلقت الستارة سريعًا، لم تستطع هالة أن تفعل شيئًا سوى أنها تصلبت مكانها لحظات ثم عادت إلى فراشها وحاولت أن تغفو في النوم ورغم الأرق إلا أنها نجحت في النهاية.

وفي صباح اليوم التالي استيقظت هالة مبكرة وكان رشيد نائمًا فارتدت ملابسها الرياضية وقررت أن تتريض بداخل المجمع، قابلت نجية بالأسفل كانت تؤها قادمة كعادتها تفاجأت بنشاطها وقالت وهي تبتسم:

- صباح الخير والنشاط، هل أبدأ في إعداد الفطور لك أم انتظر عودتك؟

- لا بل يجب أن ننتظر رشيد فلا يحلو الفطور إلا به.

ربتت على كتفها وفتحت وخرجت وبدأت في التريض وبعد انتهاء من دورتين بداخل المجمع تفاجأت بتريض نوسا بجانبها وهي تقول مرحبة:

- أخيرًا وجدت من أتريض معه بدلًا من تريض وحدي به وكأنني

هاربة من سجن النساء.

- لا تقلقي الآن انضم لك هاربة جديدة.

ضحك الاثنتان وأكملتا تريضهما حتى وصلتا لمرورهما بجوار منزل السيد جعفر فنظرت له هالة وهي تمر وتنهدت حزناً، ثم مالت نحو نوسا وسألتهما بجدية:

- هل قابلت من قبل زوجة هذا الجار الغريب؟

- تقصدين السيدة ثريا زوجته؟

أومأت هالة برأسها فتوقفت نوسا وكانت تلتقط أنفاسها وهي تشير لها:

- للأسف حاولت أن أقابلها لكن زوجها البغيض يمنع أي زيارة لها فحاولت أن أتواصل معها من خلال الشرفة أو نافذة غرفتها لكنها كانت ترفض أن تبادلني الحديث.

- نعم هذا حدث معي بالأمس رأيتهما، وعندما حاولت أن ألوح لها أغلقت الستارة.

رمت بعينها نحو منزل السيد جعفر وقالت في حزن:

- اتركها وتجاهلها، أظن أنها تكيفت على هذا الحياة وتدخلنا قد يفسد عليها ذلك.

أومأت هالة برأسها موافقة ورفعت عينيها ونظرت نحو منزلها لتجد شخصاً يشبه الشيخ يقف عند نافذة غرفتها فتصلبت مكانها.

\*\*\*

## طارق

اعتدل طارق في جلسته مستغربًا وسأل حبشي الذي كان يحاول أن يميل بجسده قليلًا نحوه:

- هل أنت متأكد من هذه المعلومة؟

- نعم يا سيدي متأكد جدًا، عندما كنت أقابل السيد جعفر كنت أطلب منه أن يرسل سلامي للسيدة ثريا وكان يطلب مني أن أدعو لها لأنها مريضة بالأعلى.

نظر له طارق ثم قال رافعًا حاجبه:

- إذا لم تكن في المنزل فأين سوف تكون برأيك؟ هل لديها أصدقاء أو معارف يمكنها أن نجدها عندهم؟

- للأسف السيدة ثريا كانت يتيمة وتنتمي لفرع عائلة والدة السيد جعفر، ومنذ أن تزوجها وكانت معزولة عن الحياة، أو بمعنى أدق حياتها حدودها ذراع السيد جعفر.

أوما طارق برأسه متفهمًا:

- كيف ترى معاملة السيد جعفر لزوجته هل كانت طبيعية أم حب زائد؟

- لا أعرف، لكن من الممكن أن يكون حب امتلاك.

دنا حبشي برأسه من طارق وقال في تردد:

- لا أخفي عليك حضرة الضابط أنني لاحظت في الفترة الأخيرة

التي كنت أقوم بتوصيل السيدة ثريا فيها أن بين الحين والآخر ألاحظ علامات وكدمات في وجهها وجروحاً في معصم يدها، حاولت كثيراً إخفاءها لكن للأسف كانت ظاهرة وتخطف العين.

صمت حبشي لحظات ثم أشار بسبابته متذكراً وأردف:

- في يوم كنت أقوم بتوصيلها وأوصلها السيد جعفر حتى السيارة، وقبل أن أنطلق بالسيارة نظرت في المرأة فتفاجأت بوجه السيدة ثريا فقد كانت مصابة بكدمة أسفل عينيها وجرحاً في خدها الأيسر، غصب عني ركزت بعيني فيها فترة، لاحظ ذلك السيد جعفر وصاح في أن أقود سيارتي وأركز في طريقي.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

أوما حبشي برأسه نافيًا وأجابه بحزن:

- ظلت صامته طيلة الطريق وكانت هذه آخر مرّة أقوم بتوصيل السيدة ثريا أو أراها عن قرب، وتفاجأت بعد ذلك بفترة بأن السيد جعفر يعفيني من وظيفة سائق زوجته الخاص على أن أمرّ عليه كل أول أسبوع كي أجلب له طلبات المنزل كما أخبرت سيادتكم.

- تمام وأخبرني ما حدث معك اليوم بالتفصيل؟

اعتدل حبشي في جلسته وتنهد ثم قال بكثير من التوتر:

- الأمس هو يوم مروري الأسبوعي عليه، لكن ما إن وصلت حتى صاح فيّ وطلب منّي أن أتي بالغد، أي اليوم، وأغلق الباب في وجهي، غادرت وجئت اليوم في مواعي الساعة السابعة صباحاً ما إن وصلت المنزل رننت الجرس لم يظهر السيد جعفر أمامي رننت

مرّة ثانية، دخلت من باب الخارجي وأنا أنادي عليه بصوت ليس مرتفعًا خوفًا من غضبه عليّ، وما إن اقتربت وجدت الباب الرئيسي مفتوحًا بعض الشيء دفعته برفق وأنا أنادي عليه لأن منذ قراره الأخير وأنا لم أدخل منزله قط كنت آخذ ورقة بطلباته بخط يده منه أمام عتبة المنزل

انقلبت ملامح حبشي إلى الضيق وتنهد ثم قال بنبرة حزينة:

- صفقت بيدي ثلاث مرات ولا مجيب، دفعني القلق لكي أتجرأ أكثر ولاحظت أن غرفة المكتب مضاءة فتوجهت نحوها لعلّي أجده قد غلبه النعاس وهو جالس يقرأ، وما إن وصلت لباب الغرفة حتى وجدته راقدًا على الأرض نائمًا على بطنه والدماء تسيل من ظهره لم أستطع أن أتحمّل المنظر هذا، خرجت صارخًا كي يأتي أحد واتصلت أبلغت النجدة والإسعاف ظنًا منّي أنهم يمكنهم إنقاذه لكنه كان قد مات وبعدها سقطت أرضًا ولا أعلم ما حدث لي بعد ذلك.

نظر له طارق محدقًا ثم سأله بجدية:

- هل تتذكر أنك رأيت أو سمعت أي شيء غريب منذ وصولك حتى اكتشاف الجريمة؟

- لا للأسف يا حضرة الضابط لكن الشيء غير المعتاد عليه هو رضا فرد الأمن لقد كان شاردًا وحزينًا عند وصولي عند البوابة، وعندما خرجت أصرخ بأنهم قتلوه ونظرت نحو البوابة وجدته ينظر لي مبتسمًا بعكس خاطر الذي هرول نحوي كي يساعدي.

حك طارق أسفل ذقنه مفكرًا ثم سأله مستفسرًا:

- جيد أنك ذكرت هذا، بمن تقصد في صراخك أنهم قتلوه؟

- لا أعرف لكن يحكي لي أن الجميع هنا يبغضونه ويحتقرونه بالأخص النساء هنا.

نهض طارق من جلسته وشكر حبشي وغادر المشفى، وبعد مرور ثلاث ليالٍ من التحريات حول قاطني المجمع وعماله وتفريغ تسجيلات الكاميرات وتحليلها هذا بالإضافة لتفريغ هاتف الضحية من معلومات وصور ومقاطع فيديو، كان طارق في مكتبه واضعًا هاتفه أمامه ويفتح التسجيلات التي تخص التحقيقات التي أجراها، ويتضح أن طارق يسجل التحقيقات سرًا ثم يفرغها بتركيز، وهذا حتى لا ينشغل بكتابة هذه الملاحظات أثناء التحقيق، لأنه يرغب في التركيز أكثر على ردود وانفعالات الأشخاص الذين يحقق معهم وكيف تكون انطباعاتهم على الأسئلة التي يسألها حتى يُكوّن رأي أفضل عنهم.

ومن خلال مقارنته بالاعترافات التي لديه وتسجيلات الكاميرا فالجميع كانوا بالمجمع أثناء حدوث الجريمة إلا السيد رشيد وله حجة غياب مثبتة في محضر رسمي، أي هناك عشرة أشخاص من خمسة منازل وزوجة الضحية وفي المنزل السادس هالة وخادمتها، واثنان حارسان للبوابة، ومن له دوافع لقتله بتفاوت درجاتهم هن نوسا وفريدة وإيفون وشهد وهايدي هذا بالإضافة لهالة والتي ثبت عليها من قبل واقعة اقتحام منزل الضحية، وزوجته ثريا المختفية والتي لديها دافع قوي من العنف الذي كان يمارسه عليها لكن تظل صورة رقبتها في جيب الضحية لغزًا آخر، ومن العمال لدى خاطر

دافع لقتله بعد تهديده بفضح أمره ولقد تأكد طارق من واقعة المشاجرة بعد أن أنهى الكثير من التحريات حولها وبذلك يكون طارق أمام ثمانية أشخاص مشتبه فيهم، وسلاح الجريمة مختفٍ وحرف (H) الذي من الممكن أن يدل على هالة وهايدي.

ومن خلال البحث عن السيدة ثريا عن أي أقارب أو أصدقاء لها أو من خلال نشرات البحث في الفنادق والمستشفيات والأقسام فلم يصل لأي معلومة عنها لكنه توصل أنها لم تذهب لمتابعة الشهرية لطبيب أسنانها لقيامها بعمليات علاجية وزراعة أسنان بديلة وكانت تتابعه بشكل شهري، وقد سجل لها خطة علاجية تستمر لأربعة شهور أخرى لكنها بعد زيارته بشهرين فقط توقفت وهذا حدث منذ ما يقرب من خمسة شهور، وعندما كان مساعدو الطبيب يحاولون أن يؤكدوا عليها الموعد تليفونيًا كان زوجها هو من يرد ويؤكد أنها قادمة لكنها لم تذهب، وهذا يؤكد حديث حبشي أن السيد جعفر سعى لأن يقطعها عن العالم الخارجي ويقطع أي شبل قد تصل لها من الخارج، وطارق كان يرى أنها الوحيدة من ضمن المشتبهين الثمانية التي لديها دافع قوي ومبرر لقتله وهروبها بعد ذلك، لكن كيف والكاميرات لم تسجل خروجها، فهل هي ما زالت بالمجمع؟ وأين ستختفي فيه؟ وما سر صورة رأسها المقطوعة؟

مرت ساعات كثيرة وطارق غارق في ألغاز الجريمة المتعددة ولقد امتلأت المرمدة أمامه بأعقاب سجائره المتراكمة حتى دخل عليه أيمن وقال وهو يسعل:

- لقد امتلأت الغرفة بالدخان هذا فيه خطر على صحتك.

وذهب وفتح النافذة كي يدخل الهواء وعاد وهو يتنفس ثم جلس أمامه وقال هو يمد يده له بملف ورقي:

- هذا هو التقرير المبدئي للطب الشرعي والجنائي.

- جيد وهل به مفاجآت جديدة؟

قالها طارق بحماس وهو يسحب الملف منه حتى أجابه أيمن قائلاً بجدية:

- البصمات الغريبة التي وُجِدَتْ بمسرح الجريمة تعود لنوسا وهالة وخاطر وقطرات الدماء تعود لهالة وخاطر وويليام وعَيِّنة البول تعود للحمض النووي لخاطر.

## الفصل الثالث عشر

### حنين

تفاجأت حنين من المعلومة التي ذكرتها هيلين وأن يكون كريم هو من يراقبها فعادت بالذاكرة يوم زيارتها لأختها هالة وأن كريم كان يتصل بها في منزلها بعد أن وصلت، وثاني مرّة عندما قابلت رشيد في منزله اتصل بها فور انتهائها من مقابله، وأخيرًا موعدها معه رأت سيارته قبل أن تتحرك من منزلها ووصلت المقهى قبله، وهو جاء بعدها بقليل وعندما غادرت وتركته وركبت سيارة الأجرة وبالتأكيد كان يتبعها حتى إنه تفاجأ بوقوف سيارة الأجرة مرّة واحدة مما دفعه لأن يتخطاها بسيارته وعندما لاحظ أنها تقترب منه هرب سريعًا، شعرت حنين بأنها واثقة في ظنّها والتحليل الذي وصلت له، لكن يقاطع شرودها هذا عمر وهو يشير لها محذرًا:

- يجب أن تأخذي من كريم حذرك وإذا رغبت في معلومة منه خذها بحرص، وأتمنى أن تمنحنا مقدار ما أعطيتّه إلى كريم من ثقة، فأنا وهيلين تحت أمرك في أي استفسار ترغبين في الحصول عليه.

- أشكركما كثيرًا ويجب أن تعلمنا أن دراستي جعلتني أعتمد على العقل أكثر من العاطفة، ويجب أن أتقبل ما يستنتجه العقل مهما كان صادقًا، وفضولي العلمي هو الذي يقودني في هذه القضية أكثر من قلبي، وأتمنى أن تراعي أن الغربة جعلتني مصابة بأزمة ثقة، حتى كريم لم أمنحه أي مقدار من الثقة كما تتخيلان لكنه هو من رغب في مقابلي وقبلتها بحثًا عن الحقيقة وراء قضية هالة، ولكي أثبت

أنها تغيرت معكما لقد علمت من رشيد زوج هالة أن القصة تبدأ من حلقة صوّرتها عن قصر ملعون، هل يمكنكما أن تساعداني في جمع معلومات عن هذه الحلقة وما علاقتها بحياتها مع رشيد؟

نظر عمر إلى هيلين ومال برأسه لها كي تجيبها وفهمت هيلين ما يشير له وقالت بقلق:

- بالتأكيد نستطيع أن نساعدك، غداً سوف يكون لديك كل ما أعرفه وسوف يقوم عمر بالتحريات اللازمة وسوف نطلعك عليها.

- جيد شكراً لكما.

غادرت حنين وهي ما زالت متمسكة بشكوكها ومبدئها ووضعت هذا الطلب لكي تقارن بين ما سوف يجلبه لها كريم وما سوف يجلبه لها عمر وهيلين وحينها سوف تعرف عنهم أكثر، وما إن عادت حنين لمنزلها لتتفاجأ بأنه قد تم تفتيشه من مجهول، جميع الغرف فُتحت خزائنها وأخرج ما فيها، حتى أوراقها المرتبة والتي جمعتها عن القضية قد بُعِثت وتناثرت في كل مكان، ورأت أن نافذة المطبخ مفتوحة على غير العادة وهذا ما دفع حنين أن تطلب الشرطة وتعبت حالة، وبعد المراجعة والتفتيش لم تجد شيئاً قد سرق أو نقص من المنزل وكان مَن جاء للمنزل كان يبحث عن شيء مهم وخاص جداً، يظن أنه معها لكنه لم يجده، وهذا ما جعل حنين تتق في خطواتها وأنها تسير في الاتجاه الصحيح وهو اتجاه براءة هالة، لأن هذا الفعل يفسر لها أن القاتل في حالة خوف ويشعر بالتهديد، أما عن هوية المقتحم سوف تُعرف مع معرفة القاتل الحقيقي في النهاية.

وفي وسط كل هذا جلست حنين على درج المنزل وخلفها رجال

الشرطة ينهون عملهم بتسجيل الواقعة ورفع البصمات وكانت حنين على يقين بأنهم لم يجدوا بصمة غريبة، لأن من فعل ذلك ذكي بقدر لا يخطئ مثل هذا الخطأ، لحظات وتوقفت أمام المنزل سيارة كبيرة ونزل منها رجل يرتدي بذلة سوداء ويحمل حقيبة سوداء صغيرة ووقف مستغربًا وقال وهو يتابع حركة رجال الشرطة:

- هل هذا منزل الأستاذة حنين فاضل؟

- نعم هذا أنا.

أوماً الرجل برأسه راضيًا ومدّ يده نحو حنين بالحقيبة وقال لها بنبرة هادئة:

- انا مندوب من مكتب الرفاعي للمحاماة طلب مئي تسليم هذه الحقيبة لك.

- جيد واشكر لي الأستاذ الرفاعي لسرعته في تلبية طلبي وأخبره أنني سوف أقابله قريبًا.

أوماً برأسه مؤكدًا ثم استدار مغادرًا نهضت حنين وهي تحمل الحقيبة وحاولت أن تعود للمنزل باحثة عن الضابط المسؤول، وما إن رآته حتى اقتربت منه وسألته مستفسرة:

- متى سينتهي هذا الأمر؟

- الوضع الآن مع رجال البحث الجنائي والطب الشرعي ينهون عملهم وسوف ينتهي كل شيء اليوم بإذن الله؟

رفعت حاجبها مُستغربة وسألته متشككة:

- اليوم؟ هل تحتاجون يومًا آخر؟

- ممكن يوم آخر أو يومين، حتى نكمل تحرياتنا وتحقيقاتنا بشكل كامل ووافٍ، ولذلك يفضل لك أن تبיתי في مكان آخر ليلة أو ليلتين حتى أخبرك بأن المنزل آمن، ويمكنك حينها أن تسكني فيه.

تضايقت حنين من حديث الضابط وأنها لن تستطيع أن تبتي ليلتها فيه، وظلت تفكر أين تذهب؟ هل تختار أي فندق قريب أم ماذا تفعل؟ وبعد تفكير وجدت الحل الأمثل في هذا الموقف وسوف يكون عاملًا مساعدًا جدًا كي تركز وتصب اهتمامها بشكل أفضل، وهو أن تهاتف رشيد وتخبره بما حدث في المنزل وأنها لم تجد من تلجأ له إلا منزل هالة فهل يقبل بها ضيفة، وقد رحب رشيد بقرارها جدًا وأخبرها أن تعد حقيبتها وعندما تنتهي سوف تجد السيارة في انتظارها كي تقلها إلى المنزل، ورغم أسلوب رشيد الودود والطيب معها إلا أنها لم تستطع أن تتقبله.

أنهت حنين إعداد حقائبها وخرجت لتجد سيارة رشيد تنتظرها كي تقلها، وبالفعل وصلت للمجمع ودخلت هذه المرة بسهولة من البوابة ووصلت للمنزل وكان في استقبالها رشيد مرحبًا وقال لها بوجهًا بشوش:

- نجيبة أعدت لك الغرفة بالطابق العلوي وهي الغرفة الخاصة بهالة وهذا هو مفتاح الغرفة حتى تشعري بالخصوصية الكافية لك، وأنا سوف أبيت في منزلي الآخر الذي كنت أسكن فيه قبل الزواج، وسوف أمز بين الحين والآخر لو احتجت شيئًا، لكنني سأخبرك قبل مجيئي بكل تأكيد. سنتناول العشاء سويًا وبعدها أرحل وأتركك

تستريحين فاليوم كان شاقًا وطويلاً عليك بكل تأكيد.

- أشكرك جدًا على حسن ضيافتك ولا أنكر عليك أنا أرغب في أن أنام من الآن ولكني في نفس الوقت لم أتناول شيئًا منذ الصباح ففكرة العشاء ثم النوم هي فكرة مثالية لما أنا فيه.

ضحك الاثنان وأثناء ذلك نزلت نجيبة من أعلى على الدرج فأشار لها رشيد وقال مرحبًا:

- يمكنك أن تصعدي، ترين الغرفة وسوف تخبرك نجيبة عندما تعد الطعام وأنا في انتظارك بالأسفل.

صعدت حنين إلى غرفة هالة لكي تبيت فيها وأوصلتها نجيبة لها وسألتها عن نوع العصير الذي تفضله وأبلغتها بالبرتقال وتركها تستعد للعشاء وهي تكمل انبهارها بالمنزل وبالأخص بغرفة هالة، حتى جاءت نجيبة وأبلغتها أن العشاء مُعد، نزلت بعدها بلحظات ووجدت رشيد في انتظارها وبالفعل جلست وتناولت الطعام في هدوء برغم أن رشيد حاول أن يفتح معها أطراف الحديث لكنها لم تنجذب لحديثه، وما إن أنهى طعامه وبدأت حنين تتناول عصيرها فقال وبنبرة حزينة:

- سأطلب من الأستاذ رفاعي أن يقدم لي طلب زيارة لهالة هل ترغبين في إضافة اسمك معي؟

- بالطبع أرحب بذلك أرغب في زيارتها، عندما تتسلمه أخبرني.

أوما رشيد مؤكدًا واستأذنها وغادر، وبعدها أخبرت نجيبة أنها ستصعد كي تنام، ورغم غرابة هذا على طبيعتها إلا أنها تأقلمت على

الفراش ونامت سريعًا، لكن بعد منتصف الليل شعرت برنين هاتفها لاستلامه رسالة ومعه شعرت بصداع قوي يجتاح رأسها وجسمها به خمول كبير وما إن فتحت عينيها كانت الرؤية مشوشة لكنها لاحظت وجود شخص معها بالغرفة لم تستطع أن ترى ملامحه لكن بنيان جسده في الظلام يشبه رشيد قليلًا.

\*\*\*

## صديق

وصلت أخبار عن قاتل متسلسل مغربي يدعى (محمد المسفيوي) وقد قتل 36 سيدة وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه 1906 كانت بغرض السرقة ثم بدأ بقطع الرؤوس انتقامًا منهن، كان يعمل إسكافيًا وكان يستغل مهنته في اختيار ضحاياه، وكان يقوم بتخدير الضحايا بمساعدة شريكته بوضع المخدر في الطعام أو الشراب ثم يقوم بسرقتهم ويقوم هو في النهاية بقطع الرؤوس وإخفاء الجثث، وعندما تم القبض عليه بسبب تشابه الأقوال، تم العثور على جثة عشرين فتاة في بئر خاص بدكانه والست عشرة جثة الباقية تم العثور عليها في حديقته مدفونين، وطالبت الأهالي بمراكش بأشد العذاب له؛ فتم الحكم العرفي عليه بالصلب حتى الموت لكن تم تخفيف هذا الحكم بالشنق حتى الموت لكن قبل أن يصل لتنفيذ الحكم كان يتم تعذيبه أمام الأهالي كي يتشفوا منه فكان يجلد يوميًا ثم بدأوا بضربه بعصا مدببة بالمسامير كانت تنهش في لحمه أثناء ضربه ليتم في نهاية إلغاء حكم الشنق إلى أن يدفن حيًا، وما إن علم السيد كروس بهذه القصة وأيقن بحتمية تأسيس أخوية الهَيَصِر في أسرع وقت.

تم تأسيس أخوية الهَيَصِر في 6/6/1906 وكان هذا اختيارًا ذكيًا من السيد كروس أن يكون تاريخ التأسيس هو رقم ثلاثي 666 والذي يُعتبر في بعض الثقافات الغربية أنه رمز يشير إلى الشيطان، وبذلك أعطى للأخوية طابعًا دينيًا يفيد تبنيها لأسطورة (أوتيلوس) وبيع روحه للشيطان في مقابل الخلود للانتقام من النساء العاهرات،

حتى يثبت الغاية من الأخوية عبر الزمان ويقنع من يُختار للانضمام لها وكان الأعلى رتبة في الأخوية هو الأخ الأعظم وهو يملك روح (اوتيلوس) الذي ما زال حيًا بيننا لكنه يتجسد في جسد الأخ الأعظم لفترة من الزمان حتى يتوفى دون تدخل أي عضو من الأخوية في وفاته، وتنتقل روحه لكي تتجسد في الأخ الأعظم التالي، والأخوية هي من تختار أعضائها وليس العكس مهما كانت رغبة هذا الشخص في الانضمام لها، على أن يراعى في اختيارهم هوسهم بقتل النساء والانتقام منهم، وفي محفل التأسيس تم اختيار السيد كروس ليكون (الأخ الأعظم) وتم تعييني أنا لآكون (الأخ الأكبر) نائبه الأول وتم تعيين السيد نورث ليكون (الأخ الأصغر) نائبه الثاني، ومن بعده تم اختيار تسعة منحوا لقب الأخ الأول ثم الأخ الثاني حتى الأخ التاسع ليتكون مجلس أخوية الهَيِّصر من اثني عشر عضوًا هم المؤسسون لأخوية الهَيِّصر، ومن ضمن فقرات المحفل كانت هناك جسد لفتاة عاهرة تم تخديرها وقام السيد كروس بذبحها أمامنا وتناولنا نبيذًا مختلطًا بدمها.

وفي هذا المحفل تم تحديد كيفية تحقيق أهدافنا وأولها هو صناعة (الفطهر) والذي يراه المجتمع أنه قاتل للنساء، وثاني أهدافنا هو التمجيد به وبأفعاله، شخص مثل جاك السفاح نقول إنه كان له هدف سام هو التخلص من البغاء والموبقات التي تفسد المجتمع كي يطهره، وهذه سوف تكون وظيفة للمرتبة الأولى وهي أقل من المجلس يُلقبون بـ (الغريبان) يكونون لساننا وكأنهم أبالسة في زي البشر يناقشون المثقف بالأرقام والوضع الاقتصادي، ويخاطبون المتدين بالدين، ويداعبون قلوبَ مَنْ شعروا بظلم المجتمع على

القاتل، حتى تُرسخ الفكرة في عقول الرجال بشكل غير مباشر، إذا كنت شخصًا احترق قلبك من سيدة أو تشعر بالاستحقار لسيدة ما وترغب في قتلها، لن تتردد كثيرًا فسوف تجد مبررات كثيرة تمت مناقشتها أمامك وترسخت في عقلك دون أن تشعر، والأهم سوف تجد من يدافع عنك ويصدق على مبرراتك وأحيانًا يمنحك أعذارًا ومبررات لم تكن تتخيلها أو تفكر فيها.

ندعم ماديًا حملات نشر هذه الأخبار وهذه وظيفة المرتبة الثانية وهم (الخنازير) ويتم اختيارهم من أصحاب الصحف والمقاهي الثقافية، ثم تأتي أصحاب المرتبة الثالثة ويطلق عليهم (العالب)، وهم أشخاص يعملون في مهن ووظائف يمكنهم الاستماع الجيد للرجال وفي المقابل يمتلكون أسلوبًا ماهرًا في الإقناع، مثل النادل في المقاهي الليلية وحلاق الشعر وتاجر الأسلحة وبعض الأطباء، وكلما تطور المجتمع وتم خلق وظائف ومهن تقترب من هذا الوصف المرغوب يتم إضافتها لفريق العالب، ووظيفة هؤلاء العالب هي تحويل الشخص العادي الناقم على المرأة إلى مُطَهَّر من خلال سحر الكلام والتأثير بالأسلوب والتكرار، تدافع عنه الغربان عندما يقوم بالتطهير وتتبنى الخنازير نشر هذه الأخبار وإدارتها، كُتبت بنود التأسيس وشروط الاختيار والانضمام والوصف الوظيفي لأعضاء المجلس والمراتب الثلاث في هذا الكتاب بالتفصيل، وبعد ذلك تم الاجتماع كل فترة والأخرى لتفعيل العضوية وتحليل الأسماء المقترحة من العالب للانضمام للأخوية، ولقد وضعنا شرطًا؛ ألا يؤسس أكثر من مجلس واحد في كل دولة، وعند اكتمال الاثني عشر عضوًا يتم توزيع الباقي على المراتب الثلاث.

وفي عام 1914 قامت الحرب العالمية الأولى والأحوال لم تكن أفضل شيء بالمملكة، وأثرت على التجارة بشكل كبير، مما أثر على تجارتنا وتواصلنا مع المزارع في السودان، لذلك تفاجأت في بداية شهر سبتمبر عام 1915 بطلب السيد كروس عندما قال لي بحزن:

- لقد أصبحت لندن كئيبة وأنت تعرف أنني لا أطيق أن أشعر أنني حبيس قفص أو مكان ولقد نجحنا خلال السنوات السابقة في تأسيس الأخوية في خمس دول أوروبية وahan الوقت لكي ننتقل إلى القارة السمراء وسوف تكون بوابتنا لها هي مصر، استعد لكي ننتقل إلى مصر ومنها نستطيع أن ندير أعمالنا في السودان والمملكة، أنا لا أطيق أن ينتهي هذا العام بي وأنا على تلك القارة العجوز.

في غضون شهر كنا قد وصلنا إلى مصر ومن خلال علاقات السيد كروس مع المندوب السامي البريطاني السير (هنري مكماهون) والذي سهل علينا الكثير من حيث الحصول على أراضٍ ومزارع مواشٍ في مصر وكنا نقيم في منزل كبير في الفيوم كانت تعتبر مقر ضيافة له لكنه تنازل لنا عنها، كانت الأوضاع التجارية لنا جيدة وأفضل من وضعنا في المملكة، حتى انتهت الحرب العالمية الأولى ولم أشعر بأن السيد كروس سعيد بانتصار بلاده وحلفائها في الحرب بل كان يتجاهل الحديث عنها طيلة فترة الحرب، وأظن هذا سبب طلب رحيله إلى مصر، وأشك أن ذكرياته كقائد عسكري في الجيش لم تكن جيدة.

بعد الحرب بشهرين في يناير 1919 كانت وصلت لنا رسائل أن هناك عمليات سرقة متكررة من مزرعة المواشي بالسودان؛ وهذا

دفع السيد كروس أن يأمرني بالسفر إلى هناك ومع جواب توصية من السير هنري الذي لم يكن يفضل التعامل معي وكنت أشعر دائمًا باحتقاره لي لكن لولا المال وشراكتي بالسيد كروس ما كان يسمح بوجودي على القارة الأفريقية، سافرت بالفعل ووصلت لقريتي ومعني قوة من الجنود الإنجليز تحت أمري بناء على خطاب التوصية وأمرت بإخراج أهالي القرية وضربهم وسحلهم حتى يتم الاعتراف بالسارق وبعد ليلتين من التعذيب صرخ شابان ووقفوا معترضين وقال واحد منهما:

- لم أكن أصدق أن الطين الصالح يزرع غشبا شيطانياً إلا بعد أن رأيتك، لقد دنست هذه القرية مرتين عند ولادتك والآن عندما خطوتها بزئك الإنجليزي،

لا تستحق حتى لون بشرتك فهي لا تليق على هذا الزي، لي الشرف أن أسرق منك وأن...

غرست رصاصتي في رقبتة فلقد اكتفيت بما قاله، فلقد أثبت لي دون أن يشعر أنني لا أستحق أن أنتمي لقريته وهو لم يعلم أن هذا هو هدفي منذ أن كنت صغيراً فما قاله لم يضايقني بل بالعكس لقد وصف رغبتي، ولقد اكتفيت حتى لا يكرر أحد هذا الفعل، فأنا لن أسمح بذلك، وبالفعل ضربت طلقة ثانية في صدره كي يتوقف عن رعشة الموت، وقبل أن أسأل اعترف الشاب الثاني أنه كان شريكه في السرقة واعترف على زميلين له، ومكافأة له تركته يعيش لكن بلا ذراع كي لا يسرق مرة أخرى، وحرقت منازل اللصوص الأربعة ومن يومها اعتبروني الطاغية عميل الإنجليز وسافرت إلى مصر بعد أن

أنهيت عدة أمور تتلخص في الاستيلاء على مزرعتين بجوار بحيرة (الرميلة) وأصبحتا باسمي "صديق عوني"، ورغم الإنجازات الكثيرة التي حققتها في رحلتي التي دامت خمسة شهور تلك وحدثت فيها أحداث ثورة مارس 1919 في مصر، فلقد كنت قادمًا ومنتظرًا أن أقابل السيد كروس وأحكي له ما فعلته بكل فخر لكنني تفاجأت بأنهم يخبرونني بأن السيد كروس أصيب بالأنفلونزا الإسبانية وتدخله الشره للغليون جعل رثتيه في حالة متردية أن تدافع وتقاوم هذا المرض، وأن حالته أصبحت سيئة، ثرت عليهم كيف لم يخبرني أحد أو يرسل خطابًا يطلب قدومي على وجه السرعة فإن لم آت لمثل هذا الموقف متى سوف آتي، طلبت منهم أن أدخل وأطمئن عليه، لكنهم رفضوا فمن الممكن أن أصاب بالعدوى منه، وبعد إلحاحي الشديد وافق الطاقم الطبي المرافق له أن أدخل لمدة دقيقتين وارتديت ما طلبوا مني ارتدائه كي يكون عازلًا عنه وعني، دخلت وفوجئت أن حالته مزرية جدًا فلقد خسر الكثير من وزنه وأصبح نحيفًا جدًا، صدمت وارتعشت قدماي وأنا أتقدم منه، ما إن رأيته حتى رفع يده نحوي وطلب أن أقرب منه نفذت طلبه بخطوات واهنة، ابتسم وقال لي:

- عندما كنت في إحدى المعارك تم إصابتي وأجبروني على العودة للوطن وترك المعركة، وعندما عدت تفاجأت بأن حبيبتي صارت تعمل في البغاء فقتلتها ومثّلت بجثتها وكانت أول ضحية لي، لكنه بدأ ولم أستطع إيقافه، فهربت بشكل قانوني وغادرت البلاد وعندما عدت وجدت الناس يطلقون عليّ اسم: "جاك السفاح".

صدمت ولم أستطع أن أنطق من الدهشة لكنه أردف قائلاً بصوت

مريض ويقطعه السعال:

- يجب أن يعيش الهَيَّصر يا صَدِيق، انتقم لكل رجال العالم.

أومات برأسي مؤكِّدًا وعيناي تلمعان من الدموع، نظر لي وابتسم وهو يقول بلسان مرتعش:

- لم يكن لي صديق طيلة حياتي وعندما وجدته كان في قارة أخرى، كنت صديقي الأفضل والوحيد، شكرًا صَدِيق.

ابتسمت له بعين تلمع ثم انقضضت عليه بالوسادة ووضعتها على وجهه فقد قررت أن أكون أنا الرحيم الذي سيريح سيده من ألم المرض فكيف لشخص مثله أن يكون سبب موته مرض لعين يظهره بشكل متدنٍّ وضعيف وهو أرقى وأقوى من ذلك، وأن أكون أنا الفاعل فهو شرف كبير لي، لحظات وسقطت يده جانبًا وفارق الحياة في يوم 11 يونيو 1919، وأنا جلست بجانبه منهارًا أبكي غير مصدق أنه رحل.

\*\*\*

## هالة

تصلبت هالة مكانها لم تصدق ما تراه، كيف للشيخ فتحي أن يكون في غرفتها؟ كيف أن تراه من الأساس وهو متوفً منذ أكثر من عام؟ ركضت غاضبة وتجاهلت نداءات نوسا لها، ركضت بغضب حتى وصلت لباب منزلها طرقت الباب عدة طرقات بغضب حتى فتحت نجيبة، صرخت فيها حتى تفسح لها المجال، لمحت أن رشيد يجلس بالصالون، أشار لها لم تجبه، نادى عليها لكنها تجاهلت وأكملت صعودها لأعلى حتى وصلت إلى غرفتها تلهث من سرعة أنفاسها وما إن فتحت الباب حتى وجدتها فارغة لم يكن بها أحد، بحثت أسفل الفراش لم تجد شيئًا، بحثت في الحمام الملحق بالغرفة لكنها لم تجد شيئًا، وهنا دخل رشيد الغرفة وسألها مستغربًا وهو يراها تبحث خلف الباب:

- ما بك؟ عن ماذا تبحثين في الغرفة؟

أجابته وهي تلهث وبنبرة متوترة:

- كان هنا؟ لقد رأيته أنا متأكدة من ذلك.

ذهبت نحو النافذة التي كان يقف عندها ونظرت للطريق ثم قالت بنبرة مترددة:

- كان يقف هنا وينظر لي بنفس زيه الذي كان يرتديه يومها.

أمسك رشيد يدها وربت عليها وسألها بهدوء:

- اطمئني لم يدخل أحد المنزل والغرفة كما ترين ليس لها إلا

مدخل ومخرج واحد فأين ذهب؟

ثم اقترب من النافذة وأمسك الستارة وضغط عليها بشكل عشوائي وقال بثقة:

- من الممكن أن تخدعك هذه الأشياء وتجعلك تتخيلين أشياء مألوفة لك لكن في نفس الوقت من الصعب أن تكون في نفس المكان.

جاءت نجيبة وهي تحمل باقة الزهور المميزة التي كان يرسلها وأعطتها إلى رشيد وغادرت الغرفة، والتفت رشيد ومد يده بالباقة إلى هالة التي ابتسمت وشعرت بالخجل فقال لها وهو يبتسم:

- أنا لا أرغب سوى أن أرى هذه الابتسامة، وأنا أعلم كم أحببت هذه الزهرة لرحيقها ولن تنقطع عنك أبدًا حبيبتي، كل يوم ستكون بجانبك باقة جديدة تنتظر أن تستنشقي رحيقها مثل فراشة (مورفو الزرقاء).

أخذت هالة الباقة واستنشقت رحيقها ثم اقتربت وقبّلت رشيد الذي قال وهو يداعب خديها:

- أرى أن الجميل قد فقد الكثير من السعرات في صعود الدرج بهذه السرعة بالإضافة للسعرات التي فقدتها في التريض بالخارج، وأعتقد أن يلزمك أن تعويضه بكوب من العصير الطازج، أي عصير تفضليه؟  
- عصير برتقال سيكون جيدًا.

أشار نحو الحمام وقال لها مازحًا:

- ما إن تنتهي من حمامك سيكون العصير معدًا ملكتي الجميلة.

ابتسمت له بدلال ودخلت الحمام وإذ بها وهي تغتسل تحت الماء تلاحظ وكأن هناك أحدًا معها بالحمام لكن لا تراه بوضوح بسبب الستارة العازلة للماء والتي تجعل الصورة مشوشة، حاولت أن تكذب ما تراه فهي لم تسمع أن باب قد فُتح، وكيف سيفتح وهي قد أغلقته من الداخل بالمفتاح، بدأت تتنفس بصعوبة وهي تراقب هذا الكيان الواقف أمامها لا يتحرك، ففكرت في خداعه وبدأت في النداء على رشيد أو نجيبة لكن لم يجيبها أحد، ثبتت نظرها عليه ومدت يدها جانبًا وسحبت المنشفة الكبيرة ولفّتها حول جسدها، ثم انطلقت مسرعة نحو الباب وفتحته وأخذت المفتاح معها، ثم أغلقت الباب وهي تصرخ حتى جاء لها رشيد ونجيبة يلهتان أنفاسهما، وسألها بخوف:

- ماذا حدث؟

جلست على الأرض بجوار الفراش وأشارت نحو الحمام وأجابته بنبرة مرتعشة:

- هناك رجل حبسته في الحمام؟

ظهر على رشيد ملامح الغضب وذهب إلى خزانة ملابسه وأمسك بسلاح ناري كان يخبئه هناك وتحرك بخطوات غاضبة نحو الحمام، وفتح بابه بالمفتاح وهو يشهر سلاحه وما إن دخل حتى تفاجأ بأن الحمام خالٍ، فالتفت لها وقال بعقّة بعد أن تنهد:

- حبيبتي لا يوجد شيء هنا.

ضدّمت هالة ونهضت تتحسس خطواتها ودخلت الحَقّام ولم تجد أحدًا بحثت جيدًا فيه حتى إنها توترت وبدأت تفعل أفعالًا عصبية مثل جذب الستارة العازلة وقطعها وإلقاء المنظفات وزجاجات العطور والمرطبات في كل ركن، حتى إنها كسرت مرآة الحَقّام، واحتضنها رشيد كي تهدأ، حاولت أن تدفعه أو تهرب من قبضته لكنها انهارت في النهاية وفقدت الوعي، استيقظت متألّمة لتجد رجل واقفًا بجوارها على الفراش يخرج الحقنة من ذراعها وبجوارها على الجانب الآخر من الفراش كان رشيد قال وهو يربت على ذراعها:

- لا تقلقي، الطبيب فقط يعطيك حقنة مهدئة ليس أكثر، وأخبرني أنك بصحة جيدة، وعليك بالراحة والابتعاد عن الأشياء التي تُسبب لك الضغط العصبي، أليس كذلك أيها الطبيب؟

- نعم سيدي ما حدث سببه الإجهاد العصبي والتفكير الزائد وعليها بالراحة ليس أكثر وتناول الفيتامينات التي سوف أدونها لك الآن.

قالها الطبيب وهو يكتب الوصفة الطبية ثم أعطها إلى رشيد ونهض وانصرف وتبعه رشيد وبعدها بلحظات عاد ومعه كوب العصير مبتسمًا وقال بحماس:

- يكفي على الإعلامية هذا الدلال فأنا لا أفعل كل هذا هباءً.

استغربت هالة من حديثه فسألته مستفسرة:

- ماذا تقصد؟

- هل تتذكرين عندما وعدتك بأن لدي حلّين لمشكلة قصر عوني والهجوم الذي تلا هذه الحلقة عليك وأثر على شعبيتك، حينها أنا

عرضت عليك حلًا ونال استحسانك وكان فعالًا وأخبرتكَ حينها أن هذا فقط هو الحل الأول، ولم أخبرك ما هو الحل الثاني؟

اعتدلت في جلستها وسألته في فضول:

- نعم تذكرت، كنت خبيثًا حينها لم تخبرني، ها ما هو الحل الثاني؟

- أرسلت أحد خبراء الاستثمار إلى السيد سمير رئيس شركة هاردلي بأن يقنعه باستغلال حلقتك عن قصر عوني والتي خسفت بسعر الأرض، وإذا اشتراها يمكنه أن يبني مجمعًا استثماريًا صغيرًا يتميز بموقعه في وسط البلد وليس على أطراف البلاد، وسوف يكون العائد الاستثماري كبيرًا، اقتنع بالفكرة وتفاوض مع ملاك القصر واشتراه وبنى المجمع وكان طلبي أن يكون لحبيبتني أكبر قصر فيه، حتى يأتي تنفيذ الحل الثاني وهو إنتاج أكبر برنامج واقعي لك مع المشاهير والنجوم بداخل منزلك الذي شيد على أرض قصر عوني الذي نالك بسببه اتهامات بتزييفك حقيقة أسطورة هذا القصر المخيف وتعتبي من خلال البرنامج أنك تعيشين بسلام وأمان في منزلك دون الشعور بأي خوف، وأنا سوف أكون منتجك الخاص فلا تنسي أنني أخبرتك في أول مقابلة لنا أنني أصبحت شريك في القناة، وكان هذا أيضًا من أجلك حبيبتني.

قبلته هالة فرحا وسعادة وطلب منها أن تتناول العصير وتنام وترتاح وعندما تستيقظ سيكملان مناقشة هذا الموضوع، بالفعل شربت العصير ونامت، لكن كانت الكوابيس السبب في أن تستيقظ مفزوعة لتجد نفسها في منتصف الليل، كيف نامت كل هذه الفترة؟ تنظر بجانبها تجد رشيد نائمًا بجوارها، نهضت وذهبت للحمام

متخوفة لكنها تجرأت وفحصته جيدًا لم تجد شيئًا وعند عودتها  
للفراش لاحظت شيئًا غريبًا في النافذة الجانبية فعاتت لتجد أن  
السيد جعفر بغرفة نومه يلکم السيدة ثريا في وجهها وهي مقيدة  
في إحدى أقدام الفراش وعلى فمها لاصق عريض أسود، لحظات  
وتفاجأت أنه نظر لأعلى ولاحظ أنها تراقبه فاقترب من النافذة ونظر  
لها غاضبًا وأغلق الستارة.

\*\*\*

## طارق

بدأ طارق في دراسة التقرير المبدئي للطب الشرعي والبحث الجنائي، وبدأ بصفات سلاح الجريمة من خلال تحليل عمق الجرح وفتحة الدخول والنفاذ والذي أكد على أنه سلاح أبيض حاد جدًا متوسط الحجم، يمكن أن يكون خنجر أو السكين الكبير بأدوات المطبخ، ضربة قوية باليد اليمنى لقاتل متوسط الطول غُرست في آخر الربع الشمال غربي من الظهر، ومرت ما بين القلب والإبط، ونفذت من الجهة الأخرى وخرجت سريعًا، ومن قوة الضربة توضح أن القاتل ضربه ضربة واحدة قوية قاتلة ناتجة عن قوة عضلات ذراعه أو غضبه من الضحية بغرض الانتقام، وهذا لا يمكن أن يحدد إذا كان القاتل رجلًا أو أنثى، وما توصلوا له من معلومات تفيد بصمة هالة في غرفة المكتب وغرفة النوم، وبصمة خاطر في المكتب وبصمة نوسا في غرفة النوم، أثر الدم الجاف الذي وجدته أسفل إطار النافذة يعود لهالة وخاطر، وأثر قطرات البول في أرضية المكتب يعود إلى خاطر، والدماء على إصبع جعفر يده تعود له، وخدوش الباب على الباب الرئيسي لا تكفي لفتح رتاج الباب وكأنه عمل للتمويه بأنها عملية سرقة، والآثار الأخرى في باب غرفة نوم الضحية قديمة فلم يعثر على آثار حبات خشبية بالأرض مثل خدوش الباب الرئيسي لكنها ناتجة عن آثار محاولة اقتحام الغرفة من الخارج وقصاصات اللاصق الأسود بها آثار حمض نووي نسائي ليس لأيٍّ من السيدات المشتبهات بالمجمع؛ لذلك عليه معاودة التحقيق معهم ومع باقي المشتبهين، وبالفعل مرَّ يومان واستعد طارق لهذا اليوم الحافل وأشعل سيجارته وأخذ منها نفسًا ببطء،

وكان حليف الحظ الأول خاطر الذي دخل بكثير من الثقة وجلس أمامه، وطارق نظر له متفحصًا وقال له في جدية وأسلوب مباغت:

- لماذا قتلت السيد جعفر؟

استطاع طارق بهذا السؤال المفاجئ أن يكسر ثقته وظهر عليه التوتر والقلق وأجاب برهبة:

- لا يا باشا لست أنا أقسم الله لست أنا، أم لأنني حارس أمن فقير سوف يدوس عليّ من فعلها من الأغنياء كعادتهم ويلصقون بي هذه التهمة.

ضرب طارق سطح المكتب بيده وصاح فيه غاضبًا:

- هذه ليست ندوة عن الفرق الطبقي يا غبي، أنت متهم بجريمة قتل وتم اكتشاف عينة دم تعود لك هذا غير ما فعلته بصورة السيد جعفر في مكتبه، والدافع الانتقام منه بعد ضربك بالقلم وتهديده بفضح أمرك ويمكن أن تفصل من العمل بسببه، الأدلة ضدك يا خاطر ولا مفر.

- لا لا جريمة قتل لا، سوف أعترف لك سيدي بكل شيء، أنا بالفعل دخلت المكتب، لكني لم أقتله.

أشار له طارق أن يكمل، فأردف في خوف:

- نعم تضايقت مما فعله بي السيد جعفر وكنت أرغب في الانتقام لكن ما فعلته هو أنني انتظرت أيام سفره واقتحمت مكتبه ونزلت صورته وتبولت عليها انتقامًا ليس أكثر، أعلم أنه تصرف صبياني لكن هذا ما كان يرضيني حينها كي أشعر بالراحة والأخذ بالعار منه بعد

أن تطاوله بيده عليّ وتهديدي، وهذا حدث قبل الجريمة بما يقرب من شهر.

- وماذا عن أثر الدماء الذي تبين أنه يعود لك؟

رفع خاطر سوار يد قميصه اليمنى وكشف عن ساعده ولاحظ طارق وجود خدش طولي أشار خاطر بسبابته نحوه وقال بثقة:

- بعد مراقبتي للسيد جعفر أدركت أن نافذة مكتبه لا يغلقها بشكل جيد بعكس نوافذ غرف المنزل حتى في أيام سفره الأسبوعية وذلك لأنه كان يجلس فترة طويلة فيه وكان يحب أن يكون كاشفاً للخارج، ولذلك كان الاختيار الأنسب لدخول المنزل من خلال نافذة مكتبه، وللأسف كان إطار النافذة السفلى به جزء حاد جدًا ما إن استندت عليه حتى خدشني هذا الخدش سيدي، دخلت لم تراودني فكرة أفضل من أن أتبول على لوحته ثم أعيدها هكذا كي تنتشر رائحة البول في أكثر مكان يجلس فيه وثضايقه وتخنقه حتى أنعم بانتقامي منه هذا الحقيير.

نقر طارق بأصابع يده على سطح مكتبه وسأله بجدية:

- وماذا عن شهادة رضا زميلك الذي أبلغ أنك تركت مناوبتك ساعة ونصف وعدت، وتصادف أنهم في وقت تنفيذ الجريمة والغريب عندما تمت مراجعة كاميرات المراقبة أنت لم تظهر في التسجيلات، أين ذهبت هذه الفترة، اختفيت مرّة واحدة ثم عدت مرّة ثانية هل لديك تفسير لذلك؟

ظهر على خاطر الغضب وقال بنبرة حادة:

- أولاً رضا هذا لا تأخذ بحديثه لأنه يكرهني ويحقد عليّ ويغار مني، فحاول أن يزج بي في هذه التهمة كي يتخلص مني ليس أكثر.  
- ولماذا يفعل ذلك؟

أشار خاطر لدبلة يده وأجابه:

- بسبب نجيبة لأنه حاول أن يتقدم لها لكنها رفضته وقبلت بي أنا ولهذا قال ما قاله عني.

- وإذا افترضت أنه يتجنى عليك بحديثه ما تفسيرك عن غيابك لمدة ساعة ونصف عن تسجيلات المراقبة؟  
ظهر عليه الحنق والغضب وأجابه:

- هذا اللئيم يعلم ما يفعله جيداً، أنا من الحين والآخر عندما يضيق بي الحال أهرب من مراقبة الكاميرات إلى مكان لا ترصده الكاميرات وأدخن سيجارة ملفوفة وأجري مع خطيبتى محادثة هاتفية وأظن أن يومها طالت المكالمة بيننا ليس أكثر، يمكنك مراجعة مكالمات هاتفي والتسجيلات لثلاثة أيام سابقة أو أسبوع سوف تجد أن هذا الفعل شيء مكرّر وأفعله على فترات لكن رضا أراد الإيقاع بي فقال ما قاله عني.

ضغط طارق على زر بمكتبه لكي يستدعي حارس مكتبه الذي دخل سريعاً فطلب منه طارق:

- خذ خاطر إلى الحجز الآن وأدخل السيدة نوسا حالاً.

- تمام سعادتك.

أخذ خاطر المصدوم وخرج ولحظات ودخلت نوسا مرتبكة ومتوترة فأشار لها أن تجلس، واستغل توترها هذا حتى يضغط عليها أكثر وبدأ في إشعال سيجارة أخرى وما إن انتهى حتى قال:

- للأسف لا أستطيع أن أنكر أن موقفك في هذه القضية سيئ جدًا فلا أعرف كيف ستتعاملين معه، لقد تم اكتشاف بصمة لك بداخل غرفة النوم وهذا بالتأكيد وضعك تحت دائرة الاتهام بجريمة قتل السيد جعفر

انهارت باكية وقالت بلسان مرتجف:

- لقد أخبرتك من قبل سبب وجود هذه البصمة، أنا لا أستطيع أن أقتل ذبابة كيف لي أن أقتل بشريًا مهما كان بغيًا.

- أولًا قصتك أنت الراوية الوحيدة فيها لا يوجد طرف آخر كي يكذب أو يصدق قصتك وهل هي حقيقة أم من خيالك، هذا بالإضافة إلى إثبات قصتك في محضر رسمي سوف تواجهين فيها مبرر من اثنين أن يكون سبب وجود بصمتك في غرفة النوم لأنك سارقة حسب قصتك أو خائنة لزوجك والاثنتان يُوجهانا إلى طريق واحد؛ هو قتل السيد جعفر لأن لديك الدافع القوي لذلك بسبب تهديده لك بفضح أمرك بما لديه من مقاطع فيديو، ألم أقل لك إن موقفك سيئ جدًا في القضية؟

انهارت أكثر وازدادت في البكاء حتى قال طارق بنبرة حادة:

- البكاء لن يصلح شيئًا إذا كان لديك دليل يخرجك من هذه التهمة يمكنك تقديمه.

رفعت رأسها ونظرت له بعين دامعة وتمالكت أعصابها، ثم قالت  
مستفسرة:

- هل يمكن أن أعرف متى حدثت الجريمة بالضبط؟

- ما بين الواحدة والثانية بعد منتصف الليل.

شردت مفكرة ثم ابتسمت وكأنها تذكرت شيئًا وقالت مستأذنة:

- هل يمكنني أن أريك شيئًا على هاتفك؟

أوما طارق برأسه موافقًا، أخرجت هاتفها وهي تمسح عينيها من  
الدموع، فتحت تطبيق التيك توك ثم رفعتة أمام طارق قائلة بعقّة:

- عندما اكتشفت سيادتك محاولتي لتخدير زوجي كي أهرب دون  
أن يشعر بي، هذه لم تكن المرة الأولى التي أفعل فيها ذلك، فأنا لدي  
حساب على التيك توك أجنبي منه بعض المال، من خلال بث مباشر  
مع أناس مختلفين، وبسبب عدم إعجاب عصام بهذا التطبيق فكان  
رافضًا أن أحمله على جهازه ولذلك كان يجهل بأمر حسابي، ولكي  
أقوم بعمل البث المباشر بحرية كان يجب تخديره، وكما ترى أنه في  
تاريخ الجريمة وفي نفس التوقيت وقبل وبعده بنصف ساعة كنت  
في أكثر من بث مباشر بداخل منزلي.

## الفصل الرابع عشر

### حنين

حاولت حنين أن تجمع قواها وشتات تركيزها حتى تدرك حقيقة ما تراه هل هذه تخيلات أم واقع أم أضغاث أحلام، لكن غلبها النعاس والنوم، وفي الصباح استيقظت مفزوعة تبحث حولها عن شيء غريب لكنها لم تعثر على شيء؛ الغرفة كما هي مغلقة من الداخل بالمفتاح فأيقنت أنها كانت خيالات كاذبة بسبب الإرهاق ليس أكثر، غسلت وجهها وأمسكت هاتفها لتجد أن كريم أرسل لها ليلاً عدة رسائل وكانت هي سبب رنين الرسائل الذي أيقظها ليلاً، وعندما فتحت الرسائل وجدت أنها روابط لمقاطع فيديو مختلفة بالإضافة لمنشورات على المواقع التواصل الاجتماعي تخص قصر صديق عوني باشا والخرافات والأساطير حوله، وحلقة هالة أختها الشهيرة وما حدث لها من انتقادات وهجوم من أهالي المنطقة المؤمنين بأسطورة القصر والخرافات حوله وضولاً لفريق الشباب الذي قضى ليلته في القصر متحدي الأهالي وتجربتهم الغريبة، وأخبار عن وفاة الشيخ فتحي بسبب ما قاله عن القصر وأكذوبة أسطوره وقد أصابته لعنة القصر وتوفى، والكثير من الأهالي يتمنون أن تنال هالة مثلها اللعنة، بالأخص لأنها كانت السبب وراء أن تعلم شركة هاردلي للمقاولات عن القصر وتخسف به الأرض، زاعمين أن الأرواح الشريرة ستسكن بيوتهم بحثاً عن مسكن جديد لهم وحاولوا منع الشركة لكنها أكملت عملها بقوة القانون، ولذلك شيدت الشركة سوراً عازلاً كبيراً حول المجمع مراقب بالكاميرات أربع وعشرين ساعة كي

تضمن فصل سكان المجمع الجديد وتّعزلهم عن الأهالي الغاضبين ومن خلال صور المجمع الجديد أدركت حنين أنه نفس المجمع الذي تسكن الآن وباتت فيه ليلتها، نهضت ووقفت تنظر للنافذة والتي تكشف المجمع بالكامل أسفلها واستوعبت أنه يشبه في تصميمه مبني (الكولوسيوم) الشهير في إيطاليا.

سمعت طرقًا على الباب ففتحت لتجد نجيبة تسألها هل تعد لها الإفطار فوافقت، واستعدت ونزلت لكي تتناوله وبالفعل أنهت فطورها لتجد رقمًا غريبًا يرسل لها رسائل على هاتفها وفتحت لتعرف أن الرسائل من هيلين، وقد أرسلت روابط مختلفة عن موضوع حلقة هالة عن قصر عوني لكن كانت الاضافة في رسائلها هي الرسائل الصوتية من هالة لهيلين في عامها الأول من الزواج قبل أن تقطع الاتصال بها، وكان محورها أن بدأت تشعر بأنها غير متزنة مثل السابق والتفكير مشوش وتركيزها أصبح ضعيفًا لكن كان الأصعب عليها أنها بدأت تتخيل وجود أشخاص غير موجودين، صعدت وأحضرت ملف القضية وجلست أرضًا وفتحت ملف القضية وبدأت في دراسته وتدوين ملاحظات في ورقة جانبية ورأت أقوال الشهود والمشتبهين منهم ودلائل البراءة التي استخدمها المشتبهون للخروج من دائرة الشك والأدلة وأنواعها، ولماذا رأى الضابط المختص بالقضية أن هالة هي القاتلة دون عن غيرها، وظل الشك لديها ما الذي يجعل هالة تقتحم المنزل على حد قول الضحية أو تزوره على حد قول رشيد وأين الدافع لكي تفعل ذلك؟ هذا غير رسالة هالة لها أن هناك من سيقتلها، وهذا طبيعي أن يأتي من الضحية إذا علمت هالة شيئًا كانت من المفترض ألا تعرفه، نهضت

ونظرت للمنزل من النافذة وتأملته لأكثر من ساعة ثم نزلت وسألتها نجيبة عن الغداء فأخبرتها أن تعده بعد نص ساعة وأنها سوف تسير بداخل المجمع تتفقده، وبالفعل فعلت ذلك ودارت داخل المجمع ثلاث مرات ثم عادت للمنزل وصعدت الدرج سريعًا ونجيبة تنادي عليها وتخبرها أن الغداء ساخن وجاهز فأجابتها أن تعده وهي سوف تنزل سريعًا، صعدت وأخذت ورقة ورسمت منزل الضحية من منظور أفقي ورأسي.

وأخرجت جميع الأغراض التي وصلت لها من بداية رحلتها في هذه القضية بداية بنسخة من رسالة إلكترونية وصولًا إلى الترقيم بداخل مجلة الكواكب وحاولت أن ترى أي رابط بينهم، مرت عدة مرات عليهم وتصفح المجلة وركزت في الصفحات التي بها الترقيم المحدد بدائرة وقرأت الأخبار والمقالات المتوفرة فيه، حتى لاحظت شيئًا غريبًا كان غلاف المجلة عبارة عن صورة لحسين فهمي وميرفت أمين لكن لاحظت في الجزء الخاص بشعر حسين فهمي شيئًا يشبه حروفًا منفصلة غائرة وضعت أصابعها وتحسست بأناملها وكأن هناك من استند على المجلة وكتب هذه الحروف على ورقة فوقها فحفر القلم الحروف على الغلاف دون أن يظهر حبر القلم، لتظهر وكأنها حروف خفية.



غلاف مجلة الكواكب - العدد 1445 - صدر 10 أبريل عام 1979

طوت الغلاف ونظرت من الجهة الأخرى لاحظت حروفاً بارزة لكنها معكوسة، حاولت أن تعرف الحروف باستخدام الضي والظل على غلاف لكن فشلت بسبب أنها كتبت في جزء داكن اللون، حتى جاءت بفكرة فيها مخاطرة وهي أن تضع ورقة بيضاء بداخل المجلة وأسفل الغلاف مباشرة وبينهما ورقة الكربون الطابع وبالقلم على الغلاف تخطو عليها مرّة أخرى لكن لو مرت عليهم بالخطأ سوف تفسدها وبالتالي ستطبع الحروف على الورقة، لكن لم تتوافر معها

ورقة الكربون الطابع، لذلك ستستخدم القلم الرصاص من بعد أن تمر الحروف وتصبح غائرة على الورقة البيضاء تمر بسن القلم الجانبي للقلم الرصاص وتلون برفق فوق الحروف، فتظهر الحروف بدرجة أعمق لأنها غائرة، بالرغم من أنها فكرة قديمة لكنها نجحت وكانت الحروف بالترتيب (أ،ل،ز،أ،ن،ي،ة) وكانت أقرب كلمة من استخدام نفس الترتيب هو كلمة (الزانية) ويظهر لغز جديد من ألغاز هالة، لكن لم تيأس حين لأنها تدرك أنها بوصولها لهذه الألغاز فهذا يعني أنها تتحرك في الطريق الصحيح، وعلامات الاستفهام التي تطال الجميع وآخرهم كريم الذي يراقبها، والغريب الذي اقتحم منزلها وغادر دون أن يسرق شيئًا، أسئلة كثيرة تدور من حولها وهي على ثقة أنها سوف تصل لحلها أكيد، وفي الليل هاتفها رشيد وأخبرها أنه استطاع أن يخرج طلب زيارة لهما لزيارة هالة في صباح اليوم التالي وعليها أن تنام جيدًا لأنهم سيذهبون باكراً وأخبرها أن نجيبة لا تبتي في المنزل في عطلة الأسبوع وسوف تغادر وتعود بعد نهاية العطلة الأسبوعية، وبذلك فهي ستبيت ليلتها وحيدة وإذا رغبت في شيء يمكنها أن تهاتفه وهو سوف يلبي طلبها، شكرته وأعدت نجيبة لها العشاء وغادرت، ولذلك لاحظت حين أنها يجب أن تعجل في خططها فهي لن تجد أفضل من هذه الليلة لتنفيذها، وبالفعل ظلت في غرفة النوم تراقب سكان المجمع وحراس البوابة حتى تأكدت من أن الحركة هادئة في المجمع وقررت أن تعرف ما الذي دفع هالة أختها أن تدخل منزل الضحية وتنزف دمًا بالداخل لأنها صدقت أكثر رواية؛ أن هالة اقتحمت المنزل؛ لأن ذكر في التحقيقات أن أثر الدماء العائدة لهالة وُجد أسفل إطار نافذة المكتب وهذا يتنافى مع رواية

رشيد الساذجة، فهي على ثقة أن الفضول الإعلامي هو ما دفع هالة لتدخل منزل ضحية وتفتش عن شيء ما، ولذلك قامت بدراسة المنزل ودارت حوله عدة مرات اليوم ووصلت لخطه كي تتسلل لمنزله.

وبالفعل خرجت من الباب المطبخ وتحركت ببطء وحرص نحو منزل جعفر وتسالت من الباب الخلفي للمنزل ومن خلال قطعة معدنية فتحت نافذة المطبخ ودخلت منه بالداخل، تحسست خطواتها ووصلت إلى غرفة المكتب وبدأت تتفحصها أولاً لأنها مسرح الجريمة، وبدأت تتخيل الجريمة من اقتحام القاتل وفتح الباب المنزل بآلة حادة وتحركه نحو المكتب ووجد الضحية فطعنها من الخلف وغادر سريعاً وأثناء وجودها بالمكتب بدأت تتفحصه جزءاً جزءاً وبالأخص الأدراج المفتوحة ومحتوياتها المنثورة حتى وصلت إلى رفوف المكتبة ولاحظت وجود رواية وكتب مختلفة اللغات، لكن كانت المفاجأة عندما لاحظت وجود رواية (الزانية) للكاتب باولو كويلو بنسخة إنجليزية والنسخة العربية منها، أمسكت كتاباً منهما وفتحته لتجد بداخله نصاً ورقياً لكتاب آخر وكان الغلاف مجرد أسلوب خداع ليس أكثر، والصفحات الداخلية لكتاب بعنوان (الهيصر | لعنة النساء على الأرض) بقلم صديق عوني، وتذكرت أنه الاسم الذي همست لها به هالة في زيارتها وأن مؤلف الكتاب هو صاحب القصر الملعون، أمسكت النسخة الأخرى من الكتاب لتجده نفس سابقه بداخله نص ورقى لكتاب مختلف وكان بعنوان (مذكرات ثعلب) بقلم جعفر فهمي، وهنا ربطت اختيار هالة صورة حسين فهمي كي تكتب عليها اسم الرواية باسم والد الضحية لكنها لم

تستطع أن تصل لهذا الربط لأنه معقد بعض الشيء، أخذت النسختين معها وخرجت من المنزل بنفس طريقة دخولها وهي متأكدة أنها لم تترك أي بصمة لها أو أثراً، عادت للمنزل وصعدت غرفة النوم وخبأت الكتابين بين طيات ملابسها في خزانة الملابس وقبل أن تغلق دُرف الخزانة سمعت صوت حركة بالأسفل، أمسكت بمزهريّة زجاجية ونزلت لكي تتحقق لكنها تفاجأت بمن باغتها من الخلف وقبض بذراعه عليها فلم تستطع الإفلات منه.

\*\*\*

## صديق

كانت حادثة كبيرة لي زلزال ضرب ثبات شخصيتي، لقد فقدت من هو أكبر وأعلى من أبي وأمي وعائلتي أجمع، كان الأب الروحي لي والأخ الأعظم فعلاً والمُعلّم الأول والأخير، أسطورة لن تتكرر في الذكاء والعقلية والشخصية الصلبة، شخص تهابه دون أن يتفوه بكلمة، ولقد وضع على كاهلي إرثاً ثقيلاً وغالياً جداً يجب أن أحافظ عليه وأضحى بحياتي في مقابل استمراريته، حاولت أن أقدم طلب في نقل جثمانه إلى إنجلترا حتى يدفن هناك، لكن كان وباء الأنفلونزا الإسبانية قد تفشى وأصبح مثل الطوفان الذي يأخذ أرواح البشر بالمئات والآلاف في الليلة الواحدة، وكان الحل الأمثل حينها هو حرق الجثة، انصعت مجبراً لهذه القرارات وتم حرق الجثة ولكني طلبت الاحتفاظ برماد رفاته وحفظته في إناء رخامي بالمنزل، وطلب مني السفر بصفة عاجلة إلى لندن وذلك لحضور مراسم ترقيتي من الأخ الأكبر وتنصيبني إلى الأخ الأعظم خلقاً للسيد كروس، ورغم رفض أعضاء المجلس غير المُعلن بسبب أصولي العربية الأفريقية ولون بشرتي إلا أن الأخ الأكبر السيد نورث قد أخذ هذا التمرد المفتعل من طرفه بالتأكيد وتحت قيادته المتسترة، وتفاوض معي على أن هذه القرارات سوف تفيد أخوية الهَيَصر وتثبت أقدامها وهي أن اقبل بتقليل بعض صلاحياتي وتنقل له كأخ أكبر على أن تعود بعد وفاتي للأخ الأعظم التالي لي، لأن منصب الأخ الأعظم مستمر حتى وفاة صاحبه ولا يمكن عزله أو تنحيه عن هذا المنصب ولأن السيد كروس فرض عليهم من البداية أن اكون الأخ الأكبر بدلاً من السيد نورث الذي جعله الأخ الأصغر فأصبحوا

مجبرين على ترقيتي ولهذا افتعلوا هذا التمرد التافه، لم يكن يعلموا هؤلاء الاغبياء أن نجاحي وسعادتي ليس في أكون زعيمًا على هذا التنظيم السري بل نجاحي هو استمراريته وانتشاره على نطاق عالمي، قرارك أن تصارع الأغبياء هي خسارة مؤكدة لك حتى لو فزت بالمعركة.

أثناء رحلتي في لندن قررت أن أتزوج كي أنجب لي وريثًا، وتزوجت من سيدة إنجليزية من عائلة مرموقة يانجلترا لم يفرق معها الأصل أو العرق أو لون البشرة الأهم هو المال، وكان اختيارًا جيدًا، فلقد كانت حساباتي في إنجلترا ثبتت لأي شخص مقامي في المجتمع الإنجليزي، وكان يكفي الفوائد التي تخرج من هذه الحسابات كي تعيش الزوجة حياة لا تقل عن الحياة التي عاشتها في بيت أبيها، لا يفرق معي أن أذكر اسمها أو اسم عائلتها ليس خوفًا عليهم لكن استحقاقًا لهم فلقد كانوا حشرات تعيش على مص دماء البشر، وذكرهم هنا شرف لا يستحقونه، المهم بعد عام من زواجي أنجبت ولدًا اشترطت عليها أن تربيته جيدًا ويدخل عندما يكبر المدارس الداخلية حتى يكون إنجليزيًا حد النخاع، وتركتها وعدت إلى مصر لمتابعة أعمالتي وتفاجأت في يوم وصولي بضابط إنجليزي ذي رتبة رفيعة يطلب أن آتي معه لمقابلة السير هنري مكماهون، فعلمت أن حمايتي في مصر التي أخذتها ببركة السيد كروس قد أوشكت صلاحيتها على الانتهاء، فأنا على علم أنه لا يرتاح لي ويبغضني لكنه كان يتعامل معي بسبب وجود السيد كروس. لم أسبق الأحداث وذهبت معه ووصلت مقر إقامته وقادني حراسه المتكبرون إلى مكتبه، لأجده يقف بجوار ركن المشروبات الكحولية

ويمسك بكوب صغير ممتلئ نصفه ووقف ومد يده مصافحًا دون أن يتقدم خطوة واحدة نحوي فعلمت أن يريد أن يرضي غروره وأن أذهب أنا وأسلم عليه، فعلت ذلك وقلت مُرحبًا:

- شرف عظيم أن تكون سيادتك أول شخص في مقام رفيع أقابله منذ وصولي.

ابتسم ابتسامة زائفة وقال بنبرة هادئة:

- مقام رفيع؟ أنا أعلى مقام هنا عزيزي صديق.

- بالطبع أنت الأعلى والأرفع، هذا شيء ليس فيه جدال.

حمدت ربي أن السيد كروس لم يكن واقفًا وأنا أتملقه لكان أفرغ بندقيته في فمي، تحرك أمامي وهو يتحدث:

- ما فعلته في رحلتك الأخيرة لقريتك بالسودان أثار بلبلة وصخبًا لم تكن في حاجة لهما هناك، وعندما رغبت في مقابلتك حدثت وفاة السيد كروس العزيز ثم انشغلت بمراسم دفنه وفي النهاية سافرت لندن وعدت أخيرًا الآن بعد ما يقرب من عامين ونصف.

- لقد انتظرت كثيرًا، أعذر على ذلك لكن صدقني إذا علمت بذلك سلفًا كنت سافرت من أجلك.

ابتسم وجلس على مقعد وأشار لي أن أجلس على الأريكة بجواره، وقال بنبرة ساخرة:

- لا، الأمر كان يلتزم عودتك فقط للتوقيع ليس أكثر؟

- التوقيع على ماذا؟

مد يده على سطح المكتب بجواره وسحب ملفًا ورقيًا وأعطاه لي  
وقال بنبرة حادة:

- التوقيع على بيع مزارع التي تملكها بالسودان لي أنا.

صدمت وأمسكت الورق وفحصته لتأكد من حديعه لأجده جادًا  
في قوله، فسألته مستفسرًا:

- ولماذا أبيعها سيدي؟

أومأ برأسه وأشار بإصبعه محذرًا وقال بنبرة هادئة:

- لقد أخبرني السيد كروس أنك رجل ذكي فلا تهنه بقولك هذا،  
ما فعلته في قريرتك أشعل فتيل الغضب بين الأهالي وأنت تمثلنا  
الآن ونحن من بعد الحرب العالمية نرغب في سيطرة أكثر على  
مستعمراتنا والتركيز على أعدائنا ولا نرغب في أن نشغل بالنا  
بحركات تمرد أو ثورات تافهة، وإبعادك عن المشهد سوف يوفر لنا  
هذا، ولذلك بدلًا من أن تذهب المزارع لشخصًا غريب على الأقل  
تذهب لصديق لك، ألسنت تعتبرني صديقًا لك؟

أجبتة سريعًا:

- بكل تأكيد شرف كبير لي صداقتك، واثق أن إدارتك للمزارع  
ستكون أفضل مني، لكن اسمح لي بطلب صغير.

رفع حاجبه وكأنه تفاجأ بطلبي دون الموافقة المباشرة فقلت  
بهدهوء:

- طلبي لا يخص السعر المذكور في العقد لأنه أقل من نصف قيمة

المزارع، بالعكس هذا أقل شيء يمكن أن أقدمه لك وأقدمه لإنجلترا  
اعتذارًا على ما بدرَ مني في قريتي، لكن طلبي أن إنتاج المزارع  
يُصدّر إلى شركتي فقط في مصر ولندن، وبهذا سأريح سيادتكم من  
عناء المعاملة مع أكثر من تاجر وشركة، فما هو رأيك سيدي السير؟

أوما رأسه موافقًا ووقّعت على بيع المزارع لاكسب معركة ثانية  
مع الأغبياء، فأنا ليس لي رغبة في العودة من الأساس إلى السودان  
ويكفي أن أكسب من خير مزارعها دون إرهاق إدارتها، وفي نفس  
الوقت استطعت أن أمد صلاحية حمايتي في مصر بمدة أطول،  
ولقد تعلمت من هذا الدرس أنني لا أستثمر في مشروع أكثر من عشر  
سنوات وبإلربح الناتج من هذا الاستثمار يوضع في مشروع آخر في  
مكان آخر مع الاحتفاظ بالأصول النقدية في بنوك عدة على أكثر  
من دولة، وهذا لا يجعلني عبدًا لنظام اقتصادي معين، سوف أصل  
بمشاريعي إلى الهند وأمريكا، ولا يجب أن يزيد الدخل بمعدل كبير  
لكن يكفي أن يزيد بمعدل شبه ثابت، ومن أجل إثبات استقرارتي في  
مصر كان يجب أن يكون لي منزلًا خاصًا، وكان شرطي أن يكون على  
أطراف القاهرة بعيدًا عن المدينة لا أرغب أن أكون سهل الزيارة أو  
الوصول، وبالفعل تم تشييد قصر عظيم على الطراز اليوناني القديم  
بحديقة كبيرة وواسعة، ولقد وفيت بوعدتي ونشرت زفات رماد السيد  
كروس تحت أكبر شجرة بحديقة المنزل تخليدًا لذكراه.

وبدأت أستعيد نشاطي مرّة أخرى من خلال زيارتي لبيوت الدعارة  
التي كانت مرخصة في تلك الفترة وجمع معلومات عنها، ثم الانتقال  
لاختيار فتاة معينة منهن ومراقبتها، حتى تحين الفرصة بمقابلتها  
على الطريق والعرض عليها لكي تقضي معي الليلة بمبلغ مغرٍ، وبكل

تأكيد تقبل هذا العرض المغربي، وما إن أصل بها للمنزل تهابه في البداية ولكني كنت أمنحها نصف المبلغ في البداية مما يمنحها الشجاعة لكي تكمل معي الطريق، وبداخل المنزل أبدأ بتخديرها ثم أنقلها إلى القبو الذي أعدّ خصيصًا لإفراغ شهوتي الدموية، وعلى نهج سيدي ومعلمي كروس أبدأ في ذبحها ثم تشوية وجهها وأعضائها حتى تكون لوحة فنية بديعة تشفي غليل انتقامي.

\*\*\*

## هالة

حاولت هالة أن تتجاهل ما رآته لكن الأمر كان صعبًا عليها، وهذا ما جعل نومها صعب وازداد الأرق وكانت صورة السيدة ثريا وهي تُضرب ولاحظت وجودها بالأعلى تشاهدها من نافذتها، ونظرتها وكأنها تتوسل لها أن تساعدتها وترحمها مما يحدث فيها، الأمر الذي جعل السيد جعفر يلاحظ أنها تنظر لشيء ما فرفع نظره لأعلى ولاحظ أن هالة تراقبه من نافذتها، وهذا ما دفعه لأن ينظر لها غاضبًا ويغلق الستارة حتى يحجب عنها الرؤية ويكمل ما يفعله دون تلصص منها، ظلت هكذا حتى الصباح، وعندما استيقظ رشيد استغرب حالها، سألها فأجابته بما شاهدته، وكان رده عليها بهدوء:

- التدخل في شؤون الآخرين هو فضول تخسرين أحيانًا أمامه كرامتك.

ثم أردف مازحًا:

- وبالأخص مع شخص مثل جعفر هذا سوف تتركين كرامتك بالخارج قبل أن تتدخلي في شؤونه، وبالتأكيد أنا لا أسمح أن يمسه شيء بسوء لهذا أنصحك أن تبترعي عنه ولا تشغلي بالك به أو بأفعاله.

- نعم معك كل الحق أنه شخص بذيء، سوف أحاول أن أمنع نفسي من التعاطف معها.

أوما رشيد برأسه راضيًا ثم قبلها ونهض من الفراش ودخل الحمام وجلست هالة تفكر هل سوف تلتزم بما قالت له رشيد أم سوف ينتصر

عليها فضولها ولذلك قررت أن تغلق ستائر النوافذ التي تطل على منزل جعفر وثرىا حتى لا يجذبها شيء أو تلتفت له من الأساس، لحظات وخرج رشيد من الحمام وأشار لها أنه ينتظرها بالأسفل كي يتناولوا الفطور مع بعض، وبالفعل تحركت هي واستعدت ونزلت وهي بالأسفل سمعت صوتًا ذكوريًا غريبًا قادمًا من المطبخ لم تستطع أن تفهم ما يقوله، لكنها توجهت إلى المطبخ وقبل أن تصل للمطبخ توقف الصوت حتى أكملت سيرها ودخلت المطبخ لتجد نجيبة تقف بمفردها بالمطبخ فسألته مستغربة:

- هل كنتِ تتحدثين مع أحد الآن؟

- لا سيدتي.

نظرت لها وتفحصتها وجدتها لا ترتدي سماعة أذن لا يوجد هاتف بجوارها فتشعر هالة بالإحراج وتشير لها أن تكمل ما كانت تفعله، أومأت نجيبة طاعةً لها وخرجت لتبحث عن رشيد لتجده جالسًا إلى رأس الطاولة وبجانبه مقعدها ومعد أمامه فطورها، وما إن وصلت نهض رشيد وقبلها ثم أزاح المقعد لكي تجلس مكانها وهو يشير للنافذة الكبيرة الكاشفة على حمام السباحة الخلفي وروعة المنظر وقال مغازلاً:

- لم أجد أروع من هذا المنظر كي تفطري عليه، وطلبت من نجيبة أن تُعِدَّ لك عصيرك الخاص، وبجوارك باقة زهورك الخاصة، لا أحتاج كل هذا سوى أن تظل ابتسامتك تنير وجهك.

- كيف لي أن أرد على هذا؟ ستكون دائمًا أنت سر سعادتي وابتسامتي.

أمسكت هالة باقة الزهور واستنشقتها باستمتاع وبدأ رشيد يتناول فطوره، وبدأ يطعمها وتطعمه حتى أشار لها بسبابته وقال بحماس:

- أتذكرين الحل الثاني الذي أخبرتك به؟

- بالطبع وهل أنا مجنونة حتى أنساه؟!

يشير لها أن تنتظر ثم يردف:

- اليوم سوف تقابلين المخرج الكبير محمد شامي للاتفاق على آلية البرنامج وكيفية تصويره في هذا المنزل وكل هذه الاتفاقيات.

تنظر له هالة غير مصدقة، وتسأله بدهشة:

- هل وافق كي يكون مخرج برنامجي؟

- بالتأكيد واقترح علي اسمًا مبدئيًا له (هالة هوم) اسم عام يمكنك من خلاله اختيار أي موضوع، الفكرة في الأساس مناقشتك للضيف المختار لأي حدث مناسب لعرضه، انتظري سأحدث معه الآن حتى تتأكدي.

أمسك رشيد هاتفه ليقوم بالاتصال وهالة تتابعه بشغف لكن خطف نظرها في النافذة أمامها ظهور شخص يشبه الشيخ فتحي يقف بعيدًا بعد حمام السباحة، ما إن رآته حتى اتسعت عيناها صدمة ونهضت مفزوعة وقد دفعت مقعدها للخلف ليسقط أرضًا مما دفع رشيد أن يغلق المكالمة وينهض ويسألها ماذا وهو يشير للمقعد الواقع خلفها لأن وزنها اختل وكادت أن تقع عليه لكن مد رشيد

ذراعه واستطاع أن يمسك بها ثم رفعها وهو يسألها ما الذي حدث لتفعل ذلك فأعتدلت وأشارت نحو النافذة لتجد أن الشيخ فتحي اختفى، صدمت واتسعت عيناها صدمة، ولم تستطع أن تقول شيئاً سوى بنبرة مرتعشة:

- لقد كان يقف هنا وينظر لي، أنا متأكدة من ذلك.

- من هو؟

أمسكت العصير بيد مرتعشة وشربت منه ثم وضعت به بغضب على الطاولة وأمسكت رأسها وفركت أصابعها بين شعرها وفي النهاية عدلت المقعد وقالت والدموع تلمع في عينيها:

- لا أعرف، أصبح الخيال واقعياً بشكل ومخيف، أرى شخصاً قد مات من أكثر من سنة.

- لا تجعلني عقلك يقتنع بوجود هذه الأشياء فخروجها منه لن تتحملي نتائجها، أرى أنه يجب أن تتابعي حالتك مع طبيب مختص، لقد تكررت بشكل يجعلني أقلق ويجب أن تُنصي لي هذه المرة ونتحرك ونذهب إلى الطبيب.

أشارت له معترضة:

- وموعد المخرج لا يمكن تأجيله.

- بل يمكن، صحتك النفسية أغلى وأفضل عندي من الكون كله ولا يأتي شيء ينافسه، انهضي عزيزتي واستعدي كي نذهب فوراً كي نطمئن عليك.

نظرت له في حزن وهي بين أمرين أن تطيع أمر حبيبها الذي يفعل كل هذا لها أو أن تميت أنها ترى بالفعل أشباح أشخاص ماتوا، وبعد لحظات من التفكير اختارت أن تطيع أمر حبيبها، وصعدت الدرج إلى غرفتها غيرت ملابسها واستعدت ونزلت لتبحث عنه لكنها شعرت بالدوار وكادت أن تسقط، حاولت أن تنادي على رشيد لكن شعرت وكأن حلقها جاف لا يتحرك، استندت على الجدار حولها وفكرت أن تذهب إلى نجيبة في المطبخ كي تساعدنا فأغلب الأوقات تقضيها هناك، تحركت بخطوات تتأرجح يمينًا ويسارًا، وفي النهاية استطاعت أن تصل إلى المطبخ لكن لم تجد نجيبة فيه، وفي تلك اللحظة سمعت صوتًا ذكوريًا غريبًا يشبه الذي سمعته من قبل لكن المصدر هذه المرة قادم من الصالة، حاولت أن تنادي على رشيد مرة ثانية لم يسعفها حلقها المتحجر، وقبل أن تخرج للصالة أخذت سكينًا كي تحمي نفسها، وبالفعل أمسكت السكين وخرجت بخطواتها المتأرجحة أرجلها تتخبط في بعضها، وكانت المفاجأة عندما رأت أمامها الشيخ فتحي يقف في منتصف الصالة بابتسامته، تصلبت مكانها حاولت أن تصرخ هذه المرة خرج ما يقرب من الأنين المكتوم، بدأ يقترب منها وهي ترفع السكين أمامها مُشيرة له كي يبتعد لكن يقترب بهدوء وببطء وبدأت عيناه تنظران لها بغضب فدفعها الخوف لكي تنقهقر خوفًا وتعود للخلف في اتجاه المطبخ مرة أخرى، لكنه ما زال يقترب أكثر وأكثر حتى وصلت للمطبخ وخبط ظهرها في وحدة التخزين، ما إن اقترب منها ووصل أمامها شعرت أن اتزانها يختل فضربت بالسكين في الهواء كي تبعده وجلست مكانها على الأرض، ولاحظت وهي تنظر للأرض أن قطرات من الدماء بدأت تسقط عليها،

في هذه اللحظة سمعت صوت ضرب باب جانبي فنظرت نحوه  
ووجدت نجيبة قادمة من باب المطبخ تحمل أغراض البقالة، وما إن  
رأتها حتى صرخت متفاجئة، رفعت هالة نظرها لأعلى لتجد رشيد  
يقف ممسكاً كَفَّ يده بقبضة اليد الأخرى محاولاً إيقاف النزيف الذي  
انفجر منه، ما إن رأت هالة هذا حتى فقدت الوعي مكانها.

\*\*\*

## طارق

أمسك طارق هاتفها وتفحصه عدة دقائق، ثم أخبرها بهدوء:

- ستتركين هاتفك هنا حتى يتم فحصه وعليه سئحتجزين لحين عرضك على النيابة.

انهارت باكية ورن طارق الجرس ليدخل الحارس ويشير له قائلاً بجدية:

- خذ السيدة نوسا إلى الحجز وأدخل لي ويليام من الخارج.

نقذ الحارس ما طلب منه وبعد لحظات دخل ويليام تعتلي وجهه الدهشة وقال متسائلاً:

- أنا أريد أن أعلم لماذا تم استدعائي بهذه الطريقة المهيينة؟

- لسبب بسيط؛ أنك متهم بجريمة قتل، هل يكفي هذا لك؟

نظر إلى طارق مستغرباً وسأله متشككاً وهو يشير إلى نفسه:

- أنا متهم بجريمة قتل؟ ولماذا أفعل ذلك؟

أشعل طارق سيجارته العالمة وقال بهدوء:

- أنت متهم؟ نعم، لماذا؟ ليس لدي سوى انتقاماً من أسلوبه المستفز والخاص بكلاب زوجتك إيفون، إلا لو كانت لديك دوافع أخرى.

- كما قلت سيادتك هذه كلاب إيفون، أنا لا أكن له أيّ عداوة، أنا حتى علاقتي بالكلاب من الأساس مجبر عليها بسبب زوجتي

وتحكمها.

ابتسم طارق وأخذ نفسًا من سيجارته وأخرجه بهدوء ثم فاجأه بضرب سطح مكتبه عند سؤاله:

- لقد وجدنا آثار دماء عند باب الضحية تعود لك، هل تنكر أنها لك؟  
ردّ عليه ويليام سريعًا بنبرة مرتعشة:

- لا.. لا أنكر.

تفاجأ طارق من سرعة ردّة، فسأله بأسلوب أهدأ:

- جيد، حاولت الضحية الدفاع عن نفسها فجرحت في ساعد يدك،  
أليس هذا ما حدث؟

أشار طارق في حديثه نحو ساعد ويليام متذكرًا عندما لاحظته المرة السابقة أثناء التحقيق في منزله، رفع ويليام ذراعه بشيء من الثقة وكشف عن ساعده ليظهر على يده جرح عرضي ثلاثي ثم نظر إلى طارق وأجابه بجدية:

- ما فعل ذلك هو الكلب (عنتر)، لقد استيقظت في منتصف اللي  
ظمان، وما إن ذهبت للمطبخ حتى اقتحمت عقلي أفكار كثيرة عن  
تناول أشياء لا يمكن أن تؤكل ليلاً وعندما حاولت إعداد أحدهما  
سمعت أحد الكلاب ينبح، فخرجت مسرعًا غاضبًا أن يكون نباحه  
السبب في جلب مشاكل لنا، والجيران متفضلون ومتحملون  
همجيتهم حتى الآن، لم يشتك منهم سوى السيد جعفر ولذلك...

- أرى أنك تحاول أن تضيع وقتي بهذا الحديث الممل وهذا شيء لا

أفضله بالمرة.

أوما ويليام برأسه نافيا وأردف:

- أنا أحاول أن أخبرك بالحقيقة من بدايتها، أعطني فرصة أكمل.

- تفضل، لكن تأكد أنها فرصة واحدة وأخيرة.

أوما ويليام برأسه متفهماً وأكمل:

- أدركت أن الكلب يرغب في أن أخذه وأسير به قليلاً حتى يتبول، وبالفعل أخذته وتبول في مكانه المعتاد بالشجرة الأخيرة خلف حمام السباحة وفي طريق عودتي وما إن مررنا بمنزل السيد جعفر حتى تفاجأت بالكلب يسحبني بقوة ويرغب في الدخول إلى هناك وكان هذا شيئاً غريباً فعلاً، حاولت أن أجذبه لكنه عاند معي واستطاع أن يفلت من قبضتي ودخل ركضاً إلى داخل المنزل مما دفعني للركض خلفه ووصل عند باب المنزل الداخلي وبدأ في شم عتبة الباب ذهاباً وإياباً، وأنا لم أركز فيما يفعل أكثر من التفكير في احتمالية خروج السيد جعفر ورؤية الكلب أمام عتبة منزله، ولذلك كان عليّ حمل الكلب غصباً وإخراجه من المنزل وأثناء ذلك أصبت بتلك الخدوش، وعندما سألتني يوم التحقيق كان صعب أن أخبر ايفون بما حدث حتى لا تلومني بسبب إهمالي وأن السيد جعفر لو علم بذلك قد يؤذي الكلاب أو أودع في دائرة الاتهام وما إلى تلك الأمور، ليس أكثر من ذلك.

نظر له طارق في محاولة للاقتناع بحديثه وسأله في جدية:

- أتمنى أن تتذكر كم بالضبط حدث ذلك كما تذكرت كل هذه

- نعم أتذكر، كانت الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل.  
أوما طارق برأسه راضيًا وقال وهو يضرب الجرس لحارس غرفته:  
- جيد سوف يتم فحص هذا الجرح وأتمنى أن تظل بتلك الذاكرة  
أمام التحقيق في النيابة.

نظر طارق للحارس وقال وهو يشير نحو ويليام:  
- خذه للحجز وأدخل السيدة هايدي من الخارج.  
نظر ويليام إلى طارق بحنق وغادر الغرفة، وبعدها بلحظات دخلت  
هايدي متوترة ويظهر عليها القلق تتحسس خطواتها حتى جلست  
أمام طارق الذي قال مازحًا:

- هل تعلمين أن الضحية اعترف لنا بسر قبل وفاته بعنوان؟  
أومات برأس مهتز بجهلها فابتسم طارق وأخرج من الملف الذي  
أمامه الصورة التي اتخذت من مسرح الجريمة وكانت صورة حرف  
(H) الذي كتبها الضحية بنفسه قبل أن يموت، فاقتربت بوجهها لكي  
تتفحص الصورة وأنصتت إلى طارق الذي أجابها بهدوء:

- الضحية كما كان بغيضًا في معاملته معكم لم يقبل أن يموت  
قبل أن يكون بغيضًا مع قاتله وكتب أول حرف من اسمه يا أستاذة  
هايدي.

تباطأ طارق متعمدًا في نطق حروف اسم هايدي حتى يثبت لها  
وجهة نظره ثم أردف:

- حاولي أن تردي عليه وتكوني بغیضة مثله وتحرقی له هذا اللغز الدموي وتعترفي بأنك القاتلة ودافعك قد عرفته من زوجك مصطفى وكم يبلغ مقدار غضبك منه كي تتخلصي منه، وعودتك المفاجأة للمنزل يوم الجريمة ومغادرتك المفاجئة فجراً بشهادة زوجك ورضا أمن البوابة وتسجيلات المراقبة.

نهضت هايدي مفزوعة من مكانها وأجابته:

- أنا قاتلة؟! لا لا يا سيدي بالتأكيد هناك خطأ ما، نعم أبغض جعفر هذا وألعه في الأرض والسماء ولكني لم أقتله ولا أستطيع أن أقتل أي كائن حي من الأساس أو أرى الدماء أمام عيني فأنا مريضة بالهيموفوبيا (رهاب الدم) فكيف أطعن شخصاً حتى ينزف أمامي عيني، تخيل هذا الآن يكفي ليفقدني الوعي.

نظر لها طارق بجانب عينيهِ وسألها بهدوء مستفسراً:

- ومن أخبرك أن الضحية قد ظعن؟ ما قيل للإعلام أنه قُتل فقط دون ذكر سبب الوفاة.

نظرت له هايدي بعين ملؤها الخوف وقالت بنبرة متوترة:

- عندما حدثت الجلبة في المجمع وعلمت أن جعفر هذا قد قُتل ارتحت نفسيًا جدًا وظللت أراقب المنزل حتى خرج المسعفون بجثته وتحاملت على نفسي كي أنظر له ورأيت أن الملاءة التي تغطيه ملوثة بالدماء في وسط الجسد، وكانت إشارة واضحة أنه لم يمت مخنوقاً أو مُسمّماً أو بحقنة قاتلة، كان منظرًا صعباً سبب لي الإغماء في الحال.

- إذا كان لديك سبب مقنع يبرئك فعليك قوله لأن هذه فرصتك الأخيرة قبل أن يتم تحويلك إلى النيابة، إذا لم يكن لديك فعليك بالصمت أفضل من هذه الترهات.

لمعت عيناها بالدموع وبدأت تهتز من تأثير التوتر المفرط عليها، وقالت وهي تتلعثم:

- لقد خرجت من المجمع مرتين بعد منتصف الليل.

نظر لها وابتسم ابتسامة جانبية ساخرة وقال بكثير من العنقا؟

- كيف ذلك فقد راجعت تسجيلات كاميرات المراقبة وسيارتك خرجت مرة واحدة فقط فجراً.

أومأت برأسها رافضة ونظرت إلى طارق وقالت بعنقا أكر:

- لا معلوماتك خاطئة حضرة الضابط لقد خرجت بسيارتي وساعدني رضا أمن البوابة في حذف خروجي وعودتي بالسيارة من التسجيلات.

## الفصل الخامس عشر

### حنين

ظلت حنين تحاول أن تفلت من قبضة من يقيدها بذراعه وباليدين الأخرى كتم أنفاسها حتى لا تصرخ، حتى سمعت صوته يهمس لها في أذنها قائلاً بصوت خافت:

- سوف أتركك بشرط ألا تصرخي، متفقين؟

أومأت حنين برأسها موافقة، بهدوء وببطء أراح قبضته وبعدت عنه حنين خطوة والتفت لتنظر له لتجده كريم فصدمت ونظرت له مستغربة وقالت بأسلوب حاد:

- هل أنت مجنون كي تقتحم المنزل وتتهجم علي بهذه الطريقة؟

- نعم مجنون ومازلت مجنوناً، مجنوناً بأختك هالة.

أشار لها نحو الأريكة بجوارها وقال بنبرة أكثر وداً:

- أرجو منك أن تجلسي حتى لا أفعل شيئاً تندمين عليه.

نظرت له حنين بغضب وجلست وهو جلس أمامها وقال مسترسلاً:

- لا أعرف هل ستصدقيني أم لا لكن هذه هي الحقيقة بدون تزييف، من أول يوم رأيت هالة وأنا أشعر بانجذاب نحوها حتى أيقنت أنها نصفي الآخر الذي أبحث عنه، وكان العمل معها مثل الهواء الذي أتنفسه، حتى بدأت لعنة قصر صديق تحاصرنا أولها الهجوم الشعبي عليها حتى أضاعت مستقبل هالة الإعلامي، وتبعها موت الشيخ فتحي، ثم ظهور رشيد في حياتها وكأنه ساحر استطاع أن

يخدعها بسهولة وتنساق لأوامره.

ظهر عليه الغضب واشتد غيظه عندما أردف:

- حاولت أن أثنيها عن الاقتراب منه حتى غاب فترة تزيد عن عام وعاد وهو مؤثر عليها بشكل أقوى، وكنت قد وصلت لمرحلة أن أتخلص منه، وبالفعل حاولت يوم الحفل الرسمي لافتتاح المجمع، لكن ما إن رأيت ابتسامة هالة حتى غادرت في حينها.

رسم بوجهه ابتسامة وحنين لاحظت من النافذة التي خلفه خيال أشخاص تتحرك والتي لم يلاحظها وأردف بنبرة حزينة:

- وابتعدت تمامًا، وبعد عامين ونصف اتصلت واحتاجت لي وعلمت أخيرًا أنني أقرب شخص لها؛ لكي تطلب مني أمر نظام المراقبة ولا أنكر أنني ساعدتها بحب وحماس لأنني شعرت أنها كشفت الحقيقة وتستطيع الآن أن ترحل من حياته العرية التافهة وحبه الزائف لها، لكنها اختفت مرة أخرى بشكل مفاجئ لكي تظهر بعدها متهمة بقضية قتل، جن جنوني وأنا أحاول أن أصدق هذه الفكرة لكن لم أستطع حاولت أن أساعدها لكن لم أجد لها أي مدخل حتى ظهرت أنت.

نظر إلى حنين بعين متسعة غاضبة وهي تفكر كيف تفلت منه وتطلب النجدة من الأشخاص الذين يتحركون بالخارج، حاولت ألا يلاحظهم فنظرت في عينيه عندما أردف:

- وشعرت أنه من الممكن أن تجعليني معك في فريقك، كمساعدك على الأقل حتى نتشارك معًا في مساعدة من تستحق ذلك، ولكنني

رأيت منك التجاهل التام لي وتأخذين ما ترغبين فيه مئى فقط.

ولاحظت أنك صورة أفضل من هالة، هادئة أكثر ومرحة وذكية فأنجذبت لك، وحاولت أن أشاركك ما تقومين به من بحث حتى أقرب منك أكثر وتلاحظي مشاعري التي أكنها لك، والتي جعلتني أراقبك في كل خطوة تخطيها حتى أكون أقرب شخص لك في أي وقت تحتاجين فيه للمساعدة، وحينها ستعترفين بحبك لي أنت الأخرى.

نهض ودنا منها بوجه يملؤه الحنق والغضب وأشار بسبابته وهو يردف بنبرة حادة:

- وفي النهاية أصبحت الشرطة تبحث عني وتراقب منزلي، بسبب رفضك أن تعطيني الاهتمام والتقدير الكافي لي ولمشاعري النقية، رأيت فيك ما رأيته من أختك هالة البرود والتجاهل والرفض، والحقيقة أنك أنت أو أختك لا تستحقان شخصاً مثلي.

قالها بصوت عالٍ وحاد بالقرب من وجه حنين التي قلصت ملامحها تحاول أن تبتعد عنه لكنه نكز كتفها بسبابته وهو يقول بنبرة هادئة لكنها حادة:

- إذا رفضتني أختك وهربت بفعاليتها فلن تهربي أنت مئى هذه المرة، فيجب أن تنالي جزاءك.

أخرج سكيناً من جيبه وحاول أن يطعنها لكن حنين قفزت من المقعد وفلتت منه، ركضت وهي تصرخ طالبة النجدة والمساعدة وركض خلفها كريم، يدوران حول طاولة الطعام فألقت عليه

المزهريّة التي على الطاولة وضربت أعلى رأسه، اختل توازنه قليلاً وركضت وهي تصرخ وذهبت إلى الباب وفتحه فدخل أفراد الأمن وأمسكوا به، وجلست حنين مكانها تحاول أن تتمالك أعصابها، حتى جاءت الشرطة وأخذته، وأخذوا منها بعض المعلومات وجاء رشيد بعد أن علم من أفراد الأمن أن الأمر بدأ عندما لاحظوا حركة غريبة وقريبة من منزله ومنزل جعفر مما جعلهم يتحركون ويطوقون المكان حتى سمعوا صراخ حنين واستطاعوا إنقاذها، فتركهم وذهب كي يطمئن على حنين قائلاً لها بقلق:

- أعلم أنك لست بأفضل حال، هل ترغبين في حضور الطبيب لك كي نطمئن؟

- لا شكراً أنا حقاً أرغب في الراحة والنوم ليس أكثر أو أقل.

أشار لها بكفي يديه موافقاً وقائلاً في تفهم:

- بالطبع يجب أن تنالي قسطاً من الراحة، وإذا رغبت في أن أذهب بمفردي غداً لهالة فلا عتاب عليك.

- لا بالطبع سوف آتي على موعدنا غداً.

غادر رشيد وأغلقت حنين المنزل جيداً وصعدت إلى غرفتها وهي تفكر في أن تبقي ليلتها في فندق أفضل وتغادر في هذا الوقت من أجل خمس ساعات، وبعدها سوف تذهب إلى زيارة هالة، دخلت غرفتها وأغلقت بابها جيداً، لم تكن ليلتها مريحة كما كان نومها لكنها استيقظت في الموعد المحدد واستعدت ووصل رشيد بسيارته أمام باب المنزل، وأرسل لها رسالة بذلك، لم تتأخر عليه وكانت أمام

السيارة بعد عدة دقائق قليلة، وما إن ركبت رُحِب بها وقال لها بنبرة هادئة:

- أود أن أعتذر عما حدث بالأمس ولقد تم معاقبة أفراد الأمن برغم أن تم زيادة عددهم بعد الحادث إلا أنهم أخطأوا هذا الخطأ الجسيم.  
- لا بالعكس، لقد فعلوا ما يستطيعون فعله.

تحركت السيارة واتجهت إلى مقر المصحة النفسية ودخل رشيد وحنين في غرفة الزيارة ينتظران قدوم هالة، لحظات من الانتظار لم تطل كثيرًا حتى دخلت الحارسة وفي يدها هالة في نفس حالتها المزرية السابقة، تقدم نحوها رشيد بلهفة واضحة وحضنها وقبّل يدها وجبينها وأمسك ذراعها لكي تستند عليه وكانت هالة لا تعطي أي رد أو مشاعر واضحة، جسد صناعي لدمية لا تنبض بالحياة، كانت حنين تقف بجانبها لم تكن في مرمى بصرها الثابت، مما دفع رشيد ليقول لها بود:

- اقتربي يا حنين، سلمي على أختك هالة.

ما إن سمعت هالة اسم حنين اتسعت عيناها واشأبت برأسها لأعلى بعد أن كانت تميل للأمام فالتفت ونظرت لها، وما إن رأتها حتى دفعت يد رشيد ورفعت ذراعها نحو حنين وتحركت بخطوات متصلبة جعلتها تترنح قليلًا لكن لم تنتظرها حنين بل اندفعت لها وحضنتها، وانهمرت بالبكاء ولم تستطع حنين أن تتمالك أعصابها وبكت هي الأخرى، كانت هالة تبكي وهي تبسم وكأنها لم تصدق أنها أمامها، طال الحزن بينهما مما دفع الحارسة لكي تفصلهما عن بعض، وسحبتهما لكي تجلس على مقعدها ورغم ذلك ظلت هالة

ممسكة بيد حنين تسحبها خلفها وكأنها تخاف أن تتركها مرّة ثانية، جلست حنين أمامها على الطاولة وجلس رشيد إلى جانبها الأيمن وحاول أن يحدثها لكنها تجاهلته وظلت تنظر إلى حنين حتى أشارت لها بيديها الاثنتين شكل الكاميرا، وفهمت حنين أنها ترغب مثل المرة السابقة أن تلتقط لها صورة، فمالت حنين بيديها وكأنها تمسك كاميرا وتصوّر بها هالة التي وضعت سبابة يديها اليمنى على خدها ومالت عليه وابتسمت ابتسامة مرتعشة ثم رفعت كفّ يدها اليسرى ببطء من أسفل الطاولة بإشارة كف مفرود أصابعه بجوار كتفها، ثم ضمت أصابعها وقبضتهم وجعلت سبابتها مثنية قليلاً، ما إن رأت هذا حنين وفهمت ما تشير له، حتى ابتسمت لها كي تطمئنّها، وعلمت أنها يجب أن تغادر فوراً.

\*\*\*

## صديق

في 20 نوفمبر 1924م تم اغتيال (لي ستاك) سردار الجيش المصري وحاكم السودان وكان لهذا الحادث أثر بليغ في وأد الحياة السياسية الوليدة بعد ثورة 1919 لكن كان الأثر الأكبر هو القرار بسحب الجيش المصري من السودان وخروج جميع المصريين منها، وأمام هذا زادت سيطرة القوات الإنجليزية على البلدين، وعلمت أن صفقة بيع المزارع في السودان لم تكن خاسرة أبدًا لأنني في مثل هذه الأوضاع الحرجة لم يكن سفري أو تجارتي بين البلدين بسهولة، هذا غير مضايقات وتضييق الخناق بشكل يومي على التجارة وحركة التجارة بين البلدين، وهذا دفعني لإكمال خطتي في التوسع والتنقل بين البلدان وقد أفادتني رئاستي لأخوية الهَيَصر في الوصول لعلاقات أكبر وأبعد عن الإنجليز، وصلت إلى الهند والصين ومن ناحية أخرى للاتحاد السوفيتي والولايات الأمريكية.

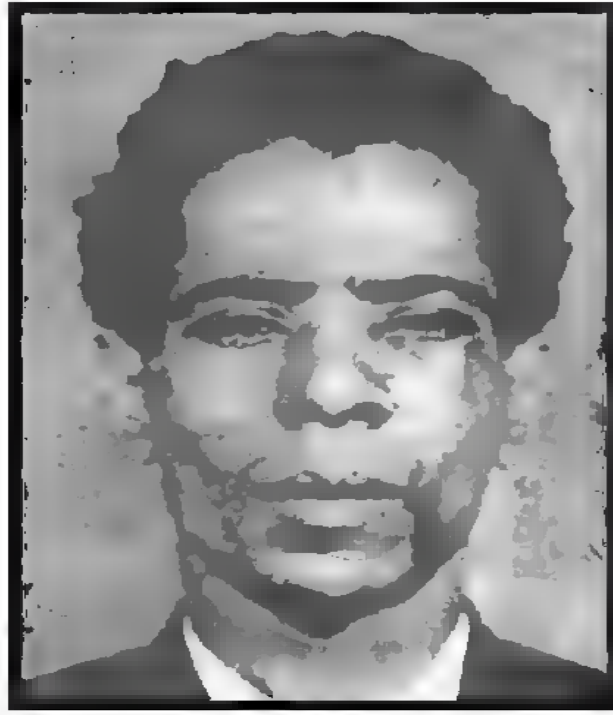
مرت السنين وأنا أتنقل بين بلاد العالم لكن استقرارني الأطول كان في مصر بقصري الجديد لأن أكون بالقرب من سيدي ومعلمي، وكنت كالعادة أفرغ شهوتي الدموية بقبو القصر من أجلي مرّة ومن أجله مرة، واستطعت أن أجند معي حارس منزلي وهو خادمي الوحيد، اقتنع بالإرهاب والتهديد في البداية حتى أصبح اقتناعًا تامًا، في أوائل الثلاثينيات، توفي الأخ الأكبر السيد نورث والذي كان يعتبر الأخ الأعظم بالنسبة لباقي المجلس منتظرين وفاتي كي ينصب هو بعدي بهذا المنصب لكن تشاء الأقدار ويطيل عمري أكثر ويأتي الجيل الثاني من الأعضاء حاملاً كره من سبقوه لي، لكن لوائح

وقوانين الأخوية تُكبل أياديهم عن التصرف الخاطئ ولذلك كنت حريصًا جدًا، ولا يعرف أحد تحركاتي القادمة أو برنامج سفري، قامت الحرب العالمية الثانية وقررت أن أستقر في مصر حتى تنتهي وكانت أكثر فترة إيجابية لي فلقد فزت بلقاء الملك فاروق عدة مرات واستطعت نيل شرف لقب "بيه" ثم "باشا" بسبب الهدايا الثمينة التي أهدتها لحاشيته وكانت من بقاع مختلفة من العالم، وهذا اللقب منحني صك الحماية والحصانة لأفعل ما يحلو لي بجرأة أكثر وبرغم أن عمري وصل إلى الستين عامًا إلا أنني كنت بصحة شاب في الثلاثين من عمره والفضل للفقر والعمل منذ الطفولة أسست جسدي لا يشيخ بسهولة، ولذلك استطعت في تلك الفترة تنفيذ التطهير وتفريغ شهوتي الدموية بأكثر من ثلاث وعشرين فتاة كانوا يعملون في الدعارة، وصلت لمرحلة إشباع كبيرة اضطررت بعدها للسفر إلى الولايات الأمريكية وتمييت أقدام أخوية الهَيَصر هناك كانت قارة كبيرة وتحتاج لمجهود أكبر.

ولكن بعد وصول الجيش للسلطة في مصر وتنحي الملك عن الحكم كان يجب أن أعود لمصر، فلقد أيقنت أن سقوط الملك لن يأتي بسلام بل سوف يسقط بعده الكثير من الرجال مثل الدومينو، ولذلك حاولت أن أسبق الأحداث وحفاظًا على القصر الذي به أغلى ما لدي وهي شجرة السيد كروس، ذهبت للمجلس العسكري وباركت لهم على انتصارهم وتنازلت عن قطعتي أرض زراعية ومزرعة مواش للدولة باعتبار أنني رجل سوداني شقيق جئت مصر كتاجر ثري ولم يستغل موارد البلاد من أجل فرض سلطتي على الأرض والفلاحين بها، وهذا كان كل ما لدي في مصر مقابل أن يتركوا

قصري وبالفعل أخذت موافقة عليه، وبعدها بشهور حدث ما كنت أظنه وبدأت حركة الإصلاح الزراعي ضد الإقطاعيين، وعلمت أنني فطن واستخدمت ذكائي بشكل مقبول، وخسارتي في أعين الآخرين هي مكسب كبير في عيني.

حتى جاء عام 1960 وظهر الأسطورة سفاح القرن العشرين أو كما تم تلقيبه بالسفاح المثقف وهو (محمود أمين سليمان) والذي اشتهر بذكائه الرهيب وتنكره المميز وهروبه المتكرر من السجن، وكان دور أخوية الهَيَصر هنا أن نستغل هدفه من جرائمه ونصنع له جيشًا يدافع عنه (الغربان) فلا يجب أن تتكرر مأساة (محمد المسفيوي) كما حذرنا السيد كروس من قبل في المحفل الأول، وبدأنا في نشر فكر أن محمود أمين هو رجل ذات نخوة وشرف وما يفعله هو انتقام من زوجته الخائنة ومحاميه النذل، كيف يتم الحكم على من ينتقم لشرفه بأنه سفاح، وقد دعمت هذا التيار بشكل قوي وكان له أثر قوي، حيث إذا ذكر اسم محمود أمين بين ثلاثة رجال فثق أن واحدًا منهم على الأقل سوف يدافع عنه، وهذا أعطى لدى قاعدة عريضة من الرجال مخزونًا من المبررات في عقلهم الباطن عن الرجل الذي يقتل زوجته من أجل الشرف، وكان يجب تطوير هذا الأسلوب ليس فقط بإعطاء مبرر للقاتل بل يجب صناعة جيش من المبررين الذي يتطور معهم التبرير إلى التبجيل والعشق والهوس بالقاتل وتم تعميم هذا القرار على جميع مراكز وفروع أخوية الهَيَصر في العالم وبالأخص في مناهج الغربان.



السفاح المصري محمود أمين سليمان

وفي مدينة ميونيخ بألمانيا الغربية عام 1970 كنت في محفل تابع لأخوية الهَيْصِر لتنصيب أخ أعظم على مجلس أخوية الهَيْصِر بألمانيا الغربية وهناك لاحظت وجود شاب تعود ملامحه للأصل العربي، وعندما أمرت بمعرفة هويته علمت أنه شاب عراقي يدعى (حاتم كاظم) تم تجنيده في الأخوية وتكليفه بإنشائها بالعراق بعد أن دمرت الأخوية القديمة والتي كان معظم أعضائها من اليهود وتم القبض عليهم بتهمة التجسس أو هربوا إلى إسرائيل واستطاع هذا الشاب أو كما أصبح لقبه (أبو طبر) أن يكون كابوساً لأهالي العراق وقد جند عائلته لتكوين تشكيل عصابي هدفه سرقة المنازل لكن الأهم هو قتل كل شخص يوجد بالمنزل وبالأخص النساء وبدأ أول عملياته عام 1973، تم القبض عليه عام 1974.



### السفاح العراقي حاتم كاظم (أبو طبر)

بدخول الجيل الثالث على مجلس أخوية الهَيَّصر زاد التعصب أكثر عندما دخل الطابع الديني على أعضاء الأخوية وكانوا يهودًا وشاع التعصب وفاحت رائحة العنصرية ضدي كيف لرجل مسلم أفريقي من أصل عربي يكون هو القائد والأخ الأعظم لهم، وفكرة انتظار موتي أصبحت مثل اللعنة عليهم فلقد وصل عمري لأربعة وتسعين عامًا وكان يجب التخلص مني بأي ثمن وبالأخص في آخر محفل حضرته منذ أربع سنوات والذي أعلنت فيه بكل جرأة وقوة أنني سأدُون مذكراتي في كتاب بعنوان (الهَيَّصر | لعنة النساء في الأرض) وهذا يعني توثيق وتخليد اسمي وذكرائي في تأسيس هذه الأخوية، وهذا أشعل الفتيل في عقولهم وزاد حنقهم أكثر لأنهم يرغبون في إعادة كتابة كل شيء بداية من مؤسسيها وهما السيد كروس والسيد نورث فقط ومحو أي شيء يذكر عني، حتى قرروا استباحة قتل الأخ الأعظم؛ إذا قرر المجلس ذلك بالإجماع وللأسف هذا ما

حدث، وأنا في انتظار تنفيذ قرارهم، ولكنهم لن يحصلوا على كتابي  
هذا ولن يمحوا تاريخي أبدًا، سوف أخفي هذا الكتاب في مكان لن  
يستطيعوا الوصول له، وسوف يظهر لمن يبحث عني وعن تاريخي  
ويرغب في أن يفضح أكاذيبهم، وفي النهاية لن يستطيعوا أن يمحوا  
أني الهَيِّصر.. أنا الهَيِّصر.

\*\*\*

## هالة

أفاقت هالة لتجد نفسها في غرفتها ورشيد جالس بجانبها شاردًا فنظرت إلى يده لتجدها مربوطة بشاش واربطة طبية فتذكرت ما فعلته ونهضت مفزوعة نحوه وقالت بخوف:

- كيف حال يدك؟

نظر لها بابتسامة وعين متسعة وقال في ود:

- أكيد بخير إذا كنتِ أنت بأفضل حال.

احتضنته وقالت في حزن:

- أقسم لك حبيبي لم أكن أقصدك من الأساس، فلقد رأيته مرّة أخرى وهجم عليّ وكنت أدافع عن نفسي وأحاول أن أبعده عني، لكنني تفاجأت بك أنت أمامي.

- عمّن تتكلمين؟ لم يكن هناك سوى أنا وأنتِ حبيبتي.

نظرت حولها متأملة المنزل وقالت في رعب:

- أظن أن السبب أنني أصبحت ملعونة، ما فعلته في هذا القصر يحاول النيل مني.

التفت رشيد نحوها وأمسك يدها بين كفي يده ورتب عليها وهو يقول في ود:

- حبيبتي الوضع الآن أصبح خطرًا، ليس عليّ فأنا فداك لكنه خطرٌ عليك، لا يمكن أن تظهر بهذه الصورة لأي أحد وبالأخص الوسط

الإعلامي، وإلا تجربة برنامجك الخاص سوف تفشل قبل أن تبدأ أرجو منك تقبّل ما سوف أطرحه عليك وتتمقي تمامًا في قراري الذي اتخذته مضطرًا لكنه نابع من حبي لك ليس أكثر، يجب أن تدخل مصحة علاجية تخرجين منها أفضل من الأول.

لمعت عيناها بالدموع فدنا منها أكثر وأردف وهو يربت على يديها:  
- ومالك هذه المصحة صديق مقرب لي سوف يركبك بشكل خاص، والأهم سوف يحافظ على سرية وجودك بالمصحة، سواء في فترة وجودك فيها أو لاحقًا، اسمك لن يُذكر بأي شكل أتعهد لك بذلك فأنت حبيبتي وثروتي ومهمتي أن أكون بجانبك في مثل هذا الموقف، لقد كنت أبلغ صديقي الطبيب بحالتك أولاً بأول وقد نصحتني أن الجلسات العلاجية حل حتى تصل المرحلة لإلحاق الأذى للنفس أو الغير فهنا يجب الإقامة في المصحة من أجل المتابعة الجيدة وضمان فاعلية العلاج، فما رأيك؟

أومات برأسها موافقة وأجابت وقد سقطت دمعة سريعة منها:  
- أرى أنه ليس أمامي اختيار إذا انتهى الأمر بما حدث لك، وأنا أثق بك حبيبي وسوف أتحمّل من أجلك لأنك تتحمّل من أجلي الكثير.  
احتضنا بعضهما وبعد ساعة كانا في طريقهما إلى المصحة، دخلت هالة وتركها رشيد أمام البوابة بوجه حزين ورغم ذلك يشير لها بأنها قوية وتستطيع، وبالفعل تبدأ رحلة هالة بالمصحة بمقابلة الطبيب المختص وهو المالك للمصحة وصديق رشيد كما أخبرها وبعد التعارف، ابتسم لها وقال بعقة:

- يقولون إن أفضل طرق العلاج هو الاعتراف بالمشكلة، لكن الأفضل والأصعب هو مواجهتها والانتصار عليها ولذلك نرحب بالمحاربين أمثالك الذين يقررون المواجهة بمحض إرادتهم.

بدأت هالة في قص القصة من بدايتها وكيف ظهرت الخيالات الغريبة معها واستمرت وتطورت بالشكل المخيف الذي وصلت له وبالأخص تخيل الشيخ فتحي الذي توفى بعد إذاعة الحلقة الشهيرة، وأنها تخيلت بأن كريم في حفل زفافها يصب نحوها مسدس بالإضافة لخيالات لأشخاص غريبة في أماكن غريبة في المنزل، تدرك جيدًا أن رشيد يحبها كثيرًا ويفعل الكثير من أجلها، لكنها لا تستطيع أن تسعده، في النهاية أيقنت أنها مصابة بلعنة المنزل مثل الشيخ فتحي لكنها ليست بالموت بل بالجنون فلقد كثرت التخيالات التي تراها عن السابق حتى إنها لا تستطيع أن تميز أيهما الواقع والخيال، ووصلت حد الانهيار أنها أصابت رشيد بسوء ظن منها أنه أحد الخيالات ورغم ذلك رشيد يتحملها، وعلى هذا الاعتراف دخلت هالة مرحلة التشخيص ثم العلاج والتي استمرت لمدة عامين، وفي النهاية عادت أخيرًا لمنزلها واحتفل رشيد بعودتها وكان شريطة خروجها هو استكمال العلاج بالمنزل والالتزام بالجرعات اليومية والأفضل أن تظل بالمنزل فترة تتراوح ما بين ثلاثة شهور إلى ستة أشهر ومن بعدها يمكنها العودة لحياتها الطبيعية وممارسة أعمالها بشكل اعتيادي.

خرجت هالة من تلك التجربة شخصًا أفضل وراجعت كل ما سبق معها، وحاولت أن تبحث عن إجابات منطقية لما كان يحدث معها وتراه، واستغلت الإقامة الجبرية التي فرضت عليها بالمنزل أن

تراقب الجميع دون أن تتحدث مع أحد، وكانت البداية مع جارتها جعفر وزوجته ثريا، اللذين لاحظت عليهما عدة أشياء أن ثريا ترضى بما يحدث فيها، إما أنها تعودت على هذه المعاملة القاسية أو أنها تجد فيها متعة ما، وكأنها علاقة ثنائية مكتملة زوج سادي وزوجة مازوخية، لكنها لا تعلم من سوف يصل للحظة الانفجار في هذه العلاقة هل من الزوج السادي فتموت زوجته إثر فعل شنيع منه؟ أو من الزوجة المازوخية في لحظة رفض الألم المستمر؟ ويسقط تاج المازوخية منها وتقتله، أما عن علاقة جعفر بباقي سكان وعمال المجمع والمشاكل التي يثيرها معهم، كقرد غبي على شجرة قرود يتشاجرون على قشرة موز، لا يصح بأي عاقل أن يتدخل بينهما، لكن كان الشيء المستفز لها والمثير لفضولها الإعلامي هو السر خلف السيد جعفر وجلوسه الدائم بمكتبه وقراءة رواية الزانية لباولو كويلو لكن لم يكن هذا الغريب في الأمر، الغريب أنه لا يقرأ أي كتاب غيره والأغرب أنه أحياناً يكتب فيه وكأنه مدونة بها صفحات فارغة وليست رواية مكتوبة بالكامل.

في تلك الفترة برغم التزامها بالعلاج إلى أنها تفاجأت بعودة الخيالات الغريبة، مما دفعها للاتصال بكريم زميلها وطلبت منه أن يركب نظام للمراقبة بالكاميرات بداخل منزلها متصل بهاتف جوال خاص غير هاتفها الخاص، حتى تتمكن من مراقبة التسجيل بشكل مباشر أو مسجل لفترات بعيدة، وذلك لكي تصل للحقيقة إذا كانت ترى أشباحاً فعلى الأقل سوف يكون لديها ما يثبت ذلك وإذا كانت تخيلات إذاً فعليها أن تستسلم وتعترف بأنها يجب أن تعود مرة أخرى للمصحة ليس من أجلها فقط بل من أجل رشيد الذي تحمل لها

الكثير وما زال.

وزاد الأمر غرابة بعد اختفاء ثريا زوجة جعفر، ظلت هالة تراقب جميع نوافذ المنزل لكن مر أسبوعان ولم تظهر زوجته، وزوجها يباشر حياته وروتينه اليومي بشكل عادي وكأن شيئًا لم يكن، وكان خلال هذين الأسبوعين لا يبيت في المنزل لمدة ثلاث ليالٍ واستمر هذا الأمر لأسبوعين آخرين أي استمر اختفاء ثريا ما يقرب من شهر، لاحظت بعد ذلك عودة زوجته؛ لقد رأتها من إحدى نوافذ المنزل نفس الهيئة العامة، نفس لون الشعر الذهبي الداكن لكن كانت تصرفاتها مختلفة، ثم تختفي فجأة وتعود فجأة واستمر هذا الأمر لأكثر من أربعة شهور وهذا الأمر زاد فضول هالة كثيرًا، وكانت في حيرة من أمرها هل ما تراه حقيقة أم بسبب الخيالات التي بدأت تزداد وتتلاعب بها كل حين وآخر، وجاء هذا على حساب صحتها البدنية التي لم تعد مثل السابق، لذلك أصرت أن تصل لحقيقة ما تراه خلال الفترة الأخيرة، ولقد حدث شيء ساعد على تحقيق رغبتها وهو شجار جعفر مع خاطر فرد الأمن الذي سوف يكون الفلهم لهالة بما سوف يفعله انتقامًا من جعفر، فلقد استغل خاطر يومًا من ضمن أيام جعفر الأسبوعية التي يبيت فيها بالخارج، وشاهدته هالة وهي تراقب المنزل وهو يعتلي سور المنزل من الخلف ويفتح نافذة مكتبه التي لا يغلقها جيدًا ويدخل مكتبه بكل سهولة ويختفي به ما يقرب من عشر دقائق، ثم يخرج من المنزل بنفس طريقة دخوله وهو منتبش وسعيد بفعلته.

تقرر هالة أن تفعل مثله في اليوم التالي وبالفعل اعتلت سور منزله من الخلف دون أن يراها أحد، ووصلت إلى نافذة مكتبه وما

إن رفعتها ودخلت حتى تعلق قميصها في شيء حاد بإطار النافذة الداخلي تسبب في خدش بسيط نزفت على أثره قطرات دماء بسيطة، لكنها تحملت ودخلت المكتب وبدأت في البحث عن رواية الزانية وتفاجأت بوجود نسختين منها لكن ما إن فتحتها ووجدت أنه غلاف خادع فقط لمحتوى مختلف عن الرواية، وكانت المفاجأة أنها سمعت صوت جعفر بالخارج قد وصل ولم تستطع أن تعود للنافذة فسوف تكون في مجال رؤيته مما دفعها لتصوير غلاف الكتابين على هاتفها وتركتهما مكانهما على أن تعود لأخذهما مرة أخرى ولم تجد مفراً لهذا حاولت أن تذهب لتخرج من الباب الخلفي بالمطبخ وفي طريقها إليه فتح جعفر الباب ورآها صاح فيها بغضب وحاول أن يمسكها من ملابسها لكنها هربت وصعدت لأعلى وأغلقت على نفسها باب غرفة النوم واتصلت برشيد كي ينقذها من هذا المعتوه الذي حاول أن يكسر باب الغرفة لكي يمسك بها، وعندما شعر بالفشل اتصل بالشرطة بالفعل، أثناء ذلك تجولت هالة في الغرفة وتفاجأت بوجود شعر مستعار ذي لون ذهبي داكن بجوار أدوات الزينة يعود للسيدة ثريا، هذا إذا ما كانت هي من ترتديه وليس شخصاً آخر، جاء رشيد وسمعته وهو يحاول إنهاء الأمر معه، وأن هالة جاءت كي تبحث عن زوجته وتتسامر معها ليس إلا وأنها أخطأت بالفعل عندما دخلت المنزل بدون إذن، وأثناء ذلك جاءت الشرطة بالفعل وبعد إلحاح من رشيد تنازل جعفر عن المحضر وتصالحا الاثنان أو هذا ما ادعاه جعفر.

وبفضل رشيد استطاعت أن تخرج هالة من المنزل بخطوات مرتعشة وعين جعفر تلاحقها وهو يجهل ما كانت تفعله في منزله أو

ما وصلت له، عادت إلى منزلها وأغلقت على نفسها الباب ولم تدخل أحدًا عليها رافضة أن تبرر لأحد فعلتها حاول رشيد أن يقنعها بأن تفتح له ويتحدث معها لكنها رفضت ذلك وطلبت منه أن يتركها حتى تستعيد ثقتها مرة أخرى كي تتناقش معه وتخبره بسبب ما فعلته، وأثناء تلك الفترة بدأت في دراسة ما وصلت له وسر الكتابين اللذين يحتفظ بهما جعفر ومُتعمد إخفائهما، هذا غير لغز الشعر المستعار، ذهبت يومها ليلاً إلى النافذة فوجدت أن جعفر أغلق جميع نوافذ منزله بالستائر وترك نافذة مكتبه، ووجدته يجلس على مقعد أمام النافذة، لا يفعل شيئًا، إنه فقط ينظر نحو نافذتها يراقبها، وما إن رآها تطل عليه من النافذة حتى أشار لها بسبابته وهو يمررها على رقبتة مهددًا إياها بالقتل، مما أثار الخوف والرعب في قلب هالة التي شعرت بالتهديد فعلاً.

مر يومان وهي تحاول البحث عن كلمة الهَيَصِر أو أي معنى لها على الإنترنت لكنها لم تجد لها أصلًا أو معنى، الكلمة التي سمعتها من قبل من الفتاة فرح ولم تستوعبها حينها، وما الرابط العجيب والغامض بين الاثنين، حاولت أن تبحث خلف جاراها هذا لكنها لم تصل لمعلومات جديدة غير التي تعرفها، شعرت بالملل، اشتاقت لرشيد وخطر على بالها أن ترى ما يفعله من خلال كاميرات المراقبة التي لا يعلم عنها شيئًا، لكن ما رآته يحدث أمام عينيها جعلها تراجع تسجيلات الفيديوهات للأيام السابقة وهي غير مصدقة ما تراه، واكتشفت أن فكرة الخيالات والأشباح هي فكرة تافهة أمام ما رآته من بشاعة، وكان يجب أن تتأكد مما رآته وبرغم أن حياتها مهتدة لكنها حاولت جاهدة أن تصل للحقيقة لكن كانت حالتها للأسف تسوء

أكثر مما جعلها تخطط خطة كي تنقذها من الموت وكانت آخر خطوة في تلك الخطة هي إرسال رسالة إلكترونية إلى بريد حنين بجامعةها في هولندا لأنها الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذها.

\*\*\*

## طارق

نظر طارق إلى هايدي محاولاً استيعاب ما ذكرته وسألها متشككاً:

- ما هو السبب الذي وجب عليك أن تخرجي له في هذا الوقت المتأخر ويحتاج كل هذه الاحتياطات الغريبة؟

نظرت له بملامح يشوبها القلق والخوف وزاد التوتر عليها مما دفع طارق لكي يضرب سطح مكتبه صارخاً فيها:

- أين ذهبت؟

انتفضت هايدي فزعة وردت بلسان متلعثم:

- خرجت لأنني كنت أحتاج لدواء خاص.

- ما اسم الصيدلية التي ذهبت لها؟

هربت بنظرها للأرض وقالت في خوف:

- الدواء الذي أحتاجه ليس بالصيدليات.

ابتسم طارق بسخرية متفهماً ما ترمي إليه وسألها بنبرة أهدى:

- منذ متى وأنت تتعاطين المخدرات؟

- منذ فترة طويلة ودخلت المصحة ثلاث مرات لكن منذ آخر مرة

وأنا قاومت كثيراً وتحسنت لكن مع الضغط النفسي الذي سببه لي هذا الرجل المسمى بجعفر وأنا أعصابي تلفت بشكل كبير.

زفرت ضيقاً ثم أردفت:

- وقد لاحظت مرّة وأنا في طريقي للمجمع وقوف رضا حارس الأمن مع شخص غريب ورأيتة وهو يعطيه شيئاً ومن خبرتي في جلب تلك الأشياء علمت أنها شيء أعرفه جيّداً استغللت أمراً وصورتها من بعيد، وعندما واجهت رضا وأخبرته أنني صورته لم يستطع أن ينكر أو يكذبني، وأصبح خادم لي ينفذ كل ما أطلبه منه، ولذلك كنت أقابل الموزع للجرعات بعيداً عن المجمع حتى لا يراه أحد وانتشي في سيارتي وأعود.

شعرت بالإحراج وظهر عليها التوتر وهي تردف:

- وكنت أفعلها أثناء نوم مصطفى زوجي لأن نومه ثقيل، ولأنه كان يراقبني كثيراً، وكانت هذه فرصتي الوحيدة، ولذلك عندما اتفق مع الموزع أن ينتظرني بالخارج أخرج وأخبر رضا بأن يحذف ثواني خروج سيارتي من البوابة وثواني عودتي بها من التسجيلات، لأن رضا أخبرني أن مصطفى كلفه بمراقبتي ومتابعة أوقات خروجي وعودتي للمجمع بالتسجيلات ويقارنها مع إجاباتي له، في محاولة منه أن يمنعني من أذية نفسي، ولكني برغم كل هذا لا يهمني شيء سوى راحتي وراحة مزاجي الخاص فقط.

لمعت عينها وانهارت بالبكاء، وقالت بنبرة حزينة:

- أتمنى أن يسامحني مصطفى على خداعه، لكن للأسف السم يحيا في جسمي كأنه جنته الخاصة ولا يمكنني أن أطرده منها.

أشعل طارق سيجارته بهدوء وهو ينظر إلى هايدي وسألها بجدية:

- إذا افترضت أن ما قلّته صحيح هل لديك شيء يميت كلامك؟

- نعم رضا لن يستطيع أن ينكر شيئًا.

يضحك طارق ساخرًا ويسألها:

- هل تعتمدين في إثبات براءتك على شخص كنتِ تبتزينه حتى آخر لحظة كي يعترف ويدين نفسه بعدة تُهم من أجل إثبات براءتك؟! لا أظن أن هذا سوف يحدث وأتمنى أن تفكري في شيء آخر أفضل.

نظرت له في حيرة وقد دخل الشك في قلبها بما قاله طارق الذي رن الجرس ودخل الحارس وقال له بنبرة جادة:

- خذ السيد هايدي إلى الحجز.

سحبها الحارس من ذراعها لكي تنهض وتتحرك معه لكنها أوقفته عند الباب ونادت قائلة:

- يا طارق باشا لدي دليل آخر هل يمكن أن تمنحني دقيقة إضافية من وقتك.

أوماً طارق للحارس أن يفلتها كي تقترب منه وتخبره بنبرة ملؤها التوتر والخوف:

- يمكن الكشف عن هاتفي وحركته في تلك الليلة سوف تجد موعد خروج من المجمع وحركة سيرتي لمقابلة الموزع وبقائي فترة بالخارج وعودتي مرّة أخرى للمجمع ثم خروجي بعدها فجّراً.

نظر لها طارق بعينين متسعيتين مفكراً ثم أشار للحارس أن يأخذها، غادرت هايدي وهي في حالة صدمة، وجلس طارق يسترجع ما

دار من التحقيقات اليوم وما النتائج التي توصل لها والحقائق التي كشفت له وكان يجب أن يتأكد من صحتها وبالفعل ظل ثلاثة أيام يبحث خلف هذه المعلومات الجديدة من هيئة الاتصالات وشبكات الهواتف المحمولة ومراجعة التسجيلات واكتشاف أن هناك مقاطع لا تتعدى الاثنتي عشرة ثانية تم حذفها من بعض الكاميرات وعليه تم القبض على رضا، وتقارير الفحص الطبي الخاص للمشتبه بهم ووسع دائرة التحقيقات والتحريات خلف الكثير منهم، حتى جاء يوم التحقيق مع هالة الذي تأخر بسبب طلب محاميها تأجيل التحقيق معها بسبب حالتها الصحية لكن مع طلب طارق المتكرر تم تلبية طلبه وحضرت هالة بحضور محاميها، لكنها لم تكن بحالة جيدة شاردة الذهن صامتة ساكنة في مكانها، نظر لها طارق بوجه صلب غير متقبل ما يراه، ثم أمر ببدء التحقيق ليتقدم محاميها فورًا بتقرير يفيد بأنها ليست بصحة ذهنية جيدة ويجب على جهة التحقيق مراعاة ذلك، أخذه طارق منه وهو يبتسم ثم رماه بجانبه على سطح المكتب وأجابه بهدوء وثبات:

- عزيزي، الدفاع عن السيدة هالة لن يفيد في هذه الغرفة، يمكنك أن تكثر وتحتفظ بمجهودك لمكان يليق باسمك وبما فعلته موكلتك من جريمة وهو قاعة المحكمة أما هنا أنا لا أريد سوى إجابات فقط من السيدة هالة.

- أتمنى أن تراعي حالتها حضرة الضابط.

قالها محامي هالة بجدية وهو يدنو من مكتب طارق، فنظر له طارق نظرة علم منها المحامي الرد وعاد بظهره منتصبًا، وما إن رأى

طارق ذلك تركه ونظر إلى هالة الشاردة وسألها:

- هل قُمتِ باقتحام منزل السيد جعفر من قبل؟

نظرت له هالة وأومات برأسها إيجابًا، فأوما طارق برأسه إعجابًا بتجاوبها معه فسألها بهدوء:

- هل اقتحمتِ منزله عن طريق نافذة مكتبه؟

أومات هالة برأسها إيجابًا فنظر لها المحامي وقال لها بنبرة حادة بعض الشيء:

- يمكنك أن تمتنعي عن الإجابة كما أخبرتك سابقًا سيدتي.

- شكرًا لنصيحتك الغالية ولكني أرى أن المتهمة ترغب في شيء آخر أتمنى أن تكمله.

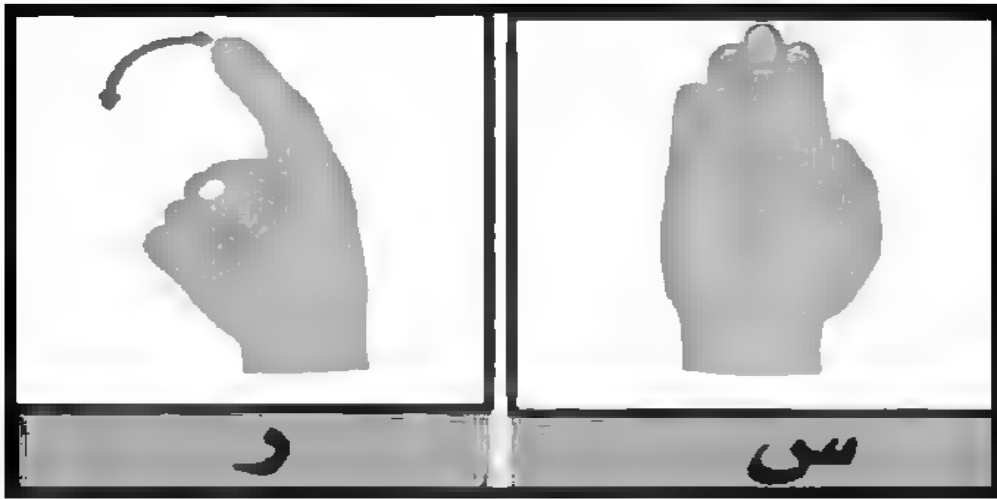
قالها طارق بنبرة حادة متحديًا المحامي الذي زفر غضبًا، مما دفع طارق ليكمل:

- برغم العداءات التي صنعها الضحية، بسبب أسلوبه العدائي، مع معظم من تعامل معهم على حسب وصفهم، إلا أنه اجتمع فيك عدة أشياء أولها بصمة يدك في مكتبه وغرفة نومه، ثانيًا أثر دمك على نافذة مكتبه، ثالثًا أنت الوحيدة التي شعر منك بالتهديد والخوف ولم يكتفِ بالشجار معك أو تهديدك بل أبلغ الشرطة باقتحامك كي تحميه منك، ولولا زوجك ما كان تنازل عنه، رابعًا اعتراف الضحية قبل موتها وكتابة أول حرف من اسم قاتله وهو حرف (H) أول حرف من اسمك، فكرة أن المقتحم دخل من الباب بسبب الخدوش التي عثر عليها بإطار الباب الجانبي، كانت خدعة ليس أكثر، لم

تكن الخدوش كافية لفتح باب مغلق لكنها فعلت بغرض تشتيتنا حول سارق أو مقتحم، وأخيرًا بعد البحث الأخير حول حجج غياب المشتبه بهم عن وجودهم أثناء وقوع الحادث تمت متابعة حركة الهواتف الخاصة لجميع المشتبهين والمفاجأة كانت للوحيدة التي لم يكن لديها حجة غياب مقنعة وهو أنت، لنكتشف حركة هاتفك التي أثبتت أن دخلت منزل الضحية في زمن الجريمة وعدت مرة أخرى لمنزلك بعد نصف ساعة وبجمع هذه الدلائل وبالإضافة لتاريخ حالتك النفسية والعقلية أستطيع أن أتهم السيدة هالة فاضل بشكل رسمي بأنها المتهمه بقتل السيد جعفر فهمي.

## الفصل الأخير

خرجت حنين من غرفة الزيارة مسرعة في خطواتها مغادرة المصححة فلقد علمت أن هالة بإشارة يديها لها والتي تعني حرف (س) وحرف (ر) بلغة الإشارة لتكون كلمة (سر) وهذه إحدى شفراتهما الصغيرة التي كانتا تستخدمانها سرياً في حديثهما بشكل يظهر كفعل عفوي حتى لا يلاحظ من معهما ما تقصدان، وبالأخص زوجة أبيهما التي كانت تترصدهما وتتلصص عليهما حتى تفسد علاقتهما مع والدهما، مما دفعهما لأن تلجأ لمثل تلك الأفعال.



### حرف السين والراء في لغة الإشارة

وعندما أشارت هالة إلى حنين بتلك الإشارة أدركت أن هناك سراً يخص ما فعلته هالة من كلمة أو حركة، لم تعرف بالتحديد ما تقصده لكنها أعطتها علامة أو إشارة لكي تبحث عنها، ولذلك فكرت أن تذهب إلى منزل والدها لأنه المكان الوحيد الذي ذهبت له هالة عندما أرادت أن تترك لها رسائلها وإذا لم تصل لشيء هناك فسوف تبحث في منزلها الجديد، وبدأت تتجول فيه وهو مازال على حالته

الأخيرة السيئة بعد اقتحامه وتفتيشه من قبل مجهول، حاولت أن تركّز رغم هذا التشتيت وهي تبحث عن شيء معين يبين ما كانت تقصده هالة، حتى وصلت للطابق العلوي وبدأت تبحث في الغرف، دخلت غرفتها وبحثت جيدًا لكنها لم تجد شيئًا، خرجت من غرفتها وأثناء ذهابها إلى غرفة أختها لاحظت شيئًا على الجدار بالمر ما بين الغرف فقد كانت هناك صور معلقة لها ولهاالة وصورة عائلية مع والدها ووالدتها، لاحظت أن صورة هالة الخاصة كانت هالة تبتسم وهي مائلة برأسها وتسند خدها على سبابتها، نفس الحركة التي فعلتها هالة مرتين مع حنين في زيارتها لها وهي تخبرها أن تصوّرها بهذه الوضعية، ركضت حنين وأحضرت مقعدًا لكي تقف عليه وتستطيع أن ترفع صورة هالة المعلقة وتنزلها، وما إن فعلت ذلك حتى وجدت خلف الصورة هاتفًا محمولًا تم تثبيته بلاصق، نزلت وفكت الهاتف وحاولت فتحه لكن تفاجأت بغلقه برقم سري حاولت أن تجرب معظم الأرقام التي يمكن أن تستخدمها هالة، حتى تذكرت شيئًا مهمًا؛ أرقام الصفحات التي حددت عليها هالة بمجلة الكواكب بحثت في حقيبتها التي أحضرتها فجّرًا إلى منزل والدها، وما حدث أنها في الليلة السابقة قررت أن تجمع كل ما توصلت له في قضية هالة في حقيبة صغيرة وتنقلها لمنزل والدها وذلك بعد رحيل رشيد ودخولها غرفة هالة بدقائق، حيث أنها شعرت بعدم الأمان وراحة في هذا المنزل وفي هذا المجمع بالتحديد، وبالفعل ذهبت وعادت سريعًا حتى لا يكتشف أحد خروجها ونامت حتى الصباح، وقابلت رشيد وهالة في المصحة وخرجت منها على منزل والدها سريعًا، ولذلك جلست على الطاولة وأفرغت عليها كل محتويات الحقيبة

بكل ما توصلت له أمامها ومنهم المجلة وبدأت في كتابتهم بالترتيب عدد الصفحات (5-6-19-32) ليكون الرقم مع الأخذ في الاعتبار الفواصل بين الأرقام الأحادية والعشرية (321965) أو معكوسًا (561932) تمت تجربة الاحتمالين ونجحا الاحتمال الأول وبالفعل فُتح الهاتف وبدأت البحث فيه حتى وجدت عدة فيديوهات وكان أولهم فيديو تظهر فيه هالة ويظهر أنها سجّلته في غرفتها بمنزل والدها، فتحتته حنين وبدأت المشاهدة لها وهي تقول في حزن وعيناها تبكيان:

- لا أعرف كيف أبدأ ولكني أود أن أشكرك أنك صدقتِ أختك وبحثتِ عن براءتها حتى وصلتِ لهذا الدليل، كنت على ثقة كاملة أنك سوف تنجحين في ذلك، لذلك سأخبرك بكل الحقيقة، بعد خروجي من المصحة كان هدفي إثبات أين الحقيقة والخيال بالنسبة لي لكن عندما شعرت بأني بدأت أنتكس بعد مروري بفترة التعافي طلبت من كريم أن يركب نظام مراقبة بمنزلي، وعندما علم رشيد من أمن البوابة بزيارة كريم لي أخبرته أنها مجرد زيارة زمالة عادية ليست أكثر من ذلك وكي يطمئن أكثر أخبرته أنني طلبت من كريم ألا يأتي مرّة أخرى فزوجي رشيد يغار عليّ جدًا وإذا قبلها مرّة فلن يقبل أن تتكرر، وأني واثقة أنه لن يفعلها ثانية، وهذا بالفعل ما حدث بناء على طلبي من كريم، مما أعطى مصداقية فيما قلته أمام رشيد، فلقد كان يجب أن يكون تركيب الكاميرات دون علمه بالأخص لكي أعلم ما مما أراه حقيقة وما منه خيال دون أي تأثير خارجي، ولكنني اكتشفت صدمة أخرى لم أكن أتخيّلها، لقد شاهدت رشيد الزوج المخلص لي الذي فعل ما لم يفعله إنسان مقرب وتحملني

وتحمل هلاوسي وأفعالي المجنونة، هو المتسبب في كل هذا فلقد رأيتته وهو يضع شيئًا بداخل العصير الذي أتناوله بشكل يومي مع الأدوية، وتأكدت بعد ذلك بأنه يضع لي مادة مخدرة ممنوعة هي التي تسبب لي الهلاوس والخيالات الكاذبة، لكن لم تكن هذه الصدمة الوحيدة لقد اكتشفت أن هناك بابًا سرّيًا تحت لوحة المصارع الروماني بالصالة يدخل منه، عندما يضغط على زر في الإطار السفلي للوحة يتفتح الباب ويكتب رقمًا سرّيًا هو نفس الرقم الذي وضعته على الهاتف لغلقة، وعندما دخلت وجدت أنه سرداب طويل ينتهي بغرفة كبيرة، وللأسف رأيت فيها الشخص الذي يرتدي مثل الشيخ فتحي وكان متفقدًا معه أن يظهر لي حتى يجعل للخيال الذي أراه أقرب للحقيقة وأصدق أنني أهلوس وبالطبع مع المخدر الذي أصبحت أدمنه في النهاية اختلط علي الواقع بالخيال، ولقد سجلت مقطعًا صغيرًا وهو يتحاور معه بالأسفل وسوف تجدين هذا المقطع مع باقي المقاطع التي حفظتها على الهاتف.

اتسعت عين حنين مما تراه وتسّمعه ولم تصدقه وعلمت أن رشيد كذب عليها في أمر دخول هالة المصحّة ولم يخبرها أنها فعلاً قضت في المصحّة عامين، تحمست لكي تكمل وشغلت المقطع الآخر لهالة وكان بغرفتها في منزلها بجوار النافذة، وهي حالتها سيئة للغاية وقالت فيه بنبرة مرتعشة:

- أنا أصور هذا الفيديو وخلفي أكثر مكان بشاعة وخداع وخيانة عندما بدأت أراقب جاري الغريب ومعاملته السيئة مع زوجته التي اكتشفت أنها اختفت، وبعد ذلك عادت لكن كان لها طابع مختلف وكان هذا يتغير حتى تجرأت ودخلت منزله واكتشفت أن السيدة

أو السيدات اللواتي أراهن في المنزل لسن زوجته لكنه يعتمد أن يلبسهن شعرًا مستعارًا يشبه شعر زوجته وأنا متأكدة أنها لا تستخدمه لأنني رأيته وهو يجرها ويشدها من شعرها من قبل أثناء ضربه لها في أحد المرات الشنيعة التي شاهدتها وأنا اراقبهما، لذلك أظن انه قتلها لكن ليس هذا الغريب، الغريب هو اختفاء هؤلاء السيدات في المنزل، لتعود واحدة أخرى بديلة بعد مرور أسبوع، وليس هذا هو السر الوحيد خلف هذا الرجل الغريب الذي يدعى جعفر لكن أيضًا قراءته وتدوينه لرواية الزانية ولذلك أثناء تفقدي مكتبه رغبت في معرفة ما يدونه لأتفاجأ أنهما نسختان من الرواية لكن ما إن حاولت تصفحهما حتى وجدت أن غلاف الرواية هو غلاف وهمي وبداخله كتابان أحدهما أوراق صفراء وغلافه قديم وكُتب الكتابان بخط اليد وليست كتابة إلكترونية أو بكتابة الآلة الكاتبة صُورت غلافهما وعدة صفحات قليلة منهم لكن لا أنكر أن مضمون ما صورته يعني شيئًا غريبًا وشاذ ودمويًا بشكل بشع.

نظرت حنين للكتابين معها وأخذها الفضول وبدأت في تصفُّح كتاب مذكرات ثعلب والذي كتبه الضحية جعفر بنفسه كي تعرف أكثر عنه، واكتشفت من خلالها تاريخ حياته من نشأته حتى شبابه وتعيينه كموظف إداري في وزارة الخارجية ثم هجرته إلى أندونيسيا كموظف إداري بالسفارة، وهناك تحدّث عن انضمامه في أخوية سرية تدعى (الهَيَصِر) وهو نفس عنوان الكتاب الثاني وكان يعتبر برتبة قائد فرقة ثعالب فيها ومن خلال إدارته لمشروع خيرى في إحدى القرى النائية بأندونيسيا تعرف على (أحمد سوراجي) السفاح الأندونيسي الذي قتلَ 42 سيدة، والذي بدأت قصته عام

1988 عندما زاره شبح والده في أحد أحلامه وقال له في سبيل أن يكون أقوى ساحر عرفتة البلاد يجب عليه أن يمتص لعاب 70 امرأة ميتة، وبسبب قرب جعفر منه والصدقة التي نشأت بينهما أخبره سوراجي بهذا الحلم، وكان لجعفر دور كبير في خداعه وإقناعه بأن ينفذ وصية والده حتى لا تغضب عليه روح والده ويخسر قوة لا مثيل لها، وقد فعل هذا جعفر بناء على تعليمات ومعتقدات أخوية الهَيَصر التي يؤمن بها، لكن دون أن يخبر سوراجي بشيء عن هذه الأخوية، وكان سوراجي يستغل خداع الجاهلين بأعمال السحر ويستدرج النساء ليلاً لتلبية طلبهن في السحر الأسود ثم يقوم بقتلهن ومص لعابهن ثم دفنهن وتم القبض عليه عام 1997، وما إن انتهت مهمة جعفر هناك وقدم على العودة إلى مصر.



السفاح الأندونيسي أحمد سوراجي

وعلى هذه العملية نال ترقية بأخوية الهَيَصر وأصبح نائب أحد أعضاء المجلس الأكبر، وكان ينتظر وفاته حتى ينال مكانته، وفي

انتظار هذا قَرَر أن يتزوج من السيدة ثريا لكن بعد سنوات اكتشف أن زوجته ثريا تكنّ مشاعر للسائق حبشي، حاول أن يبعد هذا الأمر عن عقله لكنه استحوذ على تفكيره؛ ولذلك كان يجب تعذيبها حتى الموت، حتى جاء اليوم وحاولت فيه الهرب وكان العقاب حينها هو القتل وتم فصل رقبتها عن رأسها، ودفن الجثة واحتفظ بالرأس في الغرفة السرية الملحقة بالمنزل، وكان يقيم في منزله أربعة ليالٍ ويسافر للأرياف والقرى والأقاليم يبحث في بيوت الدعارة معلما تعلّم من منهج أستاذه كما ذكره في كتاب الهَيَصِر، لبحث عن فتاة تشبه في مواصفاتها الجسدية زوجته ويغريها بعرض مالي كبير مقابل أن تقضي معه عدة أيام، وقبل أن يدخل بها المجمع يطلب منها أن ترتدي شعرا مستعارا يشبه شعر زوجته ونظارة شمس كبيرة حتى لا يكتشفها أفراد أمن البوابة وبعد ذلك تدخل معه المنزل وبعد أن يقضي ليلة أو ليلتين معها يقوم بتقييدها وتعذيبها حتى الموت في الغرفة السرية حتى يعيد انتقامه من زوجته وينتشي دمويا.

ولكن لم يكن هذا السر الخطير؛ السر الأخطر هو الاحتفاظ بكتاب الهَيَصِر الذي كتبه صديق عوني بخط يده؛ وهو أحد مؤسسي الأخوية والذي ذكر فيه أسرار أكبر السفاحين وتم وضع عدة قوانين ومبادئ يجب أن ينهاجها كل عضو في الأخوية من أصغر عضو حتى الأب الأعظم، ويبحث عنه بداية من الجيل الثالث من المجلس منذ وفاة صديق عوني وحتى الآن للحصول عليه من أجل حرقه وإعدامه نهائيا، بعد كتابة نسخة جديدة تواكب متطلباتهم الشخصية في الانتقام من النساء على أنها النسخة الأولى والأصلية من كتاب الهَيَصِر وذلك بسبب عدة أسباب أولها العنصرية ضد

صديق عوني مؤلف الكتاب الأصلي، وهذا ما رفضه جعفر وبدأ رحلته منذ وصوله مصر في البحث وراء صديق عوني باشا وتاريخه في مصر والسودان وحول العالم حتى إنه خدع الحارس حنين حارس القصر وتقرّب منه وحصل منه على معلومة أن جده أخبره أن صديق باشا كان يحب أن يجلس أمام شجرة كبيرة في الحديقة مما دفعه لكي يغفله يومًا ويبحث أسفل هذه الشجرة حتى عثر على النسخة الأصلية من الكتاب واحتفظ بها سرًا دون علم الأخوية بذلك.

عادت حنين وأكملت مشاهدة مقاطع الفيديو حتى وصلت لمقطع فيديو آخر تم تصويره بغرفتها بمنزلها وفيه قالت هالة بنبرة حزينة وانفعالات بسيطة بلسان مُتلعم مرتعش:

- بعد ثلاثة أيام من تسلي لمنزل جعفر لاحظ رشيد تبغيري معه ورفض لأخذ الدواء منه مما دفعه للبحث خلفي ولذلك اكتشف الكاميرات المخبأة بالمنزل، لكنه لم يستطع أن يصل للهاتف أو التسجيلات، وعلم رشيد بأني كشفت الكثير من الحقيقة الخفية، لذلك خلع القناع وتفاوض معي بشكل مباشر وهو الاختيار بين حياتي وحياتك وكان تهديدًا واضحًا بذلك، صمتي أمام روحك، وأراني صورًا لك كي يثبت أنه يعرف مكانك وأنت تحت المراقبة إذا لم أمتل لأمره، لذلك قررت أن ألتزم الصمت والموت البطيء الذي أمر به، وسأراهن على أغلى شيء بيننا -وهي ذكرياتنا- في إنقاذي، وفكرت كثيرًا وخططت برسائل وألغاز مشفرة تصعب على الجميع إلا أنا وانت، سوف تكون البداية لك الرسالة المشفرة لا يستطيع أحد فهمها غيرك، لأن هاتفي وبريدي الإلكتروني يمكن

مراجعتهما ومراقبتهما في أي وقت من رشيد، وإذا كان رهاني صحيحًا ستعودين لكي تنقذيني وحينها ستجدين عدة رسائل تدلك وترشدك إلى الحقيقة تركتها لك هنا في منزل والدنا الذي كان السبب في الخلاف بيننا لأنه المكان الآمن الوحيد لنا، لذلك استغللت اقرب فرصة للخروج من المنزل بعد تهديد رشيد وقررت أن أعود لمنزل والدي، وحرقت القميص الذي كنت أرتديه أثناء تسلي في منزل جعفر لأن عليه دمي بسبب نزيف بسيط من خدش أصبت به أثناء تسلي من نافذة مكتبه هذا بالإضافة لبصمات جعفر عليه وهو يحاول أن يقبض علي، حتى لا يكون دليل إثبات علي من الممكن أن يُستخدم ضدي في أي وقت، وقبل أن أخبئ الهاتف في المكان السري ضبطت نظام المراقبة على منزلي أن يتوقف تلقائيًا عن التسجيل إذا امتلئت مساحة التخزين على أن يحتفظ بنسخة منها على الجهاز ثم يمسحها هذا إذا حدث لي شيء ولم أدخل خلال هذه الفترة، وبالطبع تم مسح التسجيلات السابقة مع الاحتفاظ بالمقاطع ذات الأهمية فقط، وسأترك الباقي من الألباز مع السيدة سهام، بالتوفيق حبيبتي.. أحبك.

علمت حين حقيقة ما تواجهه من خطر، ويجب أن تضع حلولًا سريعة وبديلة، وبدأت في إعداد خطة كان بدايتها أنها أرسلت بريداً إلكترونياً مهماً توثق فيه ما تنوي عليه، ثم أعدت ورقة رتبت فيها الأحداث والأدلة التي وصلت لها وحلول الألباز كي تخرج من منزلها فوراً وتقابل هيلين وعمر وتخبرهما بما توصلت له ويقررا معاً ماذا يفعلون، حتى لا تصبح هي الوحيدة التي تعلم بهذه الأسرار الخطيرة، لكنها سمعت صوت حركة قادمة من المطبخ وشعرت

بالقلق وبدأت في إخفاء ما كتبتة، وأمسكت بمزهريّة ورفعتها عاليًا كي تدافع بها عن نفسها لكنها تفاجأت برجل ملثم جاء من خلفها وحاول إمساكها وتثبيتها وكنتم فمها حتى لا تصرخ وكانت رائحته كريهة تشبه رائحة الخمر، ورجل ثانٍ ملثم جاء من الأمام وأمسك المزهريّة من يدها وأنزلها، حاولت المقاومة لكنها لم تستطع فاستسلمت، وهنا أشار لها الرجل الثاني أن تظل صامتة:

- لا سبيل للمقاومة أي حركة خاطئة أو متهورة ستكون نتيجتها موتك واعلمي أن هذا أسهل شيء لدينا، ستأتين معنا بدون أي اعتراض أو رفض، هل هذا مفهوم؟

أومأت برأسها إيجابًا وبدأ الرجل في التحرك حتى وصل للطاولة التي كانت تجلس عليها ورأى كتاب الهَيّصر وكتاب مذكرات ثعلب وبجوارهما الأغلفة الخادعة منزوعة منهما، وفي تلك اللحظة أمسك الرجل هاتفه واتصل بشخص ما وقال له بحماس:

- اللعبة معنا، وقد حصلنا على الأسد ومعه الثعلب، نعم..

تفاجأ الجميع برن جرس الباب فنظر الرجلان لبعضهما وأغلق الرجل الثاني المكالمة وذهب إلى حنين وسألها بصوت خافت وغازب:

- هل تنتظرين أحداً؟

أومأت برأسها نعم، مما دفع الرجل الأول الذي يسد فمها أن يتركها كي تجيب أكثر فقالت بعد أن شهقت متنفساً بحرية:

- نعم انتظر عامل توصيل طلبات الطعام.

- إذا خذي منه الطعام واجعليه يغادر لكن إذا قلت له شيئاً سوف تكونين السبب في قتله؟

بلعت حنين ريقها وهي تتحرك وخلفها الرجل الملمم الثاني حتى وصلا للباب واختبأ خلف الباب مُشهرًا سلاحه المزود بكاتم صوت في الباب مُوجهه للخارج، ما إن فتحت حنين الباب لتتفاجأ بأن السيدة سهام على مقعدها ومعها خادمتها دلال تبتسم لها وتقول بشيء من العتاب:

- دخلتي المنزل منذ ما يقرب من ساعتين وأنا أنتظر خروجك حتى تعيدي لي مجلتي أم تعتمدين على أنني كبرت في السن ولن أتذكر وأنسى ما أعطيته للآخرين، أم سرقتها للصوص أول أمس وتريدين أن تتنصلي مني.

نظرت لها حنين وهي تحاول أن تخفي خوفها وتقول لها بشيء من العتقة:

- اطمئني لم تُسرق وكنت أنوي أن أعيدها لك بكل تأكيد، لكن اسمح لي لدي أمر طارئ حاليًا وسوف أغادر الآن وأعدك عند عودتي سوف أتي لمنزلك وأعيدها لك.

هزت السيدة سهام رأسها رافضة وقالت بصرامة:

- آسفة، لن أتحرك من هنا إلا بعد أن أستعيد المجلة.

نظرت حنين بجانبها كي تنظر للرجل الملمم ومن الجزء الظاهر من وجهه وهي عيناه ظهرت علامات الغضب والحنق وأن صبره بدأ ينفد فأشارت له حنين بيديها أن يهدأ وقالت للسيدة سهام التي تنظر لها

في انتظار ردها:

- حسنا سأعيدها لك، آسفة لا أستطيع أن أدخلك لأن أرضية المنزل مليئة بالأشياء المنعورة والمبعثرة بسبب الاقتحام الأخير للمنزل كما تعرفين، انتظريني ثواني وسأعود لك.

ردت الباب فقبض عليها الرجل الملتئم وقال لها بصوت خافت وبنبرة حادة:

- لماذا لم تأمرها بالرحيل بدلًا من أن أقتلها بسببك؟

- لقد حاولت لكنها ألحت في طلبها ولا تقلق هي ترغب في مجلة سأعطيها لها وتغادر لكن إذا رفضت لن تتحرك من هنا وسوف تحدث جلبة أنت في غنى عنها، هذه جارتي وأنا أعرفها جيدًا.

نظر لها مفكرًا ثم مال برأسه للداخل وأجابها بصرامة:

- تعطيها لها وتغلقين الباب فورًا وإلا سأقتلها هي وخادمتها أمام عيني.

أومأت حنين بالموافقة وذهبت بخطوات سريعة وجلبت المجلة وعادت للسيدة سهام وفي طريقها ذهبت لحقيبتها وأخرجت منها بعض المال فقبض الرجل على يديها وسألها بغضب:

- ماذا تفعلين؟

- ألم أخبرك أنني كنت أنتظر عامل توصيل الطعام سأجعلها تحاسبه على الطلبية، ليس له ذنب في شيء.

نظر لها باستياء ثم دفعها للأمام كي تكمل طريقها، وفتحت الباب

وهو عاد لمكانه مصوّبًا السلاح على السيدة سهام من خلف الباب،  
وقالت حنين وهي تعطيها المجلة:

- ها هي المجلة كاملة لا ينقصها شيء.

- ثواني أتأكد.

كادت السيدة سهام أن تتصفح المجلة، لكن سمعت حنين زفرة  
الرجل الملمم الغاضبة فتقدمت نحوها وأمسكت يدها وقالت بشيء  
فيه إلحاح:

- يمكنك مراجعتها لكن عندما تصلين منزلك وإذا وجدت شيئًا ما  
ينقصها أبلغيني.

- لا سوف أبلغ الشرطة.

قالتها وهي تمزح فابتسمت حنين ومدت يدها بالمال نحوها  
وقالت في استعطاف:

- كما أخبرتك أنني مضطرة أن أتحرك الآن وكنت قد طلبت الطعام،  
لكني للأسف لا أستطيع أن أنتظره، فهل يمكن أن تستلمي عني  
الطعام وثناسبييه؟ أرجوك.

نظرت لها السيدة سهام مستغربة طلبها لكنها أومأت برأسها وقالت  
مازحة:

- حسنًا لكن إذا تأخرت فاعلمي أنه سيتم تبديد الطعام غرامة  
تأخير.

- تمام بألف هنا.

نظرت لها حنين هي تغادر وابتسمت لها ثم أغلقت الباب، وهنا قبض عليها الرجل وأشار للرجل الأول نحو النافذة وقال له أمراً:

نفذ أوامره واتجه نحو النافذة وأزاح الستارة قليلاً وبدأ في مراقبة السيدة سهام التي عبرت الطريق هي وخادمتها وتوجهت لمنزلها ودخلت المنزل، التفت له وقال بحدة:

- الوضع آمن الآن.

أوماً برأسه وقبض على ذراع حنين ثم غرس في رقبتها حقنة مخدرة أفقدتها الوعي، وبعدها بلحظات توقفت سيارة نقل صغيرة أمام باب المنزل، نزل منها السائق وحمل صندوقاً كبيراً ودخل به المنزل بعد أن فتحا له الرجلان اللذان نزعا الأقنعة من وجهيهما بعدما خدرا حنين، ثم وضعوها بالصندوق وخرجوا به إلى السيارة حتى لا يرتاب أحد من المارة فيهم، ووضعوه بالسيارة وانطلقوا مسرعين.

\*\*\*

يتحرك عمر بخطوات سريعة في الرواق بداخل قسم الشرطة حتى وصل إلى مكتب رئيس المباحث طرق الباب ثم دخل ليجد طارق يعطي لحارس مكتبه بعض الأوراق ما إن رآه حتى نهض مرحباً به فقد كان زميلاً له في قضية سابقة لكنه لاحظ أن ملامح عمر جامدة على غير عادته فسأله:

- ما بك يا عمر؟ أول زيارة لك منذ فترة طويلة تكون هكذا.

- آسف يا طارق باشا، لكنني قادم لك بسبب أمر هام ليس لزيارتك

أنا آسف.

ظهر على طارق الاستغراب وسأله في حيرة:

- خير؟

- هناك سيدة تم اختطافها وحجزها، ومن الممكن أن تتعرض لما هو أكثر من ذلك وأرغب في مساعدتك.

\*\*\*

تشعر حنين بعقل في رأسها، جسدها فيه خمول وكأنه بلا عضلات ولا أطراف، حاربت كي تفتح عينيها وبعد مشقة نجحت أخيرًا وفتحت لتصدم بكشاف كبير مضيء في وجهها، معلق في السقف لغرفة مظلمة ليس بها سوى شعاع هذا المصباح الكبير الذي قطع جزءًا من شعاعه في عينيها ظهور رجل لم تستطع أن تحدد ملامحه بشكل جيد بسبب العتمة والإضاءة الشديدة المصوبة في عينيها، لكن كان هناك أشياء على طاولة بجانبها، أصوات معدنية تتصادم والبرودة قد تشعبت في جسدها حد الارتعاش، لكن في النهاية اقترب منها هذا الشخص وبدأ في شم شعر حنين، كانت تشعر بالغضب والاشمئزاز والضيق كيف تمنع هذا الأمر وهي مقيدة شبه مشلولة وهي لا تعرف السبب؟ أو المكان الذي اختطفت وقيدت فيه؟ حتى لسانها خانها لم يتحرك كان ثقيلًا وكأنه لسان حوت، انتهى هذا الرجل مما كان يفعله بشعرها ثم دنا من أذنها وقال في ود:

- عم حبشي يقدر دائمًا الجمال الحصري.

- حبشي.

قالها صوت صائح بغضب صادر من شخص قادم من بعيد جعلت حبشي ينتفض مكانه، صوت خطواته تقترب ومعها يبتعد عنها حبشي رويدًا رويدًا حتى ظهر، وكان ويليام ينظر لحبشي بعينين غاضبتين، تنظر له حنين في محاولة لرؤيته لكن ما زالت رؤيتها مشوشة بعض الشيء دفع ويليام حبشي جانبًا وهو يقول أمرًا بغضب:

- أنت وظيفتك أن تراقبها حتى تفيق وتخبرنا بذلك، أي أفعال جنونية منك غير ما أمرت به سيكون جزاؤها حياتك وأنت تعرف نهاية أمالك كيف تكون.

- نعم أعلم، أعتذر لك لن تتكرر أعدك بذلك.

قالها حبشي بلسان مرتعش وابتسامة زائفة، صوت باب يُفتح بقوة جعل حنين تنتفض خائفة ليظهر رجلان يعبران من الباب ما إن اقتربا حتى ظهرت ملامحهم وكانا مصطفى وعصام جيران ويليام بالمجمع، صاح مصطفى في عصام وهو يضرب ساعده بقوة دون أن يهتز عصام أو عضلة ذراعه من هذه الضربة:

- كانت حركة غبية منك دفعك للباب بهذه القوة حتى تعبت قوتك، إذا رغبت في صراع حقيقي هاتفني.

- جيد أعطني رقم هاتفك؟

قالها عصام متشككًا فضحك مصطفى وأخرج قنينة معدنية من جيبه وتناول منها رشفة سريعة ثم أجابه:

- لا أنافسك بالغباء حتى أعطيه لك.

حاول عصام أن يقبض على مصطفى لكنه لاحظ أن حنين تحاول أن تستفيق فأشار لها وقال موجهًا سؤال إلى مصطفى:

- أليس من المنصف كنت أنا من ذهب لكي أحضرها هنا بدلًا منك أنت وويليام.

- يا مراحب لكن هذا ليس بخاطرننا أو اختيارنا نحن أمرنا وأطعنا ونفذنا.

قالها مصطفى وهو يتناول رشفة أخرى، في تلك اللحظات بدأ التشويش في بصر حنين يقل تدريجيًا وخمول اليدين والذراعين بدأ يتلاشى وشعرت بالقيود التي تقيدها، وأدركت أنها راقدة على طاولة معدنية مقيدة الأطراف والرأس، وبدأت تشعر بتحسن طفيف في عضلة اللسان بعد تصلبها، فقالت بآلم وصعوبة:

- مَن أنتم؟ وماذا تريدون مني؟

حاول مصطفى أن يجيبها لكن ويليام أشار له أن يصمت وردّ هو عليها بحدة:

- ليس مسموحًا لنا أن نجيبك بشيء وعليك بانتظار كبيرنا وهو من حقه أن يجيبك أو يسمح لنا بذلك، ولقد أخبرته بإفاقتك وهو في الطريق إلى هنا.

- ولماذا تم تقييدي بهذا الأسلوب الوحشي؟ وأين أنا؟

تجاهلها الجميع، ظلت تنادي عليهم وتستغيث وهم يقفون جانبًا

يتبادلون أطراف الحديث وجاء حبشي نحوهم راكضًا يخبرهم:  
- الزعيم قادم.

اعتدلوا في وقفاتهم وأعينهم تحدد نحو الباب ومعهم حنين تنتظر رؤية الزعيم هذا، وفي تلك اللحظة دخل من الباب رامي وبكري جيرانهم من المجمع، دخلوا واصطفوا بجوار الباقيين وسرعان ما دخل رجل ضخيم بعين ضيقة وابتسامة لامعة ينظر لها لم تكن تعلمه أو رآته من قبل لكنها أدركت أنه الزعيم بسبب الاحترام والانحناء الظاهر على الرجال الستة حولها، اقترب منها وهو مازال مبتسمًا وقال لها بنبرة ملؤها الحماس بعدما زفر في وجهها دخان سيجاره الكوبي:

- أنا لم أتشرف بمقابلتك من قبل لكن تشرفت بمقابلة أختك هالة، أنا السيد سمير أبو العزم رئيس شركة هاردلي للمقاولات، الشركة التي شيدت هذا المجمع العظيم رغم صغره إلا أنه يحتوي بداخله على تجربة عظيمة سوف تغير العالم.

دنا منها أكثر وقال بنبرة خافتة ملؤها الغرور:

- هذا غير أنني زعيم فرقة المطهرين في أخوية الهيصر التي تكرر لك الشكر في مساعدتنا للحصول على الكتابين من الملعون جعفر، لك أن تتخيلي أن جعفر هذا كان أفضلهم وذا تاريخ مشرف في الأخوية لكنه انحرف عن تيار الأخوية التطوري في الأسلوب والشرعية حتى إنه سرق هذا الكتاب وأخفاه عنّا وهو يعلم كيف كنا نبحت عنه منذ عشرات السنين في قصر الملعون الأكبر صديق عوني بعد أن قتلناه بأبشع طريقة يستحقها.

- ولماذا قتلتموه؟

قالتها حنين بإرهاق مستفسرة لكن كان رد سمير غاضبًا وأجابها وهو منفعل:

- لقد احتكر رئاسة الأخوية لخمسين عامًا ولم يقتنع ملك الموت أنه أخذ من الحياة ما يكفي، فلجأنا لقتله في النهاية بعد أن يأسنا من انتظار موته، وقراره بكتابة هذا الكتاب عَجَل كثيرًا بقرار قتله وكسر الكثير من القوانين، لكنه كان داهية وأخفى الكتاب، وفشلنا في العثور عليه لذلك هددنا الحارس أن يقيم في القصر هو وعائلته ولا يغادره أبدًا مقابل راتب شهري كبير والرفض له أو لأي أحد من سلالته يعني الموت له ولعائلته جميعًا، ووظيفته أن يحرس القصر ويشيع بين الأهالي قصصًا وأساطير عنه وكيف هو قصر مسكون وبه أشباح وأرواح مخيفة واستغلال حادثة موت صديق البشعة في ذلك حتى تبعد أي شخص عن الاقتراب منه، حتى جاءت أختك هالة وهدمت ما بنيناه في سنين.

- كيف ذلك؟

نظر لها مشمئزًا وقال لها بسخرية:

- بريئة مثل أختك تمامًا، الحلقة التي سجلتها عن القصر بمساعدة الحارس الغبي حسنين والذي نال عقابه هو وعائلته على فعلته تلك وتم تصفيتهم جميعًا، بأنها وجَّهت أعين الناس بطريقة مميرة نحو القصر ونحن كنا نحاول أن نطمس أي شيء عن تاريخ الملعون صديق حتى يتبقى قصر عوني المخيف لتأتي هي وتحدث عن

تاريخ صاحبه وتثبت في النهاية أن ما روى عن القصر مجرد خرافات وقصص واهية، وكان اجتهاد حسنين الغبي طامعًا في مكافأة مئًا وتصرف دون إذن منا بإحضار الشيخ فتحي كي يعبت أن القصر لعن أسرته بأداء تميلية ركيكة بطولته هو وزوجته وابنته فيستغل الشيخ فتحي غبائه ويطلب أختك لعمل حلقة تزيد من شعبيته، والفريق الذي جاء وبات في القصر تابعيين لنا وبعد أن نجحوا فيما طلب منهم، وذلك بعدما تعاون معهم الشيخ فتحي كي يتم ذكر اسمه في النهاية طامعًا في شهرة إضافية، قررنا أن نستغل الشهرة التي كسبها غصبًا عنا بأن نقتله ونستغلها في إثبات لعنة القصر بطريقة أخرى، لكن لم ينتشر الخبر كما توقعنا وهذا ما أجبرنا على تغيير خططنا وهدم القصر والبحث عن الكتاب بشكل أكبر وأدق حتى نغلق هذا الملف نهائيًا، لكننا لم نعر عليه في النهاية وكانت المفاجأة عندما ذكر حسنين الحارس قبل تصفيته أن هناك شخصًا بحث في الحديقة منذ عدة سنوات ولم يبلغنا بهذا الأمر ظنًا منا أن ما يهمنا القصر فقط كمبنى، أوهمه أنهم يمكن أن يعثروا على كنز مدفون في الأرض وفي يوم حفروا أسفل شجرة كبيرة وما إن وجدوا شيئًا مدفونًا فعلاً حتى ضربه هذا الرجل على رأسه أفقده الوعي وبعدها اختفى الرجل ولم يره ثانية، وبعد الضغط على حسنين لوصف هذا الشخص اكتشفنا أنه جعفر لذلك قرر المجلس بالإجماع التخلص منه بشكل يظهر كحادث سرقة ويدفن سر الكتاب معه، لكن كانت أختك بفضولها أفضل كبش فداء بصراحة في ذلك وبمساعدة الرجال التي أمامك تمت المهمة بنجاح وأثبتت فرقة المطهرين ولاءها بذلك بتطهيرهم للعضو الفاسد بينهم حتى لا تُفسد التجربة.

- لقد ذكرت كلمة التجربة مرتين حتى الآن، ولم أسمع في كلامك سوى القتل والدماء.

\*\*\*

نهض طارق من مكانه وتقدم نحو عمر وجلس أمامه وأشار له أن يهدأ وقال بجدية:

- بالتأكيد أنا معك لكن هل يمكن أن تخبرني بالأمر كي أعرف كيف أساعدك.

- هل تتذكر قضية الإعلامية هالة التي قتلت جارها وكنت تحقق فيها؟

أوما طارق برأسه مؤكدا فأردف عمر بجدية:

- زوجتي هيلين زميلتها بالقناة وتعرف عائلتها جيدا، وقد وصلت أختها حنين بهدف البحث عن دليل براءة أختها، ومنذ ما يقرب من ساعة هاتفني سيدة تدعى سهام وأخبرتني أن حنين في ورطة ويجب أن أذهب لها لأنها تركت لي أشياء هامة، ذهبت لها وعلمت أنها جارة حنين وقد كانت في الحديقة عندما وصلت حنين لمنزل والدها وبعدها ما يقرب من ساعتين لاحظت حركة مريبة لرجلين حول المنزل وعندما اختفيا عن نظرها قلقنت وذهبت لكي تطمئن على حنين وبمجرد أن فتحت لها الباب لاحظت أنها على غير عاداتها ومرتبكة بعض الشيء ولاحظت أيضا وجود خيال لقدم شخص خلف الباب الذي لم تفتحه حنين بشكل كامل؛ لذلك تحججت السيدة بطلب مجلتها التي سلفتها لحنين وبالفعل دخلت وعادت ومنحتها

المجلة شعرت بأن المجلة تحتوي على شيء غريب بداخلها، والشيء الغريب الآخر أنها أعطتها أموالاً كي تحاسب عامل توصيل الطعام، وقد لاحظت السيدة أن من بين الأوراق المالية بطاقة شخصية كنت قد أعطتها لها إذا رغبت في أي مساعدة وبالفعل تحركت السيدة لمنزلها سريعاً واتصلت بي، وكانت المفاجأة أن حنين كانت واضعة بداخل المجلة هاتف جوال وورقة كتبت فيها معلومات كثيرة تفيد القضية وتدين أشخاصاً آخرين غير أختها هالة.

ابتسم طارق وقال بنبرة مازحة:

- لا أظن أنها وصلت لشيء مهم، هي فقط ترفض أن تصدق أن أختها قاتلة أو ما إلى ذلك.

- لا أظن ذلك، ما قرأته في الورقة التي كتبتها أثار فضولي لمعرفة حقيقة منك.

نظر له مستغرباً طارق وقال متشككاً:

- مثل ماذا؟

وضع عمر الورقة على سطح المكتب وأشار نحو جزء معين فيها وقال وهو يقرأها:

- كيف علم حبشي بمكان الطعن من الخلف والتقرير الشرعي أكد أن الجثة كانت راقدة على ظهرها عند اكتشافها؟

\*\*\*

ضحك سمير وتعالى ضحكاته وضحك الرجال الواقفون معه

وانتهوا عندما انتهى، حتى أجابها بثقة:

- ليس من حقك أن أخبرك بكل هذه المعلومات، لكن أحيانًا نتفاخر نحن أعضاء الأخوية بإنجازاتنا أمام ضحايانا واثقين في أنها سوف تُدفن معهم، فحاولي أن تتقبلي اعتذاري في استرسالي لك فأنت بالنسبة لي من ضمن الأموات أو سوف تنضمين لقائمتهم قريبًا.

قالها وهو ينظر إلى ساعته وبدأ بالضحك وتابعه باقي الرجال وضحكوا تملقًا وحنين يزداد الرعب في قلبها، صمت سمير فصمت بعده الجميع وأشار بسبابته نحو حنين وهو يخبرها:

- التجربة التي يقوم بها المطهرون في التخلص من النساء بطرق إبداعية جديدة ومتطورة عن السابق فلم يكفينا أن تكون النساء عاهرات يمارسن البغاء كي يستحققن القتل على يد المطهرين، الآن أصبحن يرفضن الرجال، يتكبرن ويتعالين ويظننّ أنهن أعلى شأنًا من الرجال حتى يرفضوهن، الرجال لا ترفض.

قالها وهو يصيح بغضب:

- الرفض يعني التحقير من الرجال وهذا لا نقبله، المرأة التي ترفض رجلًا هذا يعني لنا إباحة تطهير العالم منها ونساند المطهر وندعمه ونصنع جيشًا يؤيده ويبرر فعلته ويصوره في صورة الملاك الذي تلاعبت به امرأة ثم خطت على مشاعره بأسوأ حذاء لديها وهي ترفضه بكل برود، أليست تستحق القتل؟

قالها وكأنه يسأل الرجال حوله فأجابوه مؤكدين سويًا بحماس:

- تستحق القتل.

نظر لرجاله مبتسمًا فخورًا ثم قال وهو ينظر لحنين بعقة:

- لا تستهني بالأخوية فلقد مر على تأسيسها أكثر من مائة عام، وكان أعظم النجاحات في تطبيق مبادئ الأخوية وشعلة البداية للنجاح على مستوى العالم هو ما حدث مع السفاح الأمريكي العظيم والأسطورة (تيد بندي) والجيش الذي شخر من أجله بعد القبض عليه والدفاع عنه والتبرير له أفعاله، حب وصل حد الهوس به، وظهوره بمظهر البطل الوسيم كان نجاحًا اعتبرناه حافزًا كبيرًا لنا، وتوالت النجاحات بعد ذلك.



السفاح الأمريكي تيد بندي

وانتشرت الأخوية وتوغلت في كل قطاعات العمل على مستوى العالم ولم يقتصر الموضوع على الحلاق والنادل بل وصل لمستويات علمية أكبر مثل الأطباء النفسيين وأستاذة التنمية البشرية والمستوى الأدنى من الثقافة مثل السحرة والدجالين ومروجي العبادات الغريبة والملحدين والفرق الموسيقية ومشاهير عالميين

وإعلاميين والمؤثرين على صفحات التواصل الإجتماعي وكل من يستطيعون أن يؤثروا على عقول الرجال ويجعلوا التطهير شيئًا شرعيًا ومقبولًا ومبررًا، وأصبح لدينا جيش على مواقع التواصل الاجتماعي للبحث عن يتبنى فكرنا، من خلال العمل على كلمات بحث معينة وبالأخص المارين بتجارب عاطفية سيئة ويتم التلاعب بعقولهم بأساليب غير مباشرة حتى نعزز من كرامتهم وشخصياتهم وفكرة أن يتم رفضهم هو أمر مرفوض، والرجال التي أمامك يمكنهم أن يضحوا بحياتهم إذا طلب منهم الأمر من أجل استمرار الأخوية وتحقيق أهدافها بقلب رحب وعقل واع.

- سوف تظلون في النهاية قتلة سفاحين يلعنكم التاريخ؟

قالتا حنين بغضب وانفعال، نظر لها سمير وأجابها بكثير من البرود:

- وهل تظنين أننا نقوم بالتطهير بالدماء فقط، التجربة العلمية التي يفعلها المطهرون الذين أمامك هو الجيل الحديث من المطهرين وسوف أعرفك بأساليبهم الحديثة.

تركها وتوجه نحو الرجال المصطفين بجانب بعض وبدأ بعصام الذين كان يقف متصلبًا ثم أشار له وقال متفاخرًا:

- عصام يعمل على ترسيخ مرض السيوفوبيا وهو رهاب الطعام وفقدان الشهية العصابي مع زوجته نوسا التي ترغب دائمًا في الحصول على جسم مثالي، أما السيد رامي يعمل على ترسيخ مرض فوبيا الفقر وهو الرهاب من الخسارة والفقر مع فريدة فتاته والتلاعب بعقلها في جحيم البورصة، والسيد ويليام يعمل على

ترسيخ مرض السيئوفوبيا وهو الرهاب من الكلاب عند زوجته  
إيفون بعد أن تنال عضة من كلبها فهو يحقن الكلاب بمواد تزيد  
شراستها بالتدريج، والدكتور بكري الذي يعمل على ترسيخ مرض  
الانثوفوبيا وهو الرهاب من الزهور مع زوجته شهد بعد إقناعها  
بزراعة زهرة اللافندر والتي تؤثر على نمو الجنين وإتمام الحمل،  
وبرغم أن اللافندر ليس السبب الوحيد لكي تفقد الجنين، بل بسبب  
المادة التي يضعها في زجاجة الماء الخاصة بها والتي تسبب  
الإجهاض لكنه سوف يقنعها بأن اللافندر السبب، والسيد مصطفى  
يعمل على ترسيخ مرض الرهاب الاجتماعي مختلط برهاب الساح  
وقد ساعد ذلك التفكير الزائد والوسواس القهري لدى زوجته هايدي  
وشكها الدائم أن هناك من يراقبها، هذا غير علمه بأنها لم تتعافَ  
بشكل كامل من تعاطي المخدرات ويظهر بمظهر المراقب الحامي،  
حتى نصل للنتيجة النهائية وهو تدمير الذات، ومن خلال هذه  
الأساليب العلمية للابتلاء النفسي والناجمة عن تحليل الزوجات  
نفسياً تنتهي المرحلة الأولى من التجربة.

يفتح ذراعيه تفاخراً وهو يقول بثقة:

- التطهير في التجربة العلمية الجديدة ليس بالدم لكن بالموت  
البطيء مع الحفاظ على صورة الزوج السند والشريك الحنون الذي  
يفعل كل ما يستطيع حتى ينقذ حياة زوجته، وهي من ثدافع عنه  
باستماتة إذا حاول أحد أن ينتقد تصرفه أو معاملته معها، وهنا  
نتنقل إلى المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الأدوية المخدرة  
التي ينتج عنها الهلاوس البصرية والسمعية وينتهي بها الحال  
للاكتئاب الذي يؤدي للانتحار أو في أقصى فرصة جيدة لها أن

تعيش الباقي من حياتها في المصحة العقلية، وقد نجح في تنفيذ التجربة مؤسس هذا الفكر المتطور أستاذنا والأخ الأعظم لأخوية الهَيَّصر السيد رشيد عوني.

\*\*\*

اشرب عنق طارق ورفع حاجبه وعاد إلى ملفات القضايا التي لديه وأخرج ملف قضية هالة وفتحها وبحث فيه التقرير المبدئي الذي أجراه بنفسه وأخرج تقرير الطب الشرعي وقرأه جيدًا ثم عاد بنظره لعمر وقال بنبرة غاضبة:

- كيف مرت علي هذه النقطة! لا يمكن أن يعلم حبشي بهذه المعلومة إلا إذا حاضراً وقوع الجريمة وشهد عليها أو يكون هو من نفذها.

- فعلاً أنت محق، هذا غير نقاط أخرى دونتها هنا سوف تكون أنت أفضل مني في فهمها لكن يمكن أن تراها ونحن في طريقنا لإنقاذها.

ضرب طارق بقبضة يده سطح المكتب وقال وهو يزفر غضباً:

- هل تعلم أين يمكن أن نعر على حنين؟

- نعم فأنا كنت أضع من يراقبها خوفاً عليها وعلمت أين وصلت السيارة التي تحركت من أمام منزلها.

أمسك طارق هاتفه وقال في صرامة:

- أصدر لي أمراً بالقبض على حبشي معاطي من قضية السيد جعفر قتيل المجمع وأحضره لي حالاً.

أغلق الهاتف ثم أخذ طارق الورقة وربت على عمر وقال بحماس:  
- إذا هيا بنا الآن.

\*\*\*

صدمت حنين مما سمعت وعلمت السبب وراء تدهور حالة هالة أختها لما وصلت له، أثناء ذلك التفت الجميع نحو جدار على يمين حنين لتظهر شاشة تلفاز كبيرة تضيء فتنير الغرفة أكثر وتظهر أنها غرفة تشبه غرفة العمليات الجراحية بسبب الأدوات والأجهزة الطبية المتوفرة فيها، وتُظهر شاشة التلفاز رشيد جالسًا بثقة ووقار ينظر لها بابتسامة، ما إن رأت رشيد حتى بصقت في اتجاهه من غضبها كاد أن يتقدم عصام كي يصفعها لكن رشيد أشار له أن يتوقف وقال وهو ينظر لهم بثقة:

- دائمًا تبهرونني بأفعالكم، يستحق سمير زعيم فرقتكم أن يفخر بكم، ما أنجزتموه مع زوجاتكم شيء عظيم ومنتظر منك الأفضل بالتأكيد، كنت أتمنى أن ينضم لنا هنا جعفر مثل أول اجتماع تم هنا في القاعة السرية أسفل المجمع، وتم تكليفه بمهمة الضغط النفسي على نساء المجمع واستفزازهم وكان فعلاً مميزًا في تلك المهمة بشكل مبهر، لكنه اختار الغدر والأنانية على حساب الأخوية وكان يجب التخلص منه، وكانت خطة تنفيذ عملية قتله منظمة بشكل كبير، ابتداء من افتعال حريق بسيط في شركتي كي يبعد الشك عني وأنا كنت بعيدًا عن مسرح الجريمة بشاهدة رجال الإطفاء، وأن أترك هاتفي هناك حتى لو أرادوا تتبع تحركي من خلاله يكون دليلًا لي، وأركب سيارة رامي كي يدخلني المجمع وأنا مختبئ في أرضية

سيارته حتى لا يلاحظنا رجال أمن البوابة أو الكاميرات، ونجتمع هنا من خلال السرداب السري المعد مسبقًا بداخل كل منزل في المجمع، ثم صعدنا إلى جعفر وهدده ويليام بكلبه عنتر الشرس وسألناه عن مكان الكتاب لكنه تعنت أن يفصح عن مكانه، فكان بهذه الطريقة يمنحنا الحرية في تنفيذ قانون أخوية الهَيَصِر الأعلى وننفذ فيه قانون الأخوية ونظهر روحه الدنسة وطعنته بخنجر الهَيَصِر الذهبي بطعنة في ظهره نفذت من صدره، وكان يجب أن أرحل أنا ورامي بنفس طريقة دخولي وأعود لأتابع حريق شركتي، وتركت الشباب ينهون الخطة بالبحث عن الكتاب في أدراج مكتبه وخزانات الغرف والأماكن المتوقعة أن يخفيه فيه، هذا بالإضافة لسرقة وحدة تخزين نظام المراقبة الذي ركب جعفر بمنزله وإتلافه، حتى نؤكد على أنها عملية سرقة، على أن يكون خروجهم عن طريق السرداب الخفي بمنزل جعفر ومن خلال الممرات السرية يعود كل منهم لمنزله دون أن يلاحظ أحد شيئًا، هذا المجمع عملٌ عظيمٌ فعلاً.

أخذ رشيد نفسًا وزفره وهو يبتسم وأردف وهو مستمتعًا:

- وكان اقتراح بكري بعمل خدوش في جانب الباب كي يثبت للشرطة أن الجريمة تمت على يد لص بالإضافة للتفتيش المقصود في كل أرجاء المنزل، وأن اللص اكتشف وجوده الضحية وأثناء صراعه معه طعنه وتركه مفزوعًا وخرج دون أن يمسك به أحد، وكانت فكرة جميلة لكنها لم تكتمل بسبب إصابة ويليام من عنتر عند الباب وهو يحاول أن يسكته بسبب نباحه الذي كاد أن ينبه أمن البوابة، لذلك لجأنا للخطة الأخرى كتشتيت متعمّد لهوية الفاعل وهو دس صورة رأس زوجته في جيبه، وذلك لأنه تسرّع وخالف أوامر

الأخوية الجديدة أن التطهير لم يعد يتبع قواعد القتل بالدم بل القتل البطيء وأن تنتحر زوجته بسبب المازوخية والكبت، وكاد ينجح في تطبيقها لكن تمرده وعنده كانا السبب في فعلته لذلك استحق ما ناله عن جدارة، ولأنه كان عضوًا معنا فكان هاتفه تحت رقابة القسم التقني مثل أي عضو، وقد تولوا مسح جميع البيانات التي على هاتفه فور فتحه، كإجراء تقليدي مع موت أو تصفية أي عضو معنا، وعندما ختمها جعفر وحاول أن يكتب كلمة (Haesar) بدمائه ولم يكملها ومات في محاولة دنيئة أخيرة منه لفضحنا، أهدى للشرطة هدية كي يوجهوا الاتهامات حول رقبة هالة التي بسبب حالتها وتهديدي لها لم تنطق بأي شيء.

نظرت له حنين باشمئزاز وقالت بنبرة ملؤها الغضب:

- نعم شخص مثله ومثلك بأفعالكم يستحق الموت، لكن ما الذي فعلته هالة لك كي تمارس عليها أفعالك الجنونية، ماذا أذنبت لكل هذا؟

- أذنبت أنها سلطت الضوء على أملاك سرية وهذا يفسد أول مبدأ في أخوية الهَيِّصر وهو العمل في الخفاء، وكان يمكن أن أتخذ قرارًا بتصفيتها وهذا أسهل بكثير لكن كانت تحديًا بشكل شخصي لتطبيق نظام القتل البطيء ولك أن تتخيلي أن الأمر بدأ منذ أول باقة زهور أرسلتها لها زهرة مميزة تم إضافة مقدار بسيط من مخدر معين يسبب هلاوس طفيفة، يرسل لها بشكل يومي حتى تدمنه بطريقة غير مباشرة وأثناء ذلك أظهر لها شخصًا متوفيًا مثل الشيخ فتحي أمامها عن طريق رجل يرتدي مثله ويشبهه لحد قريب ليختفي في

مبنى شركة سمير ويعطلها عن اللحاق به موظف الاستقبال، وعندما قررنا هدم القصر وبناء المجمع على هيئة مسرح (الكولوسيوم) الروماني القديم إحياءً لذكرى المجاهد (ماركوس اوتيلوس) الهيصر العظيم ليكون المكان الذي يشهد على تطبيق تجربة القتل البطيء لتكون هالة في الحقيقة فارة تجارب مثلها مثل زوجاتهم.

\*\*\*

كان عمر يجلس بجوار طارق في سيارة الشرطة، وهو يحاول أن يتفقد الهاتف الذي تركته حنين مغلقة، حاول أن يراجع ما كتب في الورقة التي تركها لكنه لم يستطع أن يعلم كلمة السر ويفتحه فزفر غضبًا مما جذب انتباه طارق الذي سأله:

- ما فيك؟

- لقد تركت حنين هذا الهاتف لي لكنه مغلق برقم سري وراجعت ما دونته من ملاحظات في الورقة، لكنني لم أعر على رقم السري.

أعطى الهاتف إلى طارق ونظر له وقال له بعين متسعة:

- سأعطيه للقسم التقني بالمديرية لكن للأسف هذه الأنواع من الهواتف الذكية كلمة السر لها هي مصدر الحياة للهاتف إذا فقدتها فقدت الهاتف وبالأخص لو كان من يحاول فتحه شخص مثلنا ليس على معرفة بصاحب الهاتف حتى يتوقع كلمات السر المحتملة.

أمسك طارق الهاتف ووضعه في جيبه وقال بنبرة حاسمة:

- اتركه معي ودعنا نركز في إنقاذ حنين فهي التي يمكنها إنهاء هذا الأمر وفك كل هذه الألغاز.

\*\*\*

أشار رشيد نحو رجال المجمع الواقفين في ثبات ينصتون له ثم أردف:

- ومن خلال السرداب السري الذي صمم في كل منزل في المجمع ويعلم به فقط مالك المنزل ورمز الدخول وهو 561932، وقد تم توزيعه على أرقام المنازل بالمجمع، وهو تخليد لتاريخ وفاة الأخ المظلوم السيد نورث وتمجيدها لذكره 5/6/1932، وندخل من خلال تلك السرايب ونتجمع هنا في هذه الصومعة السرية لكي نجري اجتماعاتنا الدورية، كان يختبئ هنا شبیه الشيخ فتحي وكان يصعد لمنزلي عندما أطلب منه ذلك كي يكون من ضمن الهلاوس التي تراها هالة فلا تستطيع أن تفرق بينها وبين الواقع، وكان ذلك بسبب استنشاقها لرحيق باقة الزهور اليومية التي أدمنتها بالإضافة للمخدر الذي كنت أضعه لها في عصير البرتقال، وأظنك تناولته من يدي وجربت ما كانت تمر به هالة.

قالها وهو يبتسم وعيناه تلمع وحنين ظهر عليها التقزز بعد أن تذكرت ما حدث لها بعد هذا المشروب المخدر، وقالت بنبرة غاضبة:

- كم أنت حقيرا

- حقير لكن لست غيبيا، فقد خرجت هالة من المصحة ومازال الفضول نقطة ضعفها وبدأت تقوم بأفعال غبية وتتدخل في أمور غيرها حتى وصلت أنها تتسلل إلى منزل جعفر، ووضح أنها علمت عنا أشياء كثيرة ليس من المفترض أن تعرفها ولا أعرف كيف

توصلت لها، أعلم أن جعفر كان غيبًا بعدم التزامه بالتجربة وسمح لغضبه أن يملكه ويقتل زوجته، ورغم علمنا بفعلته وسامحناه لتاريخه المشرف في الأخوية، وحافظنا بناء على طلبه برأس زوجته في مبرد المقتنيات الخاصة بقاعتنا المقدسة هنا، إلا أننا لم نتوقع أن يكون خائنًا أبدًا، وبالتالي الأخطاء الصغيرة أوقعته في أخطاء كبيرة ولفت انتباه هالة في النهاية، لذلك بدأت في مراقبتها بشكل أكبر ليس بتحريكها في المنزل لكن حتى مراقبة حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي وبريدها الإلكتروني، هاتفها كله أصبح تحت أعيننا، وبسبب فضولها الزائد هذا نالت ما تستحقه.

أشار بسبابته نحو حنين وقال بنبرة غاضبة:

- لكن ظهورك المفاجئ بعد الجريمة بستة أشهر كان هو الغريب بالنسبة لي، ومن خلال مراقبتك علمت أن الفضول داء عائلتكم وشككت في أنك توصلت لشيء من خلال بحثك وهذا ما دفعني لتفتيش منزلك لكن لم نعر على شيء ذي قيمة، حتى كريم الغبي الذي نقلت له هالة داء الفضول وكان يراقبك نال بغائه ما يستحقه منا، فقد مات بسبب شجار مفتعل بين زملائه في الزنزانة، فلم أكن أعلم ما يملكه من معلومات وبدلاً من سؤاله كان يجب إغلاق أي صفحة في هذا الملف وحرقتها، لكن أنت كنت لغزًا كبيرًا بالنسبة لي حتى خروجك اليوم من المصححة بهذا الشكل المفاجئ علمت أنك وصلت لشيء لكن لم أكن أتخيل أن يكون بحوزتك كتاب الهيصر وجعلتني أكتشف أن جعفر كان يظن نفسه جد جدي (صديق الأخ الملعون) كي يكتب كتاب عن مسيرته ويُعظم في نفسه ويُمجد في أعماله البطولية وعنوان كتابه مذكرات ثعلب.

ضحك ضحكة ساخرة ورفع يده بجانب جبينه وقال بهدوء مبتسمًا:

- شكرًا على هذه الهدية العظيمة لذلك كان يجب مكافأتك وألا يكون موتك شيئًا عاديًا يمر مرور الكرام، بل موت يليق بما قدمته لأخوية الهيصر.

تقسم الشاشة لمربعات كثيرة في كل مربع شخص يرتدي قناعًا، ثم زاد المكان إضاءة من زاوية كانت معتمة وظهر صوت رشيد من خلال مكبر صوت داخلي بالغرفة وهو يقول بحماس:

- لقد تم وضع عملية قتلك على طاولة المزايدات الحمراء بموقع الديب ويب ومن سوف يفوز بالمزاد من المشتركين من حول العالم الذين أمامك على الشاشة سوف ننفذ له عملية القتل كما يرغب، أحيانًا كنا نقوم بتلك العملية مع ضحايا جعفر لكن كنا نصور عملية قتلهم والتمثيل بجث فقط كبث مباشر، ثم نقوم بدفنهم هنا بالمقبرة السفلية، أما أنت ذات قيمة أفضل من عاهرات جعفر بكل تأكيد وفي مقام أسمى حتى تنالي هذا الشرف العظيم، والآن يبدأ المزاد.

بدأت الشاشة تنير بإطار أحمر حول مربع الشخص الذي يشارك في المزاد وتنتقل من شخص لآخر وبأسفل الشاشة كانت قيمة رقمية تتزايد وبجانبه عداد زمني يتناقص، وحين تصرخ من الصدمة وتحاول أن تفك القيود التي عليها بحركات انفعالية لكن بلا فائدة، وقف الرجال صفين بجانبها ووقف على رأس الطاولة سمير وأمامه رأس حنين وهي تنظر له والذعر يملأ عينيها ومن الخلف يتقدم

حبشي وهو حامل وسادة حمراء صغيرة عليها خنجر الهيصر الذهبي، وهو خنجر ذهبي براق بداية من النصل والشفرة حتى نهاية المقبض والذي نُحت على شكل رأس أسد فكه مفتوح ظاهر أنيابه المدببة.



خنجر الهيصر الذهبي

كل من بالغرفة يقفون في ثبات وخنوع ولا يبالون بصراخ حنين وبكائها المتزايد، والعداد الميقاتي على الشاشة أعلن بلون أحمر أن لا يتبقى سوى عشر ثوانٍ لتتزايد المشاركات ويرتفع رقم الشراء بشكل جنوني في وقت قصير، حتى توقف العداد وأضاءت الغرفة باللون الأحمر بدلاً من الأبيض وتم تكبير مربع الفائز ليحتل صورته الشاشة ويختفي الباقيون، وتنظر حنين إلى الشاشة وهي ترتعش ودموعها تتساقط وترى على الشاشة الرجل المقنع الذي فاز وعيناه تلمع من فتحات عين القناع ومن فتحة الفم تنير أسنانه الذهبية بابتسامة جعلت حنين ترتعش من الذعر.

\*\*\*

وصل عمر وطارق ومعه قوات الشرطة وحاصروا المجمع بالكامل وأمر طارق رجاله بالتحفظ على كل الموجودين بالمجمع وغير مسموح لأي أحد بالخروج منه، وتوجهوا مباشرة لمنزل رشيد وبدأوا يطرقون الباب مرات عدة ولم يرد أحد مما دفع طارق أن يأمر رجاله بكسر الباب ويقتحموا المنزل لكن قبل أن ينفذ رجاله أوامره فُتح الباب وظهر رشيد أمامهم، وهو يشير لهم بيده معتذراً:

- آسف كنت بالطابق العلوي وتأخرت عليكم.

- أين حنين؟

قالها عمر وهو يدفعه للداخل وبدأ ينظر حوله في أرجاء المنزل أشار طارق للرجال أن يبحثوا عنها، ورشيد يتابع ما يحدث وهو يظهر عليه ملامح الاستغراب قائلاً باستنكار:

- حنين ليست هنا، ذهبت معي صباحاً لزيارة هالة بالمصحة وبعدها غادرت لوحدها وأنا عدت كي أجلب بعض الأشياء لي لأنني تركت لها المنزل تقيم فيه منذ أن اقتحم اللصوص منزلها، وكنت أظن أنني سأجدها هنا، لكنني تفاجأت بأنها ليست هنا وعندما اكتشفت ذلك كنت تطرق سيادتك الباب.

نظر طارق إلى عمر متسائلاً لكن لم يستطع عمر الإجابة وهو ينظر حوله ويرى الرجال وهم يبحثون في كل مكان بالمنزل، ما إن انتهوا حتى طلب طارق منهم التفتيش مرّة ثانية للتأكيد لكن في النهاية عاد الرجال ولم يعثروا على حنين، شعر طارق باليأس لكن الإصرار

الذي رآه في عين عمر جعله يتحمس مرّة أخرى، وأمر الرجال بالخروج وتفتيش المجمع بأكمله تفتيشًا دقيق جدًا، وعمر ينظر إلى رشيد مستغربًا، تقدّم رشيد نحو طارق وقال بحماس:

- هل يمكنني أن أساعدكم بشيء؟ أنا رئيس اتحاد ملاك المجمع ويمكنكم أن تستعينوا بي.

- لا، يفضل أن تظل هنا ولا تغادر منزلك حتى آذن لك بذلك.

أوما رشيد برأسه موافقًا وتبعهم حتى أوصلهم إلى باب المنزل وأشار لهم مودعًا وقال بخوف:

- أتمنى أن تطمئنوني عليها.

مر أكثر من خمس ساعات من تفتيش المجمع بأكمله ولم ينجحوا في العثور على حنين أو أي دليل يفيد بوجودها فيه، مما اضطر طارق أن يأمر رجاله بالرحيل وربت على كتف عمر مؤازرًا. نظر له عمر وهو يركب سيارة الشرطة وهو غير مصدق ما يحدث وأثناء خروج سيارة الشرطة من المجمع لاحظ طارق وعمر خروج ملاك المجمع أمام أبواب منازلهم يراقبون مغادرتهم ويظهر على نساءهم الخوف لكن يظهر على أزواجهم ابتسامة مريبة.

\*\*\*

مرّ أسبوع من البحث على حنين ولم يتوصلوا لشيء، لكن تفاجأ طارق ببلاغ يخص التحريات خلف حبشي والتي أفادت انه لم يعد لمنزله منذ فترة لكن أمس تم تقديم بلاغ بشم رائحة غريبة قادمة من شقة حبشي مما دفع طارق للتحرك ومعه قوات من الشرطة،

ووصل مقر سكنه ووجد الأهالي متجمعين على الدرج والطابق الأرضي الذي به شقة حبشي يمتلئ بسحابة من البخور بسبب رائحة العفن الخارجة من شقته، أمر طارق بإبعاد الأهالي واقتحام شقته ليدخل طارق وهو يضع منديلاً على أنفه ويجد الشقة مظلمة يحاول أن يفتح الإضاءة يجدها لا تعمل فيأمر أحد رجاله بمعرفة سبب ذلك ويضيء كشاف هاتفه، ويتحرك من خلال ضوءه يلاحظ قدمين معلقين في الهواء فيرفع الكشاف لأعلى ليجد حبشي معلقاً من رقبتة في منتصف الصالة أمام الباب، بالرغم من أنه يظهر عليه أنه متوفٍ منذ عدة أيام لكن الغريب لم يكن هو مصدر الرائحة العفنة، مما دفع طارق وجزّاه أن يتقدم للداخل أكثر خلف مصدر الرائحة فوجد مبرد مفتوح بابه ولا يحتوى سوى على رأس سيدة متحللة توفت منذ فترة أكبر منه وهي سبب هذه الرائحة، وفي تلك اللحظة استطاع أحد رجال الشرطة معرفة مكان المفتاح الكهربائي وإعادة تشغيله مرّة أخرى بعد أن كان مغلقاً بشكل متعمد، وهذا كشف شيئين لطارق؛ أن رأس السيدة يعود للسيدة ثريا زوجة السيد جعفر المختفية كما رآها في الصورة التي كانت في جيب القتيل، والشيء الآخر وهو ورقة ملصقة على صدر حبشي اقترب طارق ليقراً ما كتب فيها وكان نصها:

“لا تجهد نفسك حضرة الضابط فأنا لا أنتظر رصاصتك، أنا يكفياني أن تأتي لكي تعلم الحقيقة أنا قتلت جعفر لأنه كان يعذب حب حياتي ثريا السيدة التي لم تتل يوماً هنيئاً معه، ورغم حبي لها رفضتني وفضلته هو عني، لذلك اختطفتها لكي أنقذها منه لكنها رفضت أن تعيش معي ورفضتني مرّة أخرى فلم تمنحني أي حل

آخر سوى أن أقتلها واحتفظت برأسها كي أتحدث معها كل يوم بعيد  
عن إزعاج جسدها الذي كان يتناول علي كلما عبرت لها عن حبي،  
أما عن جعفر فلقد اختبأت في حديقة منزله عندما طردني لأن هذا  
أغضبني جدًا وانتظرت حتى هدا الوضع في المجمع، وتسالت للمنزل  
من نافذة المطبخ وطعنته في ظهره بكل ما أوتيت من قوة وغيظ  
وحقد عليه، وفتشت المنزل بحثًا عن عُقد ثريا النفيس ولكني لم  
أجده، فوضعت صورة رأس حبيبتي في جيبه، ثم جلست بجانبه  
حتى قبل الساعة السابعة وكما علمت من رضا العرثار عن مشكلة  
المولد المتكررة لديهم، فصلت المولد الكهربائي حتى ينشغلوا به  
وأعبر البوابة للخارج فقط، على أن يروني وأنا أدخل أمامهم مرة  
ثانية بعد أن يعيدوا تشغيل المولد مرة أخرى، وعلمت أنني لا أستحق  
أن أعيش وحيدًا في هذه الدنيا فيجب أن أموت وأعيش مع حبيبتي  
في الجنة، ولا أستحق أن أعاقب منكم على استعادة كرامتي  
ومشاعري، لذلك سوف أقتل نفسي بيدي، أنا من أنال شرف قتلي  
وليس أحدًا غيري."

نظر طارق لأعلى لوجه حبشي المنفوخ ولسانه المتهدل مستغربًا:  
- كنت أكبر مثال للخليط الذي يجمع الجنون مع الحب مع الغباء  
في هذا العمرا لمتقدم.

\*\*\*

دخل طارق مكتبه وظهرت عليه علامات الراحة وما إن جلس إلى  
مكتبه رن هاتف مكتبه ردّ وقال بجدية:

- نعم يا افندم تم العثور على حبشي منتحزًا ومعه رسالة باعترافه

بجريمتين قتل، بالتأكيد يا افندم تم إرسال جثته إلى المشرحة للتشريح، وقد تم فحص منزله بشكل دقيق وتم العثور على رأس بشرية بداخل مبرد منزله تشبه رأس السيدة ثريا المختفية وتم نقلها للطب الشرعي لفحصها والتأكد من هذا الاستنتاج، هذا غير العثور على هاتف جوال مغلق في جيب بنطاله وعند فتحه تم التأكد بأنه يعود للضحية ثريا يا افندم، شكرًا سيادتكم نحن نقوم بواجبنا تحت توجيهات معاليك بكل تأكيد.

يغلق طارق السماعة منتشياً ويخرج علبة سجائره ثم يبحث عن القداحة في جيبه فلا يجدها، فتح الدرج وأخذ قداحته ولاحظ هاتف حنين بالداخل فنظر له وكأنه تذكر شيئًا، أخرج هاتفه وكام بالاتصال بعمر:

- ألو كيف حالك يا عمر، للأسف لدي خبران ليسوا جيدين، الخبر الأول سوف تتوقف اليوم مراقبة رشيد وسكان المجمع بعد عدم الوصول لأي شيء يربط بين أحد فيهم وبين اختفاء حنين، فلأسف النيابة لم تسمح بزيادة مدة المراقبة إلا بإثبات أي دليل جديد، والخبر الثاني لقد استلمت صباح اليوم هاتف حنين من القسم التقني بالوزارة وقد فشلوا في فتح الهاتف دون خسارة الملفات المخزنة عليه، وينصح بمعرفة كلمة السر المربوط بها الهاتف كأفضل وسيلة للوصول لهذه الملفات، يمكنك أن تمر في أي وقت كي تأخذه، آسف عمر كنت أتمنى أن أساعدك أكثر من ذلك لكن للأسف أنت تعلم لا يوجد شيء في استطاعتي ولم أفعله، شكرًا عزيزي على تقديرك وتواصل معي في أي وقت تحتاجني فيه.

أغلق الهاتف في ضيق وألقى بهاتف حنين في الدرج وأغلقه مرّة أخرى، وأشعل سيجارته مفكراً وزفر دخانها في الهواء.

\*\*\*

وقف رشيد أمام نافذة الصالة ناظراً للمجمع من الداخل متحدثاً بثقة وخلفه جلس السيد سمير يستمع له بتركيز:

- ها لقد مر أكثر من شهر الآن على دفن جثة حنين بمقبرة المجمع السفلية بجوار أخواتها من فتيات الليل ضحايا جعفر، فلا تقلق يا سمير، ليس من السهل الإيقاع بأي فرد من أفراد الأخوية، رجالك مدربون تدريباً عالياً وملتزمون بالأوامر على درجة عالية من الإتقان والطاعة، فكان صعب على الشرطة أن تجد عليّ أو عليهم أي شيء خلال فترة مراقبة هواتفنا وحركتنا، فهم ليسوا بمستوى ذكاء حبشي الذي خطأ بكلمات غبية أثناء التحقيق معه جعلته في شبهة من أمره، كلمات أهداها للضابط بكل سهولة، وكان يجب التوضيح به على كل حال لغلق القضية بعيدة عن مجمع هاردلي هاوس وأي فرد يخصه، فيجب أن تكتمل التجربة للنهاية، حتى يتم تعميمها على جميع مجالس الأخوية على مستوى العالم، يجب بناء الآلاف من هاردلي هاوس وتطبيق الفكر الجديد المتطور الذي صنعه لأخوية الهيصر.

لاحظ رشيد سيارته تمر من البوابة فالتفت إلى سمير وأشار له بسبابته:

- يجب عليك الآن أن ترحل وتنتظرنني في غرفة المجلس بالأسفل، فأنا أنتظر شخصاً عزيزاً عليّ الآن، سأستقبله وألحق بك، ولا تنس أن تخرج من الباب السري الجديد.

- تحت أمرك سيدي.

تابع رشيد بنظره تحرك سمير ثم عاد لينظر للنافذة فلاحظ وصول سيارته أمام منزله، نزل السائق وفتح الباب الخلفي كي تخرج منه هالة بحالة صحية وعقلية أفضل قليلاً، تحركت نحو باب المنزل وهي تنظر للمنزل من أسفله إلى أعلاه ثم تلفت حولها ونظرت للمجمع بالكامل، حتى تفاجأت بصوت باب المنزل يفتح لتجد رشيد فارداً ذراعيه مبتسماً، ركضت نحوه واحتضنته ولف ذراعيه حول خصرها وقال بحنو وهي تحتضنه بيد مرتعشة:

- أخيراً أنرتِ دنيّتي مرّة أخرى يا ملكة مملكتي، ألف حمد لله على سلامتك.

أشار لها أن تدخل المنزل وفعلت وهي تبحث حولها من التوتّر، أمسك يدها المرتعشة وقبلها فحاولت هالة أن ترسم ابتسامة خفيفة ومن خلفه ظهرت نجيبة تبتسم لها بنظرة خبيثة تمتلئ بالشماتة، أدركت هالة أنها كانت تابعة لهم وتعلم كل شيء، فقررت أن تتجاهلها ونظرت إلى رشيد في توسل راسمة ابتسامة بعين لامعة، أدرك رشيد ما ترغب فيه وقال بنبرة هادئة لكن صارمة:

- يجب أن تحترمي الاتفاق الذي اتفقنا عليه، حتى أحترم أنا ما اتفقت عليه معك، بعد سقوط تهمة القتل عنك فكرت كخيلاً واتخذت قرارى، وآسف على أنني خذلتك حبيبتي وأمرت بتقليل الجرعات التي كانت تُهزّب لك بداخل المصحة، كي تستطيعي أن تستعيدي بعضاً من صحتك وعقلك، ونعتبت حسن تصرفك وقرارك، كي أستطيع أن أطلب إخراجك من المصحة بضمان أن تكملّي علاجك

من الإدمان بالمنزل، والآن سوف تعودين للإعلام مرّة أخرى ولقد بنيت لك خطة دعائية جبارة ستبدأ من اليوم لديك مداخله لبرنامج كبير يبت مباشرة سوف تخبرينه أنك استفدت من تجربتك السابقة وتذكرين دوري في مساندتك ودعمك وأنت متحمسة للعودة للإعلام مرّة أخرى، تمام؟

أومات هالة برأسها موافقة ويظهر عليها الخوف والذعر ثم سألتها بفضول:

- بالتأكيد سأفعل كل ما تأمر به لكن أين هي؟

أشار لها أن تتبعه لتتفاجأ أن لوحة المصارع الروماني الكبير لم تكن موجودة وتم فتح باب غرفة نوم عادية مكان مدخل السرداب ما إن دخلت الغرفة حتى وجدت غرفة نوم صغيرة، تحركت هالة وجلست على الفراش تتفحص الغرفة الصغيرة وترسم ابتسامات زائفة ونظرات إعجاب وهي تتمايل للأمام والخلف، وأثناء ذلك قال رشيد بجدية:

- يجب أن تعلمي حبيبتي أنه ليس لي دخل باختفاء حنين فهي مثل أختي تمامًا وأنا من عائلة لها أصول ومبادئ عظيمة في معاملة الأخوات ورعايتهن رعاية مميزة، ولقد حاولت كثيرًا البحث عنها لكن للأسف لا أثر لها، فأرجوك لا تحزني واطوي هذه الصفحة للأبد.

أمسكها من ذراعيها وقبض عليها بقوة، فأتسعت عينا هالة انتباهًا.

- تعقنين في حبيبتي؟

أجابت سريعًا بابتسامة ونبرة مترددة:

- بكل تأكيد حبيبي فلم يبق لي سواك، وأعلم أنك تفعل كل هذا من أجلي، لكن أين هي؟

- سوف تحصلين عليها كما وعدتك، لا تقلقي، لكن يجب أن أضمن ولاءك وبالتأكيد، لن يضيع هذا الأمر هباء فلقد خاطرت وساعدتك بدوري زوجك وحبيبك وأخيك كي تعودني للشهرة مرة أخرى، فقصتك بهذه القضية وخروجك منها سوف تجعلك مصدر إلهام وتأثير على الكثيرين، والجميل أن نستغل هذا لتكوين جيش من النساء الغبيات مثلك، جيش ينصر قضيتنا ويحقق أهدافنا، فأنت ستكونين صوتنا بشكل غير مباشر وشعلة البداية لهذا الجيش، لا أنكر أن في النهاية أصبحت المكاسب في بقائك بنصف عقلك بالخارج أفضل من جنونك الكامل بالمصحة.

دخلت نجيبة وهي تحمل صينية عليها كوب من عصير البرتقال ووضعت به بجوار هالة، ثم أشار لها رشيد أن تخرج فأومأت برأسها طاعة وخرجت، التفت رشيد إلى هالة مبتسماً:

- والآن أتركك مع صديقتك الجديدة ومشروبك الخاص.

واقترب وقبلها برأسها وهي تنتفض خوفاً منه، أخرج من جيبه كيساً صغيراً يمتلئ نصفه بمسحوق أبيض ورماء عاليًا، فقفزت هالة من مكانها بنشوة وسعادة وأمسكت به، أشار لها رشيد بسبابته محذراً:

- هذه الكمية تكفي لخمسة أكواب عصير بمعدل كوب كل يوم، يمكنك الآن أن تُعديه بنفسك لا تحتاجي أن أعد العصير مثل السابق، المهم أن يتم تقسيمها بحذر ولا تكثري منها فأنت الآن غالية علي،

وعندما تنتهي الكمية أخبريني أعطيك غيرها.

جلست هالة على ركبتيها أرضًا واستندت على الفراش تتأمل الكيس أمامها بعينين لامعتين، ابتسم رشيد ابتسامة جانبية ساخرة وأخرج من الجيب الآخر هاتفًا فتحه ثم رماه على الفراش بجانبها، ثم قال وهو يفتح الباب:

- هذا هو هاتفك أغلقته منذ دخولك المصحة، يمكنك استخدامه الآن لكن بحذر.

أشار بسبابته محذرًا ثم ابتسم لها وغادر الغرفة فقبلت هالة الكيس وفتحته ووضعت القليل منه في كوب العصير وقلّبتة بإصبعها وأخذت منه رشفة صغيرة باستمتاع، ثم ألقت برأسها على الفراش ودفنت وجهها فيه، لحظات وسمعت رنين إشعارات كثيرة قادمة من الهاتف لتختتم برنين إشعار البريد الإلكتروني والذي كان له نغمة رنين مختلفة ظهر على هالة علامات الاستغراب فأمسكت هاتفها وفتحته لترى الإشعارات وتتفاجأ بأن هناك إشعارًا برسالة على بريدها الإلكتروني قادمة من حنين.

dear Hola

really i'M sO sorry i can't help u Bec. i Was stupid I know i have To stand beHind u HOla My dArling ... Remember i love u to the moon

Neno.

نص رسالة حنين عبر البريد الإلكتروني

وفتحته لتجدها رسالة اعتذار من حنين بأنها كانت غبية ولم

تستطع مساعدتها، ما إن رأت هالة الرسالة وقرأتها جيدًا حتى ابتسمت جانبًا قليلًا ولمعت عيناها وكأنها تبتسم ونزلت دمعة منها.

- فهمت شفرة رسالتك حبيبتى لكن لم يبق لي بعد خسارتك ما أحارب من أجله، آسفة نينو سامحيني فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا الآن.

ترفع رأسها وتدمع عيناها وهي تنظر لأعلى وكأنها تفكر، ثم ابتسمت:

- لقد خسرت الكثير من هالة، وببقائي هنا سوف أفقد المتبقي منها، أتعلمين ذهابي لك الآن أسهل وأسرع من انتظار لقائك، حتى عندما نتقابل تجددين شيئًا متبقيًا من هالة التي تعرفينها.

أغلقت الهاتف ووضعتة أمامها على الفراش وسكبت باقي المسحوق الأبيض في كوب العصير وشربته سريعًا مرّة واحدة لتسقط أرضًا بعدها وبوجه يبتسم وعين تدمع تنظر لأعلى بعبات.

\*\*\*

تمت بحمد الله

25/11/2024

بقلم / محمد حياه

## لغز رسالة حنين

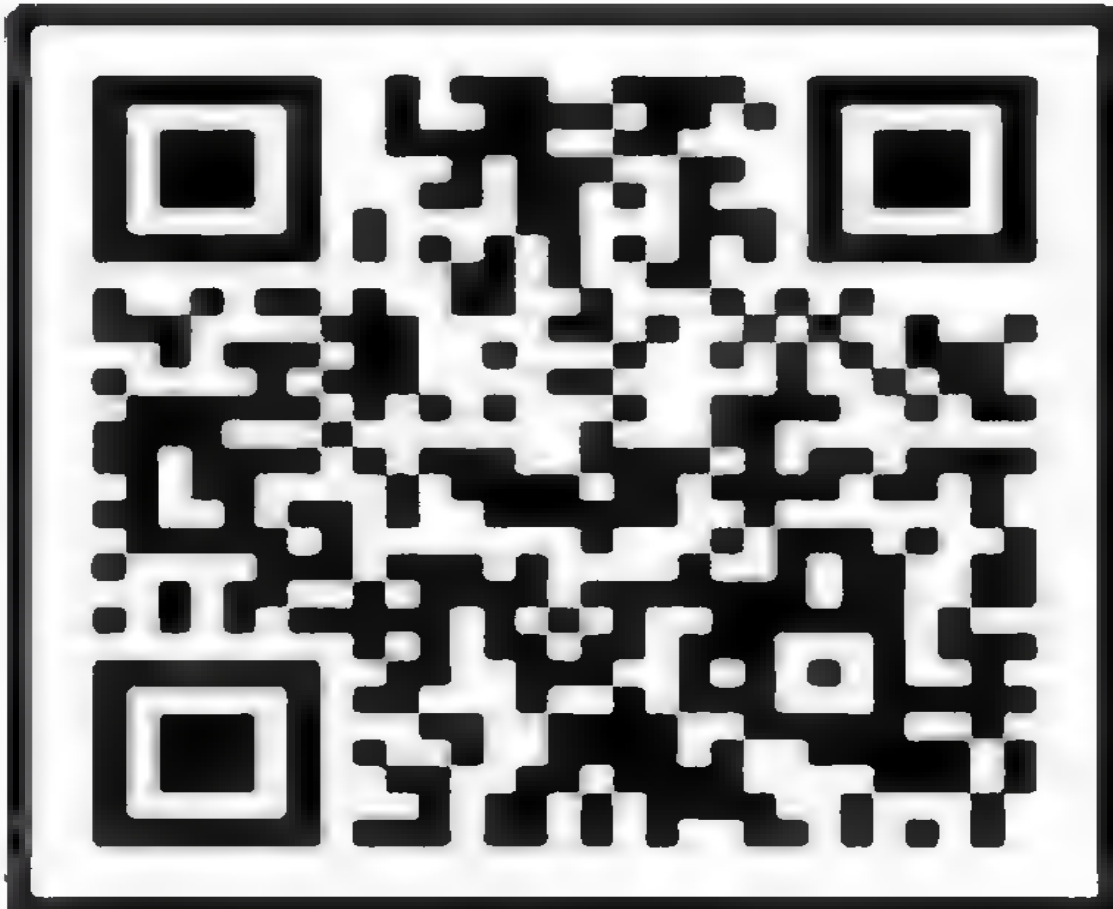
dear Hola

really i'M sO sorry i can't help u Bec. i Was stupid I know i have To stand behind  
u HOla My dArling ... Remember i love u to the moon

Neno.

من استطاع حل اللغز يتواصل مع الكاتب ليتأكد من الحل الذي  
وصل له، أو لمساعدته في حله؟

للتواصل مع الكاتب يمكنك مسح QR Code بكاميرا هاتفك



\*\*\*

لشراء باقي مؤلفات الكاتب من موقع دار دارك الرسمي والتوصيل

حتى باب منزلك

يمكنك مسح QR Code بكاميرا هاتفك

